

Ann
T
B
F

1
2
3
4
5



3 1142 00297 2324

**Dr. Jerome S. Coles
Science Library**



NEW YORK UNIVERSITY
Elmer Holmes Bobst
Library

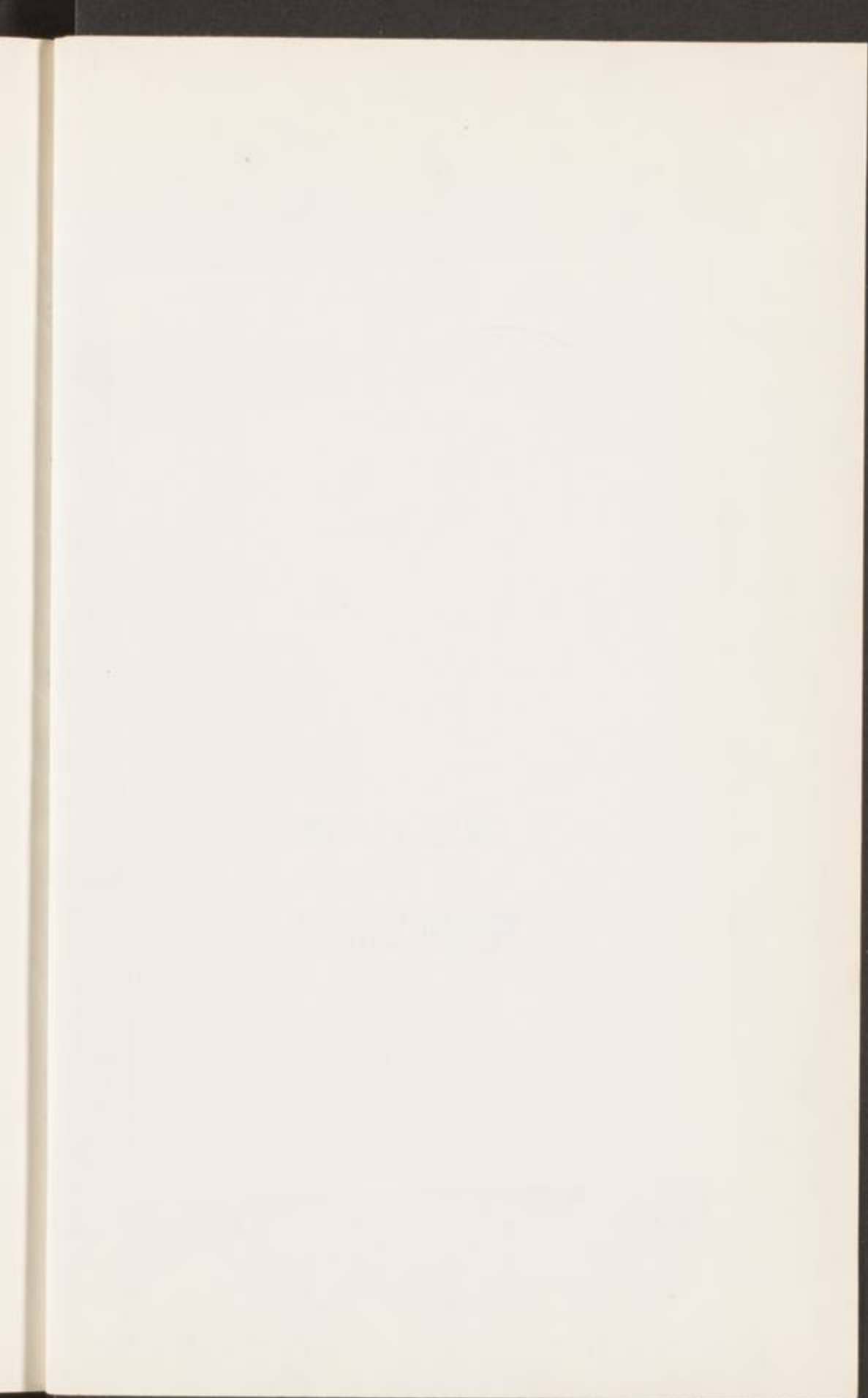
New York University
Bobst Library Circulation Department
70 Washington Square South
York, NY 10012-1091

Web Renewal/Info:
<http://library.nyu.edu>
New Phone Renewal:
212-998-2482

THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME!

	DUE DATE RETURNED MAY 04 2009 BOBST LIBRARY	
	DUE DATE RETURNED FEB 04 2006 BOBST LIBRARY	

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING VIA WEB/PHONE!









R

143

.A35

1939

c.1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الذين لا تزال رحمتهم شاهداً ومثلاً في الآخرين .

هذا الكتاب الذي تقدمه إلى القراء مغتبطين ببيان رائع لعظمة التمدن الإسلامي وما حفل به من أجداد بذل في سبيله من جهاد ، حتى أظلت راياته البلاد وسعد بخيره العباد . وشهد الله ما ذكر ذاكر حضارة المسلمين إلا استهلت بعبرتنا الشوون ، حسرة على من كانوا رسل خير ورحمة ، وحملة علم وعرفان ، أن تذهب جهودهم الإنسانية سدى ومسايعهم الخيرية أدراج الرياح ، على يد من خلفهم في الحضارة فوجعوا بالفضيلة قروناً إلى الوراء وأستغفر الله فاما من وراء فيه ما في تمدن القرن العشرين من قسوة ووحشية وانتهاك لكل حرمة .

ولقد توفر على خدمة تاريخنا مئات المؤرخين من شرقيين وغربيين في مختلف العصور وكشفوا كثيراً من مجاهله ، وجلوا من مغامضه ، حتى وضحت سبله ، ولاحت معالمه ، وأجمع الناس يحدهم يقين لا يتزعزع على أن حضارة الإسلام بزت كل حضارة في الوجود شرفاً ونبلاً وممواً وسجاجة . ومع ذلك فإن هناك صفحات كثيرة من الجهاد الإنساني النبيل لا تزال تنتظر من يكشف عنها التراب المتراكم ويلم ما تشعث منها ، ليخرجها للناس

آية معجزة في حب الخير والكفاح له والتفاني فيه . وذلك ما تجد منه بياناً
في هذا الكتاب ، وذلك ما حدا جمعية التمدن الإسلامي على نشره لأنه
صفحة قيمة من صفحات التمدن الإسلامي العظيم .

....

وبعد فما يعتده أنصار الحضارة العتيدة في باب حسناتها سبقها إلى تعميم
الإنساني والملاحي الخيرية في بلادها وعطفها على ذوي العاهات والمعتلين ،
وكفاحها في سبيل الصحة العامة . وكان جمهورنا على التسليم بهذا السبق
والنفرد على رغم ما نرى من اختصاص فريق من البشر بهذه المنافع دون
فريق ، إذ لم يقم من ينصب الميزان بالقسط ويبحث في مطاوي تاريخنا
الزاهر عما سلفنا من مجهود إنساني ، حتى انتدب لذلك العلامة الجليل
الدكتور أحمد عيسى بك بما يتجلى به من تضلع في علوم الطب وتمكن
في تاريخ العرب إلى رجولة سامية تأبى عليه أن يهب لراحته وقتاً يستطيع
خدمة أمته فيه ، فحجر الراسه وعكف على العمل العلمي الخالص حتى
أخرج لنا كتابه هذا برهاناً ساطعاً على أن الحضارة الإنسانية الحضة
هي حضارة المسلمين . وبذلك تنضاف الأدلة من أنواع مختلفة على أن
المسلمين ما كانوا يعيشون لأنفسهم ، بل كانوا يعدون خير الناس وسعادتهم
من أعظم الأمانات التي حملوها وعليهم ألا يألو جهداً في تأديتها على
حتمها . فكان الخير العام هو السمة التي تسم تاريخهم بين توارىخ الأمم
قاطبة في القديم والحديث .

جعل المؤلف أول المستشفيات في الإسلام خيمة رفيعة وهي اسرارة
(كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضبعة من
المسلمين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم حين أصاب

معد بن معاذ السهم في غزوة الخندق : « اجعلوه في خيمة رفيدة حتى
أعوذه من قريب » (١) ولما تنابت الفئوح كان في جيش مضارب فيها
الممرضات من النساء بداوين الجرحى وكان هذا جهادهن .

وبذلك علمنا أن أول المستشفيات نشأة في الإسلام هي المستشفيات
الحرية المتنقلة إلى أن جاء الوليد بن عبد الملك الخليفة العمراني فأتخذ
للمجذمين وغيرهم من ذوي العاهات داراً خاصة بعثي بهم فيها وأجرى
عليها الأرزاق ورتب لهم الخدم، فكان أول من اتخذ الملاجئ الخيرية في
الإسلام . ثم تتابع الأمر حتى غصت حواضر الإسلام من ممرقند إلى
فاس إلى غرناطة بالمنشآت الخيرية ، وحبت عليها الأوقاف الدارة ورتب
فيها الأطباء والصيادلة والممرضات والفراشون وجيزت بوسائل الرفاهية
والنسالة ، وتمتع المرضى فيها من الرعاية والنعمة بما لا غاية وراءه .

ويحير المؤرخ تحليل هذه الكثرة من المؤسسات العامة حتى صرت
تجد في بقعة صغيرة حول المسجد الأموي ثلاثة بيارستانات يمر الماشي
عليهن جميعاً في دقيقتين . ونحن - مع تقديرنا للرفق العظيم الذي بالته
المسلمون - نجد ذلك نتيجة منطقية للخطة التي وضعها خلفاء الإسلام
نصب أعينهم وهي إفاضة النعمة على الرعية عامة حتى يتمتع الملوك والسوقة
بدرجات متقاربة من رغد العيش ورفاهية الحياة . وإن تنسى ما فعل عمر
إزاء تقسيم السواد سواد العراق على المقاتلين ، وتلك النظرة الحسنة التي
ذهبت به إلى المستقبل البعيد ، وقوله (لئن سلمني الله لأدع أرامل
العراق يمتحن إلى رجل بعدي) ثم رسم الخلفاء خطاه من بعده حتى
رأينا الغني في أيام عمر بن عبد العزيز بدور بصدقه فلا يجد من يقبلها

(١) ص ٩ من هذا الكتاب

منه . هذا الرخاء المستفيض أسام الامراء والأغنياء بعد عصور ، إلى
إنفاق أموالهم على المؤسسات الخيرية من ملاجئ ومشافي ومساجد ومدارس
وربط وتكايأ وزوايا . . . وحفر آبار وإجراء قنوات وبناء مصانع على
طرق المسافرين ، بل أدام التفتن في تحري الخير إلى حبس الأوقاف على
ما يفقد من متاع ويعطب من إناء . وفي دمشق أحياء كثيرة لا تمشي
فيها عشرين متراً إلا رأيت مسجداً أو مدرسة أو مستشفى بل يكاد
ما انحدر فيها من قاصيون يكون كله مدارس ومساجد وتكايأ ومشافي .
ومن قرأ ما وقف على هذه من أوقاف قطع بأن أكثر القرى والمزارع
والعقارات في الشام وقف على الجهات الخيرية فلا غرابة إن عددنا
في أول الأسباب لشيوخ هذه المنشآت ندرة الفقراء .

أثرت هذه المشافي أثراً آخر علمياً خالصاً إلى جانب أثرها الخيري ذلك
هو تقدم علم الطب شوطاً بعيداً ، بما أسدى إليه نوابغ الأطباء الذين
نشأوا فيه من أبايد ، وما نال من تشجيع العلية والأمرأ . وحسبك دليلاً أن
تلقي نظرة على الباب الأول من هذا الكتاب وخاصة منه نظم البيارستان
والدروس الطبية وامتحانات الأطباء والصيدالة وتربيهم وشروط إجازتهم
فستعلم أن نظم هذه الصنعة لا تقل عما هي عليه الآن في الحيلة والاهتمام ،
وستجد أن ماجروا عليه في امتحان الخريجين في مختلف فروع الطب هو
غاية في الحذر وضمان السلامة وسيتساءل القارئ حين يفرغ من هذه
التفاصيل والعجب آخذ منه كل مأخذ : أترى أن ما وصلنا إلى ما انتهوا
إليه من الدقة والاهتمام بالخير العام ؟

والمشافي كانت في الوقت نفسه جامعات طبية تلقى فيها الدروس النظرية
إلى جانب الدروس العملية وكان لها من الشرف والمكانة بحيث كان

السلطان أو نائبه هو الرئيس الأعلى لها فترى أن البيمارستان النوري مثلاً
مناطق إدارته بنائب السلطنة بدمشق . ولا غرابة بعد ذلك في أن يولي
الناس علوم الطب كل عنايتهم وقد رأوا ماللاً أطباء من الأرزاق الوفيرة
والمناصب العالية والشأن الاجتماعي العظيم ، حتى كان من المكفوفين أطباء
مشهورون ، بل إن تلك الحضارة الباهرة آتت من الثمر في هذا الباب
ما عجزت عنه حضارة القرن العشرين : فقد تخطى الاهتمام بالطب الرجال
إلى النساء ، فكان منهن طبيبات بارعات بل كان منهن من تولت مشيخة
الطب في حضرة من أعظم حواضر الإسلام (١) .

وسيشكر القارئ للمؤلف جهده الكبير إذ لم يكفه أن يحلو لنا
حالة البيمارستانات في أوضح صورة وأنصع بيان ، حتى لكأننا نعيش في
عهد ازدهارها ونعاين مرضاها وآلتها وحسن نعمتها وعناية أطبائها
ونستمع إلى دروسهم ونزولهم إلى تجاربهم ونهر بآيات نبوغهم وافتنائهم ،
لم يكفه ذلك حتى رفعنا إلى مستوى ثقافتهم الشاملة فأرخصهم كما أرخ
مشافيتهم وعرفنا أن الطبيب إلى تمكنه في فنه كان مشاركاً في بقية
الفنون . وإنك لتجد في كثير من تراجم الذين تولوا العمل في المشافي
من درس الفقه والتفسير وعلوم اللسان ، دع عنك إجادة السريانية أو
اليونانية أو العبرانية . وأكثرهم اشترك في إغناء الخزانة العربية بنقائس المؤلفات
والترجمات . وكان مما يتمتع فيه الطبيب أطروحة يقدمها في فرع من
فروع الطب التي مارسها وبهذا ترى الأطباء لهم المحل المرموق بين حملة
الثقافة ونشرة العلم . وإذا لا تستغرب أن تكون البيمارستانات من
العناية والترفيه على ما يحدثك به المؤلف ، والمشفون عليها من ذكرنا لك
علماً وفضلاً وتمكناً وحصافة .

وهل أنك أنهم سبقوا حضارتنا بقرون حين اهتدوا إلى المعالجة بالموسيقى ، لقد كانت الأجواق الموسيقية في بيارستان فاس تروح عن المرضى وتسليهم عن آلامهم . وكذلك الأمر في بيارستان النوري بدمشق فقد كانوا يجلبون القصاص والمطربين إلى قاعات المرضى فيه بل رتب المؤذنون بنشدون على المآذن قبل الفجر بساعتين ، بأنغام شجية تخفيفاً لعناء السهر على المرضى المؤرقين . ولا تزال هذه البدعة الحسنة جارية إلى الآن في منتصف الليل دائماً وبعد العشاء في بعض الأحياء ، دون أن يعرف الناس لها أصلاً وسبباً . والحق أن الإنسان لن يملك دمعته على قوم بلغت من نرسهم الرحمة وحب الخير هذا المبلغ النبيل .

وانظر على سبيل المثال ما أعد من وسائل الراحة في بيارستان العضدي مع العلم بأنه لم يكن من بيارستانات الدرجة الأولى ، فإن ناظره في سنة ٤٤٩ بعد أن دثرت أوقافه أعادها « وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعز وجودها شيئاً كثيراً ، وأقام الفرش واللحف للمرضى ، والأرايح الطبية والأمررة والتلج والمستخدمين والأطباء والفراشين . وكان فيه ثمانية وعشرون طبيباً ونساء طباط وبنوات وحراس ، والحمام البستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار البقول ، والسفن على مائه تنقل الضعفاء والفقراء ، والأطباء يتناوبونهم بكوة وعشية وبيتون عندهم بالنوبة . وكان فيه عدة خواب فيها السكر الطبرزد والأبلوج واللوز والمشمش والخشخاش وسائر الحبوب والبراني الصينية فيها العقاقير وأربع قواصر فيها الأهلج الأصفر والكابلي والهندي وأربع قواصر تمر هندي وزنجبيل وعود وند ومسك وعنبر والراوند الصيني في البراني والترياق الفاروق وجميع الأفاويه وصناديق فيها أكفان وقبور كبار

وصغار وآلات وأربعة وعشرين فراشا ٠٠٠ وذكر ابن صابي أشياء ما يوجد
في دور الخلفاء مثلها (١)»

هذا في العضدي فما ظنك بالبيمارستان النوري بدمشق الذي لم تخمد
منه النار قط ، أو المنصوري بالقاهرة وهو لا يزال يؤدي عمله الإنساني
إلى يوم الناس هذا سالخاً من عمره ثمانية قرون وبذلك يكون أقدم
مستشفى في العالم قاطبة .

وحدث ما شئت - ولا حرج - عن بيمارستان تونس العظيم الذي كان
فيه أربعة آلاف بين مريض وناقه وهو عدد ضخم ليس على وجه الأرض
اليوم مستشفى يستوعب من المرضى ما استوعب .

....

رأت جمعية التمدن الإسلامي بدمشق في نشر هذا الكتاب حافزاً
لأحفاد أولئك الأبطال ليصالوا ما انقطع من تاريخ الإنسانية إذ لا يزال
مكان أسلافهم شاغراً ينتظر من يقوم بتلك الرسالة النبيلة ، ورأت خدمة
لناحية من التاريخ الإسلامي تكاد تكون مجهولة . وليس من شك في
أن المسلمين نواحي كثيرة تحتاج إلى من يوليها العناية الوافية من أرباب
الكفاءات لنتم فصول التاريخ الخالد لأشرف من تقدم إلى خدمة الخير
والحق والمدي والسلام .

وأمر آخر له قيمة الأديبة وهو أن الدكتور الفاضل أحمد عيسى بك
أول من أرسل مؤلفاً من مصر لطبع في دمشق بادئاً بذلك عهد تعاون
أديبين هاتين الحضارتين وهما أعظم حواضر الثقافة في العالم العربي
وفي هذا دليل عملي على أن البلدان العربية أشبه بأحياء بلد واحد . ونرجو
لهذا الاتصال العملي أن تظاير حلقاته بعد إذ خرجنا من طور الدعاية

(١) ص ١٩٠ من هذا الكتاب

إلى طور العمل في سبيل الوحدة العربية . فلا يسعنا إلا شكر هذه الأريحية للكتور الفاضل إذ قدم كتابه لجمعيةنا تنظر فيه وتطبعه الطبعة الأولى لتتفق ريعها على المشاريع الخيرة أكثر الله في حملة العلم من أمثاله العاملين .

ونعتقد - إذ نقدم للناس هذا السفر النفيس - أنا حققنا مبدأ من مبادئنا السامية وهو نشر آثار التمدن الإسلامي ، وأعظم هذه الآثار ما اتصل خيرة بالناس قاطبة وشمات رحمته كل نفس تختلج . ولعل من يقرأ هذا الكتاب بنزعة إنسانية خالصة يذكر كلمة ربنا :

« ما دخلت مسجداً قط ، إلا عراني خشوع يمازجه أسف على أنني لم أكن مسلماً » فيتمنى أن يكون مسلماً من ذلك الطراز طراز نور الدين وصلاح الدين . وإنا لعلى يقين من أن من طالع تاريخ تلك النفوس السامية لن يقف أمره عند الأسف والخشوع ، ولو أن العبادة تحبى لمخلوق لكانت من حق هذه القلوب الكبيرة التي وسعت رحمتها الناطق والأعجم . فقد تفنن أصحابها في ابتكار أساليب الرحمة تفنن الغربيين في ابتكار أساليب العذاب . وسيترحم عليهم كل من وقف على آثار رحمتهم وهاهو ذا طرف منها بين دفتي هذا الكتاب .

سعيد الافغاني

دمشق : ذو القعدة ١٣٥٧ هـ

عضو جمعية التمدن الاسلامي

تقديم - في الكتاب كثير من النقول وحجج الوقف يرجع عهداها إلى عصور انحطاط اللغة ، ولذلك تغلب عليها الرطانة التركيه والابتذال العامي أو يفشو فيها لحن فاحش . . . ولم نر إصلاح شيء من لغتها وإبقاء على مسحتها التاريخية فانفضى التنويه .

فهرست مواد الكتاب

ضحيقة

- ١ الباب الاول في نشأة البيمارستانات ونظامها وأطبائها وازرافها
- ٤ تفسير كلمة بيمارستان - ٥ حالة الطب عند العرب في مبدأ نشأتهم
- ٩ أول من اتخذ البيمارستان في الاسلام - ١٠ انواع البيمارستانات
- ١١ البيمارستان المحمول - ١٥ المكفوفون والنساء يتعاطون الطب
- ١٧ الأطباء المكفوفون - ١٨ التقسيم الفني لنظام البيمارستان - ٢٠ خزنة
- الشراب - ٢٢ نظر البيمارستان ورتب أطبائه - ٢٥ التوقيع بنظر
- البيمارستان - ٢٦ نسخة توقيع لمن كان في المرتبة الأولى مرتبة المجالس
- العالي - ٢٨ أرزاق الأطباء في البيمارستان وفي الخدمة الخاصة
- ٣٠ كراء عملية جراحية - ٣١ نظام المعالجة في البيمارستان - ٣١ الدرس
- بجانب سرير المريض - ٣٢ الدروس الطبية الاكلينيكية - ٣٨ تدريس
- الطب بالبيمارستان وفي مدارس خاصة - ٤٠ افتتاح المدرسة الدخوارية
- ٤١ اجازة الطب - ٤٤ الاجازة الأولى - ٤٦ الاجازة الثانية - ٤٩ امتحان
- الصيدلة - ٥١ الحسبة - ٥١ المحتسب - ٥٢ الحسبة على الأطباء
- والكحالبين والجراثيمين والمجهرين - ٥٥ عهد انقراط - ٥٧ الحسبة
- على الصيدلة .

٥٩ الباب الثاني في بيمارستانات البلاد الاسلامية على التفصيل

٦١ بيمارستان جند يسابور

الأطباء الذين عملوا فيه :

١ : جورجيس بن بختيشوع - ٢ : بختيشوع بن جورجيس

ط -

٣ : ابراهيم تلميذ جورجيس - ٤ : مرجيس - ٥ : عيسى بن شهلانا
٦ : جبريل بن بختيشوع - ٧ : سابور بن مهمل - ٨ : ااصوبه
٩ : دوشك - ١٠ : ميخائيل بن اخي دوشك - ١١ : عيسى
بن طاهر بخت.

٦٦ : بيمارستانات مصر

٦٦ : ١ : بيمارستان زقاق القناديل

٦٦ : ٢ : بيمارستان المعافر

٦٧ : ٣ : البيمارستان العتيق - الأطباء الذين عملوا فيه :

١ : محمد بن عبدون الجيلي - ٢ : سعيد بن نوفل
٣ : شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصري

٧٤ : ٤ : المارستان الاسفل

٧٥ : ٥ : بيمارستان القشاشين

٧٦ : ٦ : بيمارستان السقطيين

٧٦ : ٧ : البيمارستان الناصري أو الصلاحي أو بيمارستان

صلاح الدين بن أيوب

٧٩ : الأطباء الذين عملوا في هذا البيمارستان :

١ : رضي الدين الرحي - ٢ : ابراهيم بن الرئيس ميمون - ٣ : موفق
الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة - ٤ : الشيخ السديد بن ابي
البيان - ٥ : القاضي نفيس الدين بن الزبير .

٨٢ ٨ : بيارستان الاسكندرية

٨٣ ٩ : البيارستان الكبير المنصوري

٨٩ من اين بني البيارستان المنصوري

٩٠ مرتبة نظر البيارستان - ٩١ سبب بناء البيارستان - ٩٣ استمرار
تعمد البيارستان المنصوري بالعمارة والاصلاح - ١١٢ الآثار الباقية من
البيارستان المنصوري - ١٢٠ الكتابة الاثرية في البيارستان المنصوري
١٢٢ الأعيان التي كانت موقوفة على البيارستان المنصوري - ١٢٥ صورة
من حال البيارستان المنصوري في بعض عصوره

١٢٥ الأطباء الذين عملوا فيه :

١ : علي بن عبد الواحد بن أحمد بن الحضر الشيخ علاء الدين الحلبي - ٢ : محمد
ابن علي بن محمد بن محمد بن علي بن عثمان - ٣ : محمود بن محمد بن علي بن
عبد الله جمال الدين أبو الشفاء القيصري الرومي - ٤ : علي بن عبد الله
ابن محمد الأمير علاء الدين الطبلاني - ٥ : محمد بن أحمد بن عبد الملك
القاضي شمس الدين الدميري - ٦ : علي بن مفتح القاضي نور الدين
٧ : محمد بن محمد بن محمد بدر الدين بن شمس الدين الدميري - ٨ : محمد
بن محمد بدير بن بدر الدين العباسي المعروف بابن العجمي - ٩ : المولوي
السفطي ١٠ : القاضي الشافعي - ١١ : الشرقي الانصاري - ١٢ : محمد
ابن احمد بن يوسف بن حجاج القاضي ولي الدين السفطي - ١٣ : الأتابكي
تمراز - ١٤ : معين الدين شمس - ١٥ : الزيني بركات بن موسى
١٣١ الثقة بالبيارستان المنصوري - ١ : عثمان بن علي بن عثمان بن اسماعيل

ابن يوسف ابن خطيب جبرين - ٢ : زين الدين ابو يحيى
 زكريا الانصاري - وقفية السلطان قلاوون على البيارستان المنصوري
 ١٣٤ ديباجة وقفية السلطان الملك المنصور قلاوون - ١٤٩ وقفية الأمير
 عبد الرحمن كنتخدا - ١٥٩ الأطباء الذين عملوا بالبيارستان المنصوري
 على طول العصور - ١ : أحمد بن يوسف بن هلال بن ابي البركات
 ٢ : الشيخ ركن الدين بن القوبع - ٣ : محمد بن ابراهيم بن ساعد شمس
 الدين المعروف بابن الألفاني - ٤ : عمر بن منصور بن عبد الله سراج
 الدين البهاري - ٥ : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابو الوفا - ٦ : تقي
 الدين الكرمانلي - ٧ : محمد بن علي بن عبد الكافي بن عبد الواحد بن
 محمد بن صغير - ٨ : عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن طريف - ٩ : محمد
 ابن عبد الوهاب بن محمد الصدر بن البهاء السبكي - ١٠ : محمد بن أحمد
 بن ابراهيم بن أحمد بن عيسى الخزومي - ١١ : محمد بن محمد بن علي
 ابن عبد الكافي بن علي ٠٠٠ بن صغير - ١٢ : محمد بن يعقوب بن
 عبد الوهاب الشمس التفهني - ١٣ : محمد بن محمد ولي الدين ابن الشيخ
 محب الدين المحرق - ١٤ : الشيخ محمد شمس الدين القوصوني - ١٥ : علي
 ابن محمد بن محمد بن علي - ١٦ : شهاب الدين بن الصائغ - ١٧ : مدين
 ابن عبد الرحمن القوصوني - ١٨ : خضر بن علي بن الخطاب
 المعروف بالحاج باشا - ١٩ : علي بن جبريل - ٢٠ : الشريف السيد
 قاسم بن محمد التونسي - ١٦٦ المارستان المنصوري في نظامه العصري
 ١٦٩ الأطباء المصريون الذين تولوا العلاج في مارستان قلاوون
 ١ : الدكتور حسين بك عوف - ٢ : الدكتور محمد عوف باشا

- ٣ : الدكتور سعد سامح بك - ٤ : الدكتور محمد شاكر بك
 ٥ : الدكتور محمد طاهر بك - ٦ : الدكتور سالم هنداي بك
 ١٧٢ ١٠ : البيارستان المؤيدي
 ١٧٥ وقف البيارستان المؤيدي
 ١٧٨ بيارستانات العراق والجزيرة
 ١٧٨ بيارستانات بغداد
 ١٧٨ ١ : بيارستان الرشيد
 ١٧٨ ٢ : بيارستان البرامكة
 ١٧٩ ٣ : بيارستان ابي الحسن علي بن عيسى
 ١٨٠ ٤ : بيارستان بدر غلام المعتضد
 ١٨٢ ٥ : بيارستان السيدة
 ١٨٣ ٦ : البيارستان المقتدري
 ١٨٤ الاطباء الذين خدموا البيارستان المقتدري :
 ١ : يوسف الواسطي - ٢ : جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع
 ١٨٤ ٧ : بيارستان ابن الفرات
 ١٨٥ ٨ : بيارستان الأميرابي الحسن بجكم
 ١٨٦ ٩ : بيارستان معز الدولة بن بويه
 ١٨٧ ١٠ : البيارستان العضدي

١٩٣ الأطباء الذين عملوا بالبيارستان العضدي :

- ١ : جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع - ٢ : ابو الحسن علي بن ابراهيم
- بن بكس - ٣ : ابو الحسن علي بن كشكرايا - ٤ : ابو يعقوب
- الاهوازي - ٥ : ابو عيسى بقية - ٦ : نظيف النفس الرومي - ٧ : ابو
- الخيز الجرائحي - ٨ : ابو الحسن بن تفاح - ٩ : الصلت - ١٠ : ابو
- نصر الدحني - ١١ : بنو حسون - ١٢ : عبد الرحيم بن علي
- المرزبان - ١٣ : ابو الفرج بن الطيب - ١٤ : ابو الحسن بن سنان
- ١٥ : هارون بن صاعد - ١٦ : ابو الحسن علي بن هبة الله - ١٧ : امين
- الدولة بن التلعيد - ١٨ : جمال الدين بن اتردي - ١٩ : ابن المارستانية
- ٢٠ : ابو علي بن ابي الخيز مسيحي

١٩٧ ١١ : بيارستان محمد بن علي بن خلف بغداد

١٩٨ ١٢ : بيارستان واسط

١٩٨ ١٣ : البيارستان الفارقي بميفارقين

١٩٩ ١٤ : بيارستان باب محوّل

٢٠٠ ١٥ : بيارستان الموصل

٢٠١ ١٦ : بيارستان حران

٢٠١ ١٧ : بيارستان الرقة

٢٠٢ ١٨ : بيارستان نصيبين

٢٠٣ بيارستانات الشام

٢٠٣ ١ : بیمارستان الوليد بن عبد الملك

٢٠٤ ٢ : بیمارستان انطاكية

٢٠٥ الأطباء الذين عملوا به: ابن بطلان

٢٠٥ ٣ : بیمارستان الصغير بدمشق

٢٠٦ ٤ : بیمارستان الكبير النوري

٢١٦ الأطباء الذين عملوا في بیمارستان الكبير النوري :

- ١ : مذهب الدين النقاش - ٢ : موفق الدين بن المطران - ٣ : ابن حمدان الجرائحي - ٤ : ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس - ٥ : موفق الدين عبد العزيز - ٦ : كمال الدين الحمصي - ٧ : رشيد الدين علي ابن خليفة - ٨ : مذهب الدين عبد الرحيم بن علي - ٩ : مذهب الدين أحمد بن الحاجب - ١٠ : ابن اللبودي - ١١ : عمرات الاسرائيلي - ١٢ : سيد الدين بن رقيقة - ١٣ : أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي - ١٤ : سعد الدين بن عبد العزيز - ١٥ : رضي الدين الرحبي - ١٦ : جمال الدين بن الرحبي - ١٧ : شرف الدين بن الرحبي - ١٨ : شمس الدين محمد الكلبي - ١٩ : عز الدين بن السويدي - ٢٠ : عماد الدين الديسري - ٢١ : بدر الدين بن قاضي بعلبك - ٢٢ : جمال الدين بن عبد الله بن عبد السيد - ٢٣ : عبد الله بن عبد الحق

٢٢٤ ٥ : بیمارستان النوري العتيق بحلب

٢٢٩ ممن عرف من الأطباء الذين خدموا بالبیمارستان النوري بحلب:

١ : هاشم بن محمود

- ٢٢٩ ٦ : بيارستان باب البريد
- ٢٢٩ ٧ : بيارستان حماة
- ٢٣٠ ٨ : بيارستان آخر مجلب
- ٢٣٠ ٩ : بيارستان القدس
- ٢٣٢ الأطباء الذين خدموا بصناعة الطب في مارستان القدس :
- ١ : يعقوب بن صقلاب النصراني — ٢ : رشيد الدين الصوري
- ٢٣٣ ١٠ : بيارستان عكا
- ٢٣٤ ١١ : بيارستان صفد
- ٢٣٥ ١٢ : بيارستان الصالحية أو القيمري
- ٢٤٥ ممن خدم من الأطباء في البيارستان القيمري :
- ١ : ابراهيم بن اسماعيل بن القاسم بن المقداد العيشي
- ٢٤٦ ١٣ : بيارستان الجبل
- ٢٤٦ من الأطباء الذين خدموا في هذا البيارستان :
- ١ : عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون — ٢ : أحمد بن أبي بكر محمد
- ابن حمزة بن منصور
- ٢٤٧ ١٤ : بيارستان غزة
- ٢٤٧ ١٥ : بيارستان الكرك
- ٢٤٨ ١٦ : مارستان حصن الأكراد
- ٢٥٢ ١٧ : البيارستان الجديد مجلب أو بيارستان ارغون الكاملي

- ٢٥٩ ١٨ : البيمارستان الدقاني
 ٢٦٠ ١٩ : بيمارستان الرملة
 ٢٦٠ ٢٠ : بيمارستان نابلس
 ٢٦١ : بيمارستانات الجزيرة العربية
 ٢٦١ ١ : بيمارستان مكة
 ٢٦٥ ٢ : بيمارستان المدينة
 ٢٦٦ : بيمارستانات إيران
 ٢٦٦ ١ : بيمارستان الري
 ٢٦٧ ٢ : بيمارستان أصفهان
 ٢٦٧ ٣ : بيمارستان شیراز
 ٢٦٧ ٤ : دار المرضى بنيسابور
 ٢٦٨ ٥ : بيمارستان زرنج
 ٢٦٨ ٦ : بيمارستان تبريز
 ٢٦٩ ٧ : بيمارستان مرو
 ٢٦٩ ٨ : بيمارستان خوارزم
 ٢٧٠ : بيمارستانات بلاد الروم (أي الأناضول)
 ٢٧٠ ١ : بيمارستان قيسارية أو دار الشفا

- ٢٧١ ٢ : المدرسة الشفائية بسيواس
 ٢٧٥ ٣ : مدرسة قوتلوغ توركان بايران
 ٢٧٥ ٤ : يمارستان أماسية
 ٢٧٥ ٥ : يمارستان ديوركي
 ٢٧٦ ٦ : يمارستان محمد الفاتح
 ومن الأطباء الذين عملوا فيه : ١ : المولى محمود بن الكمال
 ٢٧٦ ٧ : يمارستان السلطان سليمان
 ٢٧٦ ٨ : يمارستان ادرنه — من الأطباء الذين عملوا فيه :
 ١ : الحكيم شهاب الدين يوسف
 ٢٧٧ ٩ : يمارستانات أخرى ببلاد الروم
 ٢٧٧ ١ : يمارستان قصطاموني أو يمارستان علي فرنانه
 ٢٧٧ ب : يمارستان علاء الدين قيقباد بقونية
 ٢٧٨ ج : دار الطب ببروسه
 ٢٧٨ د : يمارستان للجذام بأدرنه
 ٢٧٨ هـ : يمارستان بايزيد الثاني بأدرنه
 ٢٧٨ و : يمارستان خاصكي سلطان باستنبول
 ٢٧٨ ز : يمارستان والده سلطان بمغنيزيه
 ٢٧٨ ح : يمارستان السلطان أحمد باستنبول

٢٧٩ يمارستانات المغرب

٢٨٠ ١ : يمارستان تونس

٢٨٠ ومن الأطباء الذين عملوا بيمارستان تونس :

١ : محمد الشريف الحسيني الزكراوي

٢٨٠ ٢ : يمارستان مراکش أو يمارستان أمير المومنين المنصور

أبي يوسف

٢٨٢ الأطباء الذين خدموا في هذا المارستان :

١ : أبو اسحاق ابراهيم الداني — ٢ : محمد بن قاسم

٢٨٢ ٣ : يمارستان سلا

٢٨٤ ٤ : يمارستان سيدي فرج بفاس

٢٨٨ يمارستان الأندلس

٢٨٨ ١ : يمارستان غرناطة

٢٩٣ فهرس صور الكتاب

٢٩٤ بيان الخطأ وصوابه

٢٩٥ مصنفات المؤلف

فهرست بیمارستانات ودور الشفا ومدارس العلاج

مرتبة على مروف الرحمة

صحيفة	صحيفة
بیمارستان الجديد بحلب ٢٥٢	بیمارستان أحمد بن طولون ٣٩
الجزام بأدرنه » ٢٧٨	آخر بحلب » ٢٣٠
جندیسابور » ٦١	أدرنه » ٢٧٦
حران » ٢٠١	أرغون الكالي » ٢٥٢
حصن الأكراد » ٢٤٨	الأفل » ٧٤
حماء » ٢٢٩	الأسكندرية » ٨٢
خاصكي سلطان » ٢٧٨	أصهبان » ٢٦٧
خوارزم » ٢٦٩	الأعلى » ٦٧
الدقاني » ٢٥٩	أماصية » ٢٧٥
ديوركي » ٢٧٥	أنطاكية » ٢٠٤
الرشيد » ١٧٨	باب البريد » ٢٢٩
الرملة » ٢٦٠	باب محمول » ١٩٩
الري » ٢٦٦	أبي الحسن بيجكم » ١٨٥
زرنج » ٢٦٨	بدر غلام المعتضد » ١٨٠
زقاق القناديل » ٦٦	البرامكة » ١٧٨
السقطيين » ٧٦	تبريز » ٢٦٨
سلا » ٢٨٢	تونس » ٢٧٩
السلطان احمد » ٢٧٨	ثابت » ١٠
السلطان سليمان » ٢٧٦	الجليل » ٢٤٦

صحيفة	١٨٢	بجارسنان السيدة	صحيفة
١٩٧ بجارسنان محمد بن علي بن خلف	٢٨٤	» سيدي فرج	٢٧٦ محمد الفاتح
» ١١ المحمول	٢٦٧	» شيراز	» ٢٦٥ المدينة
» ٢٦٩ صرو	٢٣٥	» الصالحية أو القيصري	» ٢٦١ المستنصري
» ٢٦١ المستنصري	٢٠٥	» الصغير بدمشق	» ٦٦ المعافو
» ٢٦١ مكة	٢٣٤	» صفد	» ٢٦١ مكة
» ٢٨٠ المنصور أبي يوسف	٦٧	» العتيق	» ٢٨٠ المنصور أبي يوسف
» ٢٠٠ الموصل	١٨٧	» العضدي	» ٢٠٠ الموصل
» ١٧٢ المؤيدي	٢٧٧	» علاء الدين قيقباد	» ١٧٢ المؤيدي
» ٢٦٠ نابلس	١٧٩	» أبي الحسن علي بن عيسى	» ٢٦٠ نابلس
» ٧٦ الناصري أو الصلاحي	٢٧٧	» علي فرنانه	» ٧٦ الناصري أو الصلاحي
» ٢٠٢ نصيبين	٢٨٨	» غرناطه	» ٢٠٢ نصيبين
» ٢٢٤ النوري أو العتيق بجلب	٢٤٧	» غزة	» ٢٢٤ النوري أو العتيق بجلب
» ١٩٨ واسط	١٩٨	» الفارقي ببيافارقين	» ١٩٨ واسط
» ٢٧٨ والده سلطان	٢٣٠	» القدس	» ٢٧٨ والده سلطان
» ٢٠٣ الوليد بن عبد الملك	٧٥	» القشاشين	» ٢٠٣ الوليد بن عبد الملك
» ٢٧٧ بجارسنان أخرى ببلاد الروم	٢٧٠	» قيسارية أو دار الشفا	» ٢٧٧ بجارسنان أخرى ببلاد الروم
» ٢٨٨ الأندلس	٢٣٥	» القيصري	» ٢٨٨ الأندلس
» ٢٦٦ ايران	٧٤	» كافور الأخشيد	» ٢٦٦ ايران
» ١٧٨ بغداد	٨٣	» الكبير المنصوري	» ١٧٨ بغداد
	٢٠٦	» الكبير النوري	
	٢٤٧	» الكرك	

صحيفة	صحيفة
٢٧٠ دار الشفا بقدسارية	٢٧٠ بیمارستانات بلاد الروم
٤٦ » » المنصوري	٢٦١ » الجزيرة العربية
٢٧٨ دار الطب بپروسه	٢٠٣ » الشام
٢٦٧ » المرضي بنيسابور	١٧٨ » العراق والجزيرة
٨٣ مارستان قلاوون	١٤ » متنقلة
٢٧٥ » قوتلوغ توركان	٦٦ » مصر
٢٩ المدرسة الدخوارية	٢٧٩ » المغرب
٢٧٠ » شفائية غيائية	٨٣ دار الشفا
٢٧١ » الشفائية بسواس	٢٧٥ » » بمدينة ديوركي



الباب الأول

في

نشأة البيمارستانات ونظامها وأطبائها وأرزاقها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أنبيائه أجمعين .

• • •

هذه كلمة في تاريخ المستشفيات وهي التي كان يعبر عنها بكلمة بیمارستان في العهد الإسلامي إلى العصر الحاضر أي إلى إنشاء مستشفى أبي زعل بضاحية القاهرة وهو أول مستشفى أنشئ على النظام الحديث في مصر سنة ١٨٢٥ م .

وهذه بیمارستانات هي إحدى المنشآت والمباني كالمساجد والتكايا والقباب والمدارس الخ . . التي كان يشيدها الخلفاء والسلطين والملوك والأمرأ وأهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليداً لذكراهم . ولم تكن مهمة هذه بیمارستانات قاصرة على مداواة المرضى بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب ، يتخرج منها المتطببون

والجراحون « الجراحيون » والكحالون كما يتخرجون اليوم
من مدارس الطب .

تفسير كلمة بیمارستان

البیمارستان (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية
مركبة من كلمتين (بیمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب
و (ستان) بمعنى مكان أو دار فهي إذاً دار المرضى ثم اختصرت
في الاستعمال فصارت مارستان كما ذكرها الجوهري في
صاحبه .

وكانت البیمارستانات من أول عهدها إلى زمن طويل
مستشفيات عامة ، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية
وجراحية ورمدية وعقلية ، إلى أن أصابها الكوارث ودار
بها الزمن وحل بها البوار وهجرها المرضى فأفقرت إلا من
المجانين حيث لا مكان لهم سواها . فصارت كلمة مارستان إذا
سمعت لا تنصرف إلا إلى مأوى المجانين .

وقبل الشروع في ذكر البیمارستانات رأينا أن نذكر
كلمة في حال الطب عند العرب في مبدأ نشأتهم في الإسلام ،
ثم نلحقها بالبیمارستانات وترتيبها ونظام المداواة فيها واختيار

الأطباء ومعاملتهم وأرزاقهم والرقابة عليهم ثم نذكر الجبوس
والهبات والأعيان الموقوفة على البيمارستانات ووظائف الأطباء
ورتبهم في الدولة .

مآثر الطب عند العرب في مبدأ نشأتهم

قال القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي في كتابه طبقات
الأئمة : « إن العرب في صدر الإسلام لم تُعْنِ بشيء من
العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعته حاشا علوم الطب
فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند
جماهيرهم لحاجة الناس طرّاً إليها »

وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أناس يعلمون الطب ويعملون به : ذكر ابن الجوزي رحمه
الله تعالى في (صفوة الصفوة) عن هشام بن عروة قال : كان
عروة يقول لعائشة رضي الله عنها يا أمساء لا أعجب
من فقهاء ، أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة أبي
بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة
أبي بكر وكان من أعلم الناس ولكنني أعجب من علمك
بالطب . فضربت على منكبه وقالت : أي عروة ! إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في آخر عمره فكانت تقدم عليه

وفود العرب من كل وجه فتنت له الأنعات فكنت أعالجها
من ثم . « وفي تاريخ الإسلام للذهبي ^(١) قال عروة بن الزبير :
ما رأيت أعلم بالطب من عائشة فقلت يا خالة : من أين تعلمت
الطب ؟ قالت : كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه .
وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن سعيد قال : « مرضت مرضاً
فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين
ثديني حتى وجدت بردها على فؤادي فقال إنك مفوود ، أنتِ
الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه يتطبَّب ^(٢) . »

وفي الموطأ عن زيد بن أسلم : أن رجلاً في زمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصابه جرح فاحتقن الجرح بالدم وأن
الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظر إليهما فزعا أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيكما أطب » فقالا : « أو في
الطب خير يا رسول الله ؟ فزعم زيد أن رسول الله قال :
« أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء . »

وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله عنه
قال : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي طيباً فقطع
منه عرقاً . »

(١) ص ١٣٨ مخطوط بدار الكتب الملكية .

(٢) الجزء الثاني من تخريج الدلالات السعوية .

وكان في العرب كثير من المتطبيين يخلط بعضهم بين الرقي^١
والتطبيب ، وبعضهم الآخر كان قد تعلم الطب في فارس أو في
إحدى البلاد المجاورة لجزيرة العرب ثم رجع إلى موطنه يعاني
صفة التطبيب ، ومن هؤلاء المتطبيين :

الحارث بن كلدة الثقيفي تعلم الطب في (جند يسابور)
بلدة من مقاطعة خوزستان أحد أقاليم فارس .

وابنه النضر بن الحارث بن كلدة تعلم الطب حيث تعلم أبوه .
وعبد الملك بن أبجر الكناني كان في أول أمره مقيماً
بالإسكندرية لأنه كان المتولي التدريس بها بعد الإسكندرانيين .
وابن أبي رمانة التميمي فقد كان جراحاً مشهوراً .

زينب طيبة بني أود فقد كانت خبيرة بالعلاج ومداواة
العين والجراحات ، مشهورة بين العرب بذلك .

الشمردل^(١) بن قباب الكعبي النجرائي كان في وفد
نجران بني الحارث بن كعب فنزل الشمردل بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا رسول الله بأي أنت وأمي إني كنت كاهن قومي
في الجاهلية وإني كنت أقطب ، فما يحمل لي فأني تأتيني الشابة »

(١) الإصابة لابن حجر العسقلاني .

قال : « فصد العرق ومجسة الطعنة إن اضطرت ولا تجعل
من دوائك شر ما وعليك بالسنا ولا تداو أحداً حتى تعرف
دأه . » فقَبَّلَ ركبتيه وقال : « والذي بعثك بالحق أنت أعلم
بالطب مني . »

وحماد بن ثعلبة الأَزْدِيّ من أَزْدِ شَنْوَةَ ، قال ابن عباس :
« قدم^(١) رجل من أَزْدِ شَنْوَةَ يقال له حماد مكة مُعْتَمِراً
فسمع كفار قريش يقولون : محمد مجنون . فقال : لو أتيتُ هذا
الرجلَ فداويته فجاءه فقال : « يا محمد إني أدوي من الريح
فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك » فتشهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجب ذلك حماداً فقال :
« أَعِدْهَا عَلَيَّ » فأعادها عليه فقال : « لم أسمع مثل هذا الكلام
قط ، لقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت
مثل هذا قط ، لقد بلغ قاموس البحر يعني قعره . فأسلم وشهد شهادة
الحق وباعه على نفسه وعلى قومه . »

أم عطية الأنصارية^(٢) نسبة التي أمرها النبي صلى الله عليه
وسلم أن تغسل بنته زينب ، لها أحاديث . روى عنها محمد بن سيرين

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جزء ٤ قسم ١ ص ١٧٧

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ص ٤٢٨ مخطوط

واخته حَفْصَة وأُمُّ شَراحيل وعلي بن الأحمر وعبد الملك بن عمير
وهشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أُم عطية قالت :
غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع
لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى .

أول من اتخذ البيمارستان في الاسلام

روى مسلم رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماء رجل من قریش ابن
العرقة ، رمي في الأَكحل^(١) ، فضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيمة في المسجد يعوده من قريب^(٢) . وقال ابن اسحاق في
السيرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن
معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفَيْدَة في مسجده ،
كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به
ضبعة من المسلمين وقد كان رسول الله قد قال لقوم حين أصابه
السهم بالخندق : « اجعلوه في خيمة رُفَيْدَة حتى أعوده من قريب^(٣) » .
فيفهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أول من أمر بالمستشفى

(١) الأَكحل هو Veine mediane basoïlgne

(٢) الجزء الثاني من تخريج الدلالات السمعية .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٨٨ طبع جوتنجي .

الحربي المنتقل . وقال نبي الدين المقرئزي : أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى ، الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي في سنة ٨٨ هـ (٧٠٦ م) وجعل في البيمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق . وقال محمد بن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك ^(١) : « كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم ، بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنار ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذمين وقال : « لا تسألوا الناس » وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً .

أنواع البيمارستانات

كان للبيمارستانات نوعان : ثابت ومحمول فالثابت ما كان بناءً ثابتاً في جهة من الجهات لا ينتقل منها وهذا النوع من البيمارستانات كان كثير الوجود في كثير من البلدان الإسلامية لا سيما في العواصم الكبرى كالقاهرة وبغداد ودمشق . . . الخ . ولا يزال أثر بعضها باقياً على مرّ الدهور إلى الآن كالبيمارستان المنصوري (فلاوون الآن) بالقاهرة ، والبيمارستان المؤيدي بالقرب من القلعة بالقاهرة أيضاً ، والبيمارستان

(١) حوادث سنة ٩٦ ص ١٢٧

النوري الكبير بدمشق والبيمارستان القيصري بها أيضاً، وبيمارستان
أرغون بجلب ٠٠٠ الخ ٠ مما سيأتي ذكره ٠

البيمارستان المعمول

هو الذي ينقل من مكان إلى مكان بحسب ظروف الأمراض
والأوبئة وانتشارها وكذا الحروب ، وهو المعبر عنه في العصر
الحاضر بكلمات Ambulance بالفرنسية و Feldlazareth بالألمانية
و Ambulance بالإنجليزية و Ambulanza بالإيطالية ٠

كان هذا النوع من البيمارستانات معروفاً لدى خلفاء الإسلام
وملوكهم وسلاطينهم وأطبائهم بل الراجح أن يكونوا هم أول
من أنشأه ، وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى
والمدعاة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشرية وملابس وأطباء
وصيادلة وكل ما يعين على ترفيه الحال على المرضى والعجزة
والمزمنين والمسجونين ينقل من بلد إلى أخرى من البلدان الحالية
من بيمارستانات ثابتة أو التي يظهر فيها وباء أو مرض معدٍ ٠

قال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة^(١) : « إن الوزير علي
ابن عيسى بن الجراح^(٢) في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر

(١) ابن القفطي ص ١٩٣ طبعة ليدن وابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢١

(٢) ولد سنة ٢٤٥ هـ وتوفي سنة ٣٣٥ هـ

بالله وتدير المملكة في أيام وزارة حامد بن أبي العباس وقع
إلى والده سنان بن ثابت في سنة كثرت فيها الأمراض جدًّا ،
وكان سنان يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعاً نسخته :
« ففكرت مدّ الله في عمرك في أمر من في الجبوس وأنهم لا
يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنتهم أن ننالهم الأمراض ،
وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من
الأطباء في أمراضهم ، فينبغي أكرمك الله أن نفرّد لهم أطباء
يدخلون إليهم في كل يوم ، ويحملون معهم الأدوية والأشربة
وما يحتاجون إليه من المزوّرات ^(١) ، ولتقدم إليهم بأن يدخلوا
سائر الجبوس ، ويعالجوا من فيها من المرضى ، ويريحوا عليهم فيما
يصفونه لهم إن شاء الله تعالى . » ففعل سنان ذلك .

ثم وقع إليه توقيعاً آخر :

« ففكرت فيمن بالسواد من أهله وأنه لا يخلو من أن
يكون فيه مرضى لا يشرف متطبيب عليهم لخلو السواد من الأطباء ،
فتقدم مدّ الله في عمرك بإيفاد متطبيين وخزانة من الأدوية
والأشربة يطوفون السواد ، ويقيمون في كل صقع منه مدة

(١) المزورات هي التي تسمى الآن (شربة الخضر) أي خضر بدون

لحم ولا دسم .

ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ، ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره . « ففعل سنان ذلك وانتهى أصحابه إلى سورا ^(١) بلدة من بلاد العراق والغالب على أهلها اليهود . فكتب سنان إلى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب أصحابه عليه من السواد ^(٢) : بأن أكثر من بسورا وشهر ملك يهود ، وأنهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم أو الانصراف عنهم إلى غيرهم ، وأنه لا يعلم بما يجيبهم به إذ كان لا يعرف رأيه في أهل الذمة ، وأعلمه أن الرسم في بيمارستان الحضرة قد جرى للعلي والذمي .

فوقع الوزير توقيعاً نسخته :

« فهمت ما كتبت به أكرمك الله ، وليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهايم صواب ، ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهايم ، والمسلمين قبل أهل الذمة ، فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف في الطبقة التي بعدهم ، فاعمل أكرمك الله على ذلك واكتب إلى أصحابك به ، ووصّ بالتثقل في القرى ، والمواضع التي فيها

(١) قال ياقوت : سورا على وزن بشرى موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين .

(٢) السواد رستاق العراق وضياعا التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب ممي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار .

الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية ، وإن لم يجدوا بذرة ^(١)
توقفوا عن المسير حتى يصح لهم الطريق ويصلح السبيل فإنهم
إن فعلوا هذا وقفوا إن شاء الله تعالى . »

ونذكر مثلاً من البيمارستانات المتنقلة التي كان يستعملها
السلطان في تنقلاتهم وحروبهم ما ذكره ابن خلكان ^(٢) وابن
القفطي ^(٣) قالا : « إن أبا الحكم المغربي عبد الله ^(٤) بن المظفر
ابن عبد الله المرسي نزيل دمشق ، كان طبيب البيمارستان الذي
كان يحمله أربعون رجلاً ، المستصحب في معسكر السلطان محمود
السلجوقي حيث خيم . وكان القاضي السديد أبو الوفا يحيى بن
سعيد بن يحيى بن المظفر المعروف بابن المرخم الذي صار قاضي
القضاة ببغداد في أيام الإمام المقتفي فاصداً وطبيباً في هذا
البيمارستان المحمول المذكور . وكان أبو الحكم يشاركه .
وكانت العادة في دولة المماليك ^(٥) أن يخرج السلطان ومعه

(١) بذرة أي خفر وأمن .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٤ طبعة بولاق وص ٣٨٤ طبعة باريس .

(٣) تاريخ الحكماء ص ٤٠٥ طبعة ليدن .

(٤) وفي شذرات الذهب لابن العماد عبيد الله بن المظفر الباهلي الأندلسي

توفي سنة ٥٤٩ هـ

(٥) خطط القرطبي ج ٢ ص ٢٠٠ طبعة بولاق .

الأمراء والأعيان إلى القصور التي بنوها خارج المدن وقيم فيها
 أياماً فيمر بالناس في إقامتهم هناك ، أوقات لا يمكن وصف ما فيها
 من المسرات ، ولا حصر ما ينفقه فيها من المآكل واللبات
 والأموال . ويصحب السلطان في السفر غالب ما تدعو الحاجة
 إليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الأطباء
 وأرباب الكحل والجراح والأشربة والعقاقير وما يجري مجرى
 ذلك . وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف له من
 الشرايخانة أو الدواء خاياه المحمولين في الصحبة . وكان من عادة
 السلطان الملك الظاهر برقوق^(١) التردد على بلدة سرياقوس
 بركب عظيم وحفل كبير ، والبيات فيها مستمراً إلى سنة ٧٩٩ هـ
 مصحوباً بكل ما سبق .

المكفوفون والنساء يتعاطون النطيب

النساء اللاتي عانين صناعة الطب

كان تعلم الطب ومعاونة التطبيب مكفولين لأي كان ذكرًا
 أو أنثى مبصرًا أو مكفوفًا .
 كانت زينب^(٢) طبيبة بني أود من الماهرات في صناعة

(١) الخطط التوفيقية لعلي مبارك باشا ج ١٢ ص ٢٤

(٢) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٢٣

الكحالة عالمة بصناعة الطب والمداواة ولها خبرة جيدة بمداواة
آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب بذلك . ذكر أبو
الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني : « قال رجل من الأعراب :
أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان أصابني ،
فكحلني ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك
فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

أختري ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على النأي زينبا
فضحكت^٥ ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت :
لا . قالت : في^٦ والله قيل ، وأنا زينب التي عناها ، وأنا طيبة
بني أود أفندري من الشاعر ؟ قلت : لا . قالت : عمك أبو سمالك
الأزدي . »

ورُفيدة الأسلمية اتخذت خيمة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم وكانت تداوي الجرحى . وكانت أخت الحفيد^(١) أبي بكر
ابن زُهر وبناتها عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولها خبرة جيدة
فيما يتعلق بمداواة النساء وكانتا تدخلان لنساء المنصور أبي يوسف
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ولا يقبل للمنصور وأهله ولدًا
إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها .

(١) طبقات الاطباء ج ٢ ص ٧٠

وكانت أم الحسن^(١) بنت القاضي أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم
أبي جعفر الطنجالي من أهل لوشة (بلدة بالأندلس) تجوّد
القرآن وتشارك في فنون من الطلب وأفراد مسائل الطب وتنظم
الشعر .

الاطباء المكفوفون

كان أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس طبيباً مكفوفاً
وكان فاضلاً عاملاً بصناعة الطب متقناً لها غاية الإتقان وكان
يدرس الطب في البيارستان العَصْدي ويفيد الطالبين وكان إذا
أراد معرفة سحنات الوجوه وحال بول المرضى حوّل على من
يكون معه من تلاميذه في وصفه ذلك^(٢) .

وأبو الحسن بن مكين البغدادي الضرير^(٣) قاد الحكمة بزمائها
وكان مكفوفاً يقوده تلميذه إلى ديار المرضى وكان أبو الخير
يهجته في كتاب (امتحان الأطباء) وقال : من قاد أعمى شهراً (يعني
ذلك الطبيب) تطب وعالج وأهلك الناس .

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ج ١ ص ٢٦٥

(٢) تاريخ الحكماء لابن القفطي ص ٢٣٦ طبعة ليدن

(٣) تاريخ حكماء الإسلام لظهر الدين البهقي مخطوط

وأبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحنّاط^(١) المكفوف الشاعر
الضرير القرطبي كان أوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والإسلام
بصيراً بالآثار العلوية حاذقاً بالطب والفلسفة ماهراً في العربية
والآداب الإسلامية ولِدَ أعشى ضعيف البصر متوقد الخاطر فقراً
كثيراً في حال عَشاء ثم طَفِيَ نورُ عينه بالسكّية فازداد براءة،
ونظر في الطب بعد ذلك فأنجح علاجاً. وكان ابنه يصف له
مياه الناس المستفتين عنده فيتهدى منها إلى ما يتهدي إليه البصير
ولا يخطئ الصواب في فنواه لسرعة الاستنباط، وتطبب عنده
الأعيان والملوك فاعترفوا له بمنافع جسيمة.

التقسيم الفني لنظام البيمارستان

لم تكن البيمارستانات تسير اتفاقاً بغير نظام ولا ترتيب، بل
كانت على نظام تام وترتيب محمود تسير أعمالها على وتيرة منتظمة.
كانت البيمارستانات منقسمة إلى قسمين منفصلين بعضهما عن
بعض، قسم للذكور وقسم للإناث^(٢) وكل قسم مجهز بما يحتاجه
من آلة وعدّة وخدم وفراشين من الرجال والنساء وقوّام
ومشرفين.

(١) الذخيرة لابن بسام ج ١ ص ٢٣٠ مخطوط

(٢) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٠

وفي كل قسم من هذين القسمين عدة قاعات لمختلف الأمراض:
 ققاعة للأمراض الباطنة ، وقاعة للجراحة ، وقاعة للكحالة ، وقاعة
 للتجبير^(١) . وكانت قاعة الأمراض الباطنة منقسمة إلى أقسام
 أخرى : قسم للمحمومين^(٢) وهم المصابون بالحمى ، وقسم للممرورين
 وهو لمن بهم المرض المسمى (مانيا) وهو الجنون السبعي^(٣) ، وقسم
 للمبرودين أي المتخومين ، ولمن به إسهال قاعة ٠٠ الخ .
 وكانت قاعات البيمارستان فسيحة حسنة البناء وكان الماء
 فيها جارياً^(٤) .

وللبيمارستان صيدلية تسمى شرايخاناه ولها رئيس يسمى شيخ
 صيدلي البيمارستان^(٥) .

وللبيمارستان رئيس يسمى ساعور^(٦) البيمارستان . ولكل قسم

(١) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٤٢

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٤٣ وج ١ ص ٢٥٤

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٦٠

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٦٠

(٥) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٠٩

(٦) الساعور مقدم النصارى في معرفة علم الطب وهو بالسريانية ساعورا
 ومعناه متفقد المرضى

من أقسامه رئيس . فكان فيه رئيس للأمراض الباطنة ، ورئيس
للجراحية والمجهرين ، ورئيس للكحاليين .
وللبيارستان الفراشون من الرجال والنساء والمشارفون والقوام
للخدمة أيضاً ^(١) ولهم المعاليم الوافية والجامكية الوافرة .

خزانة الشراب

هي الصيدلية في البيارستان قال أبو العباس القلقشندي ^(٢) : هذه
الخزانة هي المعبر عنها في زماننا (أي زمن القلقشندي المعوف سنة
٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) بالشرابخانة وهي الحواصل المعبر عنها بالبيوت ،
ذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالشراب
خاناه والطشت خاناه والطبل خاناه ونحوها وخاناه لفظ فارسي
معناه البيت فتأويلها بيت الشراب الخ . إلا أنهم يؤخرون المضاف
عن المضاف إليه على عادة الفرس في ذلك . وكان فيها من
أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة والمريات الفاخرة وأصناف
الأدوية والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها . وفيها من
الآلات النفيسة والآنية الصيني من الزبادي والبراني والأزيار
مالا يقدر عليه غير الملوك . وقد كان لكل مارستان خزانة

(١) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٥٥

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٦

للشراب كاملة كما في وقفية المارستان المنصوري (قلاوون) وغيره
ولكل شراب خاناه « مهتار » يعرف بمهتار الشراينخاناه (ومهتر
بالفارسية بمعنى رئيس) متسلم لحواصلها له مكانة عالية وتحت يده
غلان عنده برسم الخدمة يطلق على كل واحد منهم شراب دار^(١)
وفي الشراينخاناه الخاصة بالسلطان وظيفة الشاد بها تكون
لأمير من أكابر أمراء المئين الخاصكية المؤتمنين ولها مهتار
يعرف بمهتار الشراينخاناه متسلم لحواصلها^(٢)
ووظيفة الشاد موضوعها التحدث في أمر الشراينخاناه السلطانية
وما عمل إليها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك وتارة
يكون مقدماً^(٣) وتارة يكون طبلخاناه^(٤) .

(١) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠

(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩١

(٣) المقدم منصب من الدرجة الأولى من مناصب الدولة في حكم
الماليك ويقال لأربابها مقدمو الألواف ، ولكل واحد منهم التقدمة على
ألف فارس ممن دونه من الأمراء وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الأمراء
على تقارب درجاتهم ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب وكانت
عدتهم أربعة وعشرين مقدماً بالديار المصرية ، ثم نقصت عدة المقدمين عما
كانت عليه بعد ذلك وصارت دائرة بين الثانية عشر والعشرين مقدماً منهم
نائب الاسكندرية ونائب الوجهين القبلي والبحري .

(٤) الطبلخاناه منصب من الطبقة الثانية من مناصب الدولة في حكم -

نظر البيمارستان ورتب أطبائه

كان للبيمارستان ناظر ينظر أو يشرف على إدارته وكان النظر عليه معدوداً من الوظائف الديوانية العظيمة قال أبو العباس أحمد القلقشندي^(١) :

« من الوظائف الديوانية نظر البيمارستان وقد صار النظر عليه معدوقاً بالنائب (نائب السلطان) يفوض التحدث فيه إلى من يختاره من أرباب الأقلام . » وقال عند الكلام عن نائب السلطنة : « ومعه (أي نائب السلطان) يكون نظر البيمارستان الكبير النوري الذي بدمشق كما يكون نظر البيمارستان المنصوري (قلاوون) بالقاهرة مع أتابك^(٢) العساكر » وقال عن

الماليك ، ويكون للواحد منهم أربعون فارساً إلى ثمانين فارساً . وهذه الطبقة لا ضابط لعدة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص ومن أمراء الطبائخاناه تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال وأكابر الولاية (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥)

(١) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨٤

(٢) أصله أطابك ومعناه الأمير ويعبر عنه أيضاً بالنائب الكافل وكافل الماليك الإسلامية وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان وبعلم في النقايد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما يعلم عليه السلطان . وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التمييز . وجميع نواب الممالك تكتابه فيما تكتائب .

الوظائف الكبيرة بالقاهرة : « إن منها صحابة ديوان البيمارستان وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث به ناظر البيمارستان ^(١) » وقال عن وظيفة نظر البيمارستان والمراد البيمارستان النوري : « هي من أجل الوظائف وأعلالها وعادة النظر فيه من أصحاب السيوف لا كبار الأمراء بالديار المصرية ^(٢) وذكر ابن إياس ^(٣) : « إن نظر البيمارستان كان من أهم وظائف الدولة يتولاه الأتابكي ويذهب إليه في حفلة حافلة » وقال في حوادث سنة ٩٠١ هـ ومستهلهما يوم الأحد : « في هذا اليوم خلع على الأتابكي تمراز وقرره في نظر البيمارستان المنصوري فتوجه هناك في موكب حافل » وذلك كان في سلطنة الملك الأشرف أبي النصر قايتباي المحمودي في عصر الخليفة المتوكل على الله العباسي . وقال خليل بن أيبك ^(٤) الظاهري

فيه السلطان ويستخدم الجند وبعين أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر فهو سلطان مختصر بل هو السلطان الثاني (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤)

(١) صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٤

(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٨

(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس المتوفى ٩٣٠ هـ - ١٥٢٤ م

ج ٢ ص ١٩٢

(٤) زبدة كشف الممالك ص ١١٠

« إن للبيمارستان شاداً وظيفته من وظائف الدولة تقضي لمن يستقر فيها إمرة عشرين حاجباً » وقال أبو العباس القلقشندي^(١) « من الوظائف بدمشق وظائف أرباب الصناعات منها رئاسة الطب ورئاسة الكحلة ورئاسة الجراحية وكلها على نحو ما هو موجود في الديار المصرية وولاية كل منها بتوقيع كريم من النائب^(٢) »
وألقاب أرباب الوظائف من أهل الصناعات هي :

١ - رئيس الأطباء وهو الذي يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم في التطبيب ونحو ذلك :

٢ - رئيس الكحالين وحكمه في الكلام على طائفة الكحالين
حكم رئيس الأطباء في طائفة الأطباء .

٣ - رئيس الجراحية وحكمه في الكلام على طائفة الجراحية والمجبرين كالرئيس المتقدم^(٣) .

و كانت أعظم الوظائف الصناعية في الدولة الفاطمية بمصر وظائف الأطباء فكانت ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية كرئاسة الطب من الدرجة الأولى درجة المجلس أو إمرة المجلس وموضوعها القحدث

(١) صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٤

(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩٤

(٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٧

على الأطباء والكهالين ومن شاكلهم ولا يكون إلا واحداً وفي
المرتبة الأولى مرتبة المجلس العالي .

وكان من الوظائف الصناعية العظيمة وظيفة الطبيب الخاص
وهو الطبيب الخاص بالخليفة يجلس على باب دار الخلافة كل يوم
ويجلس على الدكك التي بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر ،
دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون (الخدم والطواشي)
فيستدعون منهم من يجذونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات
الأقارب والخواص ، فيكتب لهم رقاعاً على خزانة الشراب فيأخذون
ما فيها وتبقى الرقاع عند مباشرها شاهداً لهم ولكل منهم الجاري
والراتب على قدره ^(١) .

التوقييع بنظر البيمارستان

التوقييع بنظر البيمارستان هي المراسيم بتعيينهم في وظائفهم
وسنأتي هنا ببعض صور من تلك التوقييع . وهم أي النظار من
الدرجة الأولى : درجة المجلس .

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٦

نسخة توقيع لمن كان في المرتبة الأولى مرتبة المجلس العالي

المجلس العالي القضائي العالي الفاضلي الكامل الأوحدي فلان
..... جمال الإسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين أوحده
الفضلاء والمقربين خاصة الملوك والولاة^(١).

وهذه صورة أخرى لما يكتب به من المراسيم لناظر البيمارستان
لصاحب سيف كتب: توقيع شريف أن يفوض إلى المقرّ الكريم
أو الجناب الكريم أو العالي (على قدر رتبته) الأمير الكبير
الفلاني فلان الناصري (مثلاً) أعزّ الله أنصاره أو نصرته أو ضاعف
الله نعمته (بحسب ما يليق به) نظر البيمارستان المعمر المنصوري على
أجل العوائد وأكمل القواعد بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان
المعمر على ما شرح فيه^(٢).

وهذه نسخة توقيع بنظر البيمارستان العتيق (الناصرى) الذي
رتبه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في بعض قاعات قصر
الفاطمين وهي:

رسم بالأمر الشريف لا زالت أيامه تفيد علاء ، وتستخدم
أكفاء ، وتُضفي ملابس النعماء ، على كل علي فتكسوه بهجة وبهاء

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ١٦٨

(٢) صبح الأعشى ج ١١ ص ١١٢

أن يستقر فلان في نظر البيارستان الصلاحي بالقاهرة المحروسة بالمعلوم
 الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت لكفاءته التي اشتهر ذكرها ،
 وأمانته التي صدق خبرها خبرها ، ونزاهته التي أضحت بها على النفس
 فغدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته أحلت قدره أسمى رتبة فلا غرو أن
 يكون علياً ، فليباشر البيارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ،
 وتميز بها أوضاعه ، ويضحي عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان
 حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدا صلاحي ، وليجعل
 همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة
 بثمير ريعه ، حتى يتضاعف مداد معروفه ، ويلاحظ أحوال من فيه ،
 ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراعي مصالح حاله في تنميته وتنزكيته
 حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، وليتناول المعلوم
 الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف
 أعلاه ^(١) .

(١) صبح الأعشى ج ١١ ص ٢٦٨

أرزاق الأطباء

في بیمارستان وفي الخدمة الخاصة

كان للأطباء على وجه العموم من لدن الخلفاء والملوك والأمراء ، الإحسان الكبير والأفضال الغزيرة ، والجامكية الوافرة والصلوات المتواترة ، وكانت تطلق للأطباء مع الجامكية الجراية وعلوفة اللدابة التي يركبونها .

أما المراتب الشهرية فكانت كما يأتي :

أطباء الخاص (أي المنقطعون للخليفة أو السلطان) وكانا اثنين لكل منهما في الشهر خمسون ديناراً^(١) ولمن دونهما من الأطباء وهم نحو ثلاثة أو أربعة ، المقيمين بالقصر لكل واحد منهم عشرة دنانير^(٢) ولكل طبيب بالمارستان ما يقوم بكفايته^(٣) .

فكان للأطباء بالمارستان على العموم جامكية خمسة عشر ديناراً وكان لبعضهم رزقان أي ثلاثون ديناراً في كل شهر لعملين مختلفين كرضي الدين الرحبي ، فقد أطلق له صلاح الدين يوسف بن أيوب في

(١) الدينار خمسة عشر فرنكاً فرنسياً ذهباً « الخطط التوفيقية لعلی مبارک

باشا ج ٤ ص ٤٦ »

(٢) صبح الاعشى ج ٣ ص ٥٢٥

(٣) طبقات الأطباء ١٦٠ ص ٢٤٤

كل شهر ثلاثين ديناراً^(١) ويكون ملازماً للقلعة والبيمارستان ، وبعد وفاة صلاح الدين أطلق له الملك المعظم عيسى بن الملك العادل خمسة عشر ديناراً ويكون متردداً إلى البيمارستان .

وكان لبعضهم كجبرائيل الكحال ألف درهم في كل شهر^(٢) . وكان لماسويه جامكية من الفضل في كل شهر ستماية درهم وعلوفة دابته ، ثم تزيد إلى ألفي درهم ومعونة في السنة عشرة آلاف درهم وعلوفة ونزل . ومن كان يأخذ رزقين جبريل بن عبد الله بن بختيشوع ، فكان يأخذ برسم الخاص ثلاثمائة درهم شجاعية^(٣) وبرسم البيمارستان ثلاثمائة درهم شجاعية سوى الجراية . وكان لعز الدين بن السويدي جامكية في أربع جهات^(٤) في البيمارستان النوري وفي بيمارستان باب البريد في دمشق وللتردد على قلعة دمشق ولتدريسه في مدرسة الدخوارية .

وكان من أطباء الأمير سيف الدولة بن حمدان من يأخذ رزقين

(١) تاريخ الحكماء لابن القفطي ص ١٤٨

(٢) ابن القفطي ص ١٥٢ - الدرهم يساوي قرشين مصريين أو نصف الفرنك الإفرنجي الذهب تقريباً .

(٣) لعلها منسوبة إلى الأمير علم الدين سنجر الشجاعي لأنه صار وزيراً كبيراً .

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢١٦

لتعاطيه علمين ، ومن يأخذ ثلاثة أرزاق لتعاطيه ثلاثة علوم وكان في
 جملةهم عيسى النفيس الطبيب فكان يأخذ ثلاثة أرزاق : رزقاً للنقل
 من السرياني إلى العربي ، ورزقين آخرين بسبب علمين آخرين ^(١) .
 ولم يكن حسن موقع الأطباء لدى الخلفاء والملوك وإطلاق
 الجامكية الوافرة لهم بمانع من أن يشتغل بعضهم في البيمارستان
 احتساباً ، فقد كان كمال الدين الحمصي يتردد على البيمارستان
 الكبير النوري يعالج المرضى فيه احتساباً ^(٢) .

وقد بلغ بعض الأطباء من حسن الحال ورغد العيش إلى درجة
 عظيمة ، فقد بلغ بختيشوع في زمان الخليفة المتوكل في الجلالة
 والرفق وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة
 ومباراة الخليفة في اللباس والزي والطيب والفرش والضيافات
 والتفسخ في النفقات مبلغاً يفوق حد الوصف ^(٣) .

كرامات وعملية إبراهيم

من المستملح أن يعرف أهل زماننا الحاضر مقدار ما كان
 يتناوله الطبيب في ذلك العصر السالف أجراً لعملية أجريت لريض
 قال سليمان بن حسان : حدثني أحمد بن يونس الحراني قال :

(١) ابن القفطي ص ٢٥٠

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٠١

(٣) ابن القفطي ص ١٠٢

حضرت بين يدي أحمد بن وصيف الصابي وقد حضر سبعة
 أنفُس لقدح أعينهم (وهي العملية التي تعمل للهاء أي الكثرة كُنَّا)
 وفي جملتهم رجل من أهل خراسان ، أقعده بين يديه ونظر إلى
 عينيه فرأى ماء تهباً للقدح ، فساووه على ذلك واتفق معه على
 ثمانين درهماً (أي ما قيمته جنيهان الآن) وحلف أنه لا يملك
 غيرهما فلما حلف الرجل اطمان وضمه إلى نفسه فوَقعت يده على
 عضده فوجد فيها نطاقاً صغيراً فيه دنانير . فقال له ابن وصيف :
 ما هذا ؟ فتلوَّى فقال له ابن وصيف : قد حلفت بالله وأنت حاث
 وترجوه رجوع بصرك إليك ! والله لا أعالجك إذ خادعت ربك .
 فطلب إليه ، فأبى أن يقدحه وصرف إليه الثمانين درهماً ولم يقدح عينه^(١)

نظام المعالجة في البيمارستان

الدرس بجانب سرير المريض

كان في البيمارستان طريقتان للعلاج : علاج خارجي أي أن
 المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه في منزله
 وعلاج داخلي يقيم المريض في أثنائه في البيمارستان في القسم
 الخاص والقاعة الخاصة بمرضه حتى يشفى .

ففي الطريقة الأولى كان الطبيب يجلس على دكة ويكتب

(١) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٣٠

لمن يرد عليه من المرضى للعلاج أوراقاً يعتمدون عليها ، يأخذون
 بها من البيمارستان الأشربة والأدوية التي يصفها الطبيب^(١)
 وأما العلاج الداخلي أي في داخل البيمارستان ، فكان المرضى
 يوزعون على القاعات بحسب أمراضهم ، وكان لكل قسم من أقسام
 البيمارستان طبيب أو اثنان أو ثلاثة أطباء^(٢) بحسب اتساعه وكثرة
 المرضى ، وكان إذا دعا الحال يدعى طبيب من قسم آخر غير القسم
 الذي فيه المريض للاستشارة^(٣) .

وكان الأطباء يشتغلون في البيمارستان بالنوبة فجبريل بن
 بختيشوع كانت نوبته في الأسبوع يومين وليلتين^(٤) .

الدروس الطبية (الكلينيكية)

قال موفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة^(٥) :

كنت بعد ما يفرغ الحكيم مذهب الدين والحكيم عمران
 من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ

(١) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٤٣

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٤٣

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٧٩

(٤) ابن القفطي ص ١٤٨

(٥) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٤٣

رضي الدين الرحبي فأعين كيفية استدلاله على الأمراض ؛
وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه في كثير
من الأمراض ومداواتها ثم قال : وكان معه (أي مع مذهب
الدين) في البيمارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من
أعيان الأطباء وأكبرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاج
فتضاعف الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ومما كان يجري بينهما من
الكلام في الأمراض ومداواتها وما كانا يصفان للمرضى .

وذكر موفق الدين أبو العباس ابن أبي أصيبعة ^(١) نقلاً عن
شيخه مذهب الدين عبد الرحيم بن علي : أنه كان في البيمارستان
الكبير النوري وهو يعالج المرضى المقيمين به فكان من
جملتهم رجل به استسقاء زقي قد استحكم به وقصد إلى بزله ،
وكان في ذلك الوقت في البيمارستان ابن حمدان الجرائحي وله يد
طولى في العلاج فجزموا على بزل المستسقى ، قال : فحضرنا
وبزل الموضع على ما يجب . وذكر أن أبا المجد بن أبي الحكم ^(٢)
كان يدور على المرضى بالبيمارستان الكبير النوري ، ويتفقد
أحوالهم ، ويعتبر أمورهم ، وبين يديه المشارفون والعوام لخدمة

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٧٩

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٥٥

المرضى فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير
لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك . قال : « وبعد فراغه من
ذلك يأتي فيجلس في الإيوان الكبير الذي للبيمارستان وجميعه
مفروش ، ويحضر كتب الاشتغال . وكان السلطان نور الدين
محمود بن زنكي قد وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من
الكتب الطبية وكانت في الخريستانين (الخريزانيين) اللذين في صدر
الإيوان ، فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون
بين يديه ، ثم يجري مباحث طبية ويقرئ التلاميذ ولا يزال
معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب الطبية مقدار ثلاث
ساعات ، ثم يركب إلى داره .
وكان بعض متقدمي الأطباء قد جعل له مجلساً عاماً لتدريس
صناعة الطب للمشتغلين عليه .

وقد وقف مهذب الدين عبد الرحيم بن علي سنة ٦٢٢ ، الدار
التي له بدمشق ، وجعلها مدرسة يدرس فيها صناعة الطب ، ووقف
لها ضياعاً وعدة أما كن يستغل منها ما ينصرف في مصالحها ، وفي
جامكية المدرسة وجامكية المشتغلين بها .
ولم يكن الأطباء يغفلون النظر في أهوال المرضى ، فقد
كانوا يسمون ذلك القارورة ، ويسمون الاستنتاج من نظر البول

التفسير ، فما كان يعالج مريض دون النظر إلى قارورته ، ولم في نظرها آراء وعلامات يتعرفون منها حالة البول من صحة وسقم . ونحن نقص الحكاية الآتية للدلالة على مهارة الأطباء وقوة استدلالهم وحسن استنتاجهم من النظر في بول المريض :

أراد الرشيد أن يمنح بختيشوع الطبيب ، أمام جماعة من الأطباء فقال الرشيد لبعض الخدم : « أحضره ماء دابة حتى نجربه . » فضى الخادم وأحضر قارورة الماء ، فلما رآه قال : « يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان . » قال له أبو قریش وقد كان حاضراً : « كذبت هذا ماء حظية الخليفة . » فقال له بختيشوع : « لك أقول أيها الشيخ الكريم ، لم يبل هذا إنسان البتة ، وإن كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة . » فقال له الخليفة : « من أين علمت أنه ليس ببول إنسان ؟ » قال بختيشوع : « لأنه ليس له قوام بول الناس ، ولألونه ، ولا ريحه ، » ثم التفت الخليفة إلى بختيشوع فقال له : « ما ترى أن نطعم صاحب هذا الماء » فقال : « شعيراً جيداً . » فضحك الرشيد ضحكاً شديداً ، وأمر فخلع عليه خلعة حسنة جميلة ، ووهب له مالا وافراً ، وقال : « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم ، وله يسمعون ^(١) »

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٢٦

وكان للطبيب الحرية التامة في العمل والتجرب واستنباط
 الأساليب المناسبة للعلاج . وكانت التجارب تدون في كتب
 خاصة يقرأها الجمهور من الأطباء . فقد كان لأبي البيان المدور
 المتوفى سنة ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م بالقاهرة كتاب في مجرباته في الطب
 وكان للساھر يوسف القس كُنْاش وهو ما استخرجه وجربه في
 أيام حياته ^(١) ولأفرايم بن الزَّقَّان تعاليق ومجربات ، ولابن العين
 رزبي مجربات في الطب ، ولابن أبي الفضائل الناقد مجربات في
 الطب ، ولأبي المعالي تمام بن هبة الله بن تمام تعاليق ومجربات في
 الطب ، ولمحمد بن زكريا الرازي كتاب عنوانه (قصص وحكايات
 المرضى) ومنه نسخة في خزانة كتب بودليان في اكسفورد
 وطبع منه الدكتور العالم المستشرق مكس مايرهوف جزءاً .

وكان لبعض الأطباء أنواع من العلاج هي من مبتكرات
 قرائهم كعلاج أُوحد الزمان أبي البركات هبة الله بن علي بن
 ملكا أحد الموسومين بالوهم ^(٢) ، وفوق المهمة العظيمة والتدبير الحسن
 والعناية التامة براحة المرضى ، فقد كان لهم من حسن الخلق وطول
 الأناة والتسامح مع المرضى الشيء الكثير : كان أبو الحسن سعيد

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٠٣

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٢٧ و ٢٧٩

ابن هبة الله^(١) يتولى مداواة المرضى بالبيمارستان العضدي ، فإنه كان يوماً بالبيمارستان وقد أتى إلى قاعة المرور من يتفقد أحوالهم ومعالجتهم ، وإذا بامرأة قد أتت إليه واستفتته فيما تعالج به ولدائها فقال : « أن تلازميه بتناول الأشياء المبردة المرطبة » فبزأ به بعض من كان مقيماً في تلك القاعة من المرور من وقال : « هذه صفة يصلح أن تقولها لأحد تلامذتك ممن يكون قد اشتغل بالطب وعرف أشياء من قوانينه ، وأما هذه المرأة فأني شيء تدري ما هو من الأشياء المبردة المرطبة ، وإنما سبيله أن تصف لها شيئاً معيناً تعتمد عليه . » فلم يتخرج الطبيب من هذا القول . وقد أوصلهم سمو الخلق وبسطة العلم إلى أعلى الدرجات . فإن القاضي ابن المرخم يحسب بن سعد صار أفضى القضاة في أيام المقتفي ببغداد ، وقد كان طبيباً في المارستان المحمول وفصاداً فيه^(٢) . والإمام العالم علامة زمانه أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن نامادار الخو نجي قد تميز في العلوم الحسكية وأتقن العلوم الشرعية وفي آخر أيامه تولى القضاء بمصر وصار قاضي القضاة بها وبأعمالها توفي سنة ٦٤٦ هـ^(٣) وصار سعيد بن البطريق بطريركاً بالاسكندرية^(٤) .

(١) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٥٤

(٢) ابن القفطي ص ٤٠٥

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٢٠

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٨٦

تدريس الطب بالبيمارستان

وفي مدارس خاصة

ذكرنا أن طلبة الطب كانوا يتلقون علومهم على أساتذتهم في البيمارستانات إذ كانت تهيأ لهم الإيوانات الخاصة المعدة والمجهزة بالآلات والكتب أحسن تجهيز ، فيقعدون بين يدي معلمهم بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم ، كما كان يفعل أبو المجد بن أبي الحكم في البيمارستان النوري الكبير . وإن بعضاً من مشايخ الطب وكبار روءسائهم كان يجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب للمشتغلين عليه في منزله أو في المدارس الخاصة .

وذكر ابن أبي أصيبعة^(١) أن الفيلسوف الإمام العالم أبا الفرج بن الطيب كان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي ويعالج المرضى فيه ، وأن إبراهيم بن بكس^(٢) كان يدرس صناعة الطب في البيمارستان العضدي لما بناه عضد الدولة وكان له منه ما يقوم بكفايته ، وأن زاهد العلماء^(٣) ألف

(١) طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٣٩

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٤

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٥٣

كتابه في الفصول والمسائل والجوابات التي أُجاب عنها في مجلس
العلم المقرر في البيمارستان الفارقي .

وكان في بيهارستان أحمد بن طولون خزانة كتب كانت في
أحد مجالس البيمارستان ، وكان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد
في سائر العلوم ^(١) . وفي سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) أوقف مذهب
الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار شيخ الأطباء
ورئيسهم داره بدمشق (المدرسة الدخوارية) شرقي سوق المناخلين
عند الصاغة العتيقة قبلي الجامع الأموي ، ووقف لها ضياعا
وعدة أماكن يستغل منها ويتصرف في مصالحها وفي جامكية
المدرسين وجامكية المشتغلين بها . فكان إذا فرغ من البيمارستان
وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم ، يأتي إلى داره
ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة ، ولا يسد له مع ذلك
من نسخ ، فإذا فرغ منه أيضا أذن للجماعة فيدخلون عليه ويأتي
قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين وكان يقرئ كل واحد
منهم درسه ويبحث معه فيه ، ويفهمه إياه بقدر طاقته . ويبحث
في ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضوع يحتاج إلى فضل

(٧) النجوم الزاهرة ص ٤٧٢

بحث أو فيه إشكال يحتاج إلى تحرير . وكان إلى جانبه ما يحتاج إليه من الكتب الطبية ومن كتب اللغة : كتاب الصحاح للجوهري والمجمل لابن فارس وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري فكان إذا جاءت في الدرس كلمة لغة يحتاج إلى كشفها وتحقيقها نظرها في تلك الكتب .

ثم مرض مذهب الدين عبد الرحيم بن علي وتوفي في يوم الاثنين الخامس عشر من شهر صفر سنة ٦٢٨ هـ (٢٤ ديسمبر سنة ١٢٣٠ م) ووصى^(١) أن يكون المدرس فيها الحكيم

شرف الدين علي بن الرّحبي
افتتاح المدرسة الدفوارية^(٢)

لما كان في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٨ هـ (١٨ فبراير سنة ١٢٣٠ م) حضر الحكيم سعد الدين إبراهيم بن الحكيم موفق الدين عبدالعزيز والقاضي شمس الدين الخواتمي والقاضي جمال الدين الحرستاني والقاضي عز الدين السنجاري وجماعة من الفقهاء والحكماء ، وشرع الحكيم شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدر الرّحبي

(١) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٤٤

(٢) كتاب تنبيه الطالب وإرشاد الدارس عما كان في دمشق من المدارس (مخطوط)

في التدريس بها في صناعة الطب ، واستمر على ذلك وبقي سنين
عدة ثم صار المدرس فيما بعد الحكيم بدر الدين المظفر بن قاضي
بعلبك ، وذلك أنه لما ملك دمشق الملك الجواد مظفر الدين
يونس بن شمس الدين ممدود ابن الملك العادل ، كتب للحكيم
بدر الدين ابن قاضي بعلبك ، مذكوراً برياسته على سائر الحكماء
في صناعة الطب ، وأن يكون مدرسا للطب في مدرسة الحكيم
مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار . وتولى ذلك
في يوم الأربعاء رابع صفر سنة ٦٧٧ هـ ثم درس بعده عماد الدين الدنيسري
ومحمد بن عبد الرحيم بن مسلمة كمال الدين الطبيب المتوفى سنة ٦٩٧ هـ
(١٢٩٧ م) ، والجمال المحقق أحمد بن عبد الله بن الحسين الأشقر
وقد ولي مشيخة الدخوارية وتوفي سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٤ م)
وأمين الدين سليمان بن داود الدمشقي توفي سنة ٧٣٢ هـ ثم شهاب
الدين الكحال توفي سنة ٧٣٢ هـ .

إجازة الطب

كان الأطباء في أول عهد الدول الإسلامية تكتمفي لمهانة
التطبيب بقراءة الطب على أي طبيب من النابهين في عصره ،
حتى إذا آنس من نفسه القدرة على مزاوله الصنعة ، باشرها بدون
قيد أو شرط .

وإن أول من نظم صناعة التطبيب وقيدها بنظام خاص حرصاً
على مصلحة الجمهور ، هو الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر بن
المتعز الذي تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، ففرض على من يريد
معاونة التطبيب تأدية امتحان للحصول على إجازة تخوله هذا الحق
بين الناس .

والسبب الذي دعا الخليفة المقتدر إلى هذا التقييد ، هو ما
نرويه عن لسان سنان بن ثابت رئيس الأطباء في عصره وطبيب
الخليفة ومن الناهين بين الأطباء :

قال سنان بن ثابت ^(١) : لما كان في عام ٣١٩ هـ (٩٣١ م) ،
اتصل بالمقتدر أن غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض
المتطببين فمات الرجل ، فأمر الخليفة أبا إبراهيم بن محمد بن أبي
بطيحة المحتسب بمنع سائر المتطببين من التصرف ، إلا من
امتحنه سنان بن ثابت بن 'قرّة' ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق
له التصرف فيه من الصناعة . فصاروا إلى سنان وامتحانهم وأطلق
لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه . وبلغ عددهم في
جاني بغداد ثمانمائة رجل ونيف وستين رجلاً ، سوى من استغنى
عن محنته باشتهاره بالتقدم في صناعته وسوى من كان في خدمة

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢٢

السلطان . وصار النظام بعد ذلك : متى أتم الطالب دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء في القطر المصري ، ووظيفته هي أكبر وظائف الأطباء ، ويطلب إليه إجازته لمعانة صنعة التطبيب . وكان الطالب يتقدم إليه برسالة في الفن الذي يريد الحصول على الإجازة في معاناته وهذه الرسالة أشبه بما يسمى اليوم أطروحة (these) . وتكون هذه الرسالة له أو لأحد مشاهير الأطباء المتقدمين أو المعاصرين يكون قد أجاد دراستها فيمتحنه فيها ويسأله في كل ما يتعلق بما فيها من الفن فإذا أحسن الإجابة أجازه الممتحن بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة .

ومن محاسن الصدف أني عثرت في دشت قديم في خزانة كتب أستاذنا وصديقنا العلامة أحمد زكي باشا ، على صورتين لإجازتين في الطب من القرن السادس عشر الميلادي ، منحت إحداهما لفصّاد ومنحت الأخرى لجراح ، أنقلها هنا لكي يعلم الباحث ما كان عليه الحال في تلك العصور :

—

الإجازة الأولى

وهي من القرن الحادي عشر الهجري

وهذه صورة ما كتبه شيخ الأجل عمدة الأطباء ومنهاج الأطباء
الشيخ شهاب الدين ابن الصايغ (١) الحنفي رئيس الأطباء بالديار المصرية
إجازة للشاب المحصل محمد عزام، أحد تلامذة الشيخ الأجل والكهف
الأحول الشيخ زين الدين عبد المعطي رئيس الجراحين على حفظه لرسالة
الفصد كما سنبينه :

الحمد لله ومنه أستمده العناية

الحمد لله الذي وفق من عباده من اختاره لخدمة الفقراء والصالحين
وهدى من شاء للطريق القويم والنهج المستقيم على مدار الأوقات والأزمان
إلى يوم الدين .

وبعد فقد حضر عندي الشاب المحصل شمس الدين محمد بن عزام

(١) هو أحمد بن سراج الدين الملقب شهاب الدين المعروف بابن
الصايغ الحنفي المصري الشيخ الطبيب الفاضل أخذ العلوم من الشيخ الإمام
علي بن غانم المقدسي والإمام الفهامة محمد بن محي الدين ناصر الدين التحريري
وولده الرئيس الشهير سري الدين وبه انتفع في الطب وتولى قديماً تدريس
الحنفية بالمدرسة البروقية ومات عن مشيخة الطب بدار الشفا المنصوري
(فلاوون) ورياسة الأطباء قال الشيخ مدين وكانت ولادته كما أخبرنا
به في سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ م) وتوفي في ربيع الأول سنة ١٠٣٦ هـ
(١٦٢٦ م) ودفن خارج باب النصر ولم يعقب إلا بنتاً وتولت مكانه
مشيخة الطب (عن خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج ١)

بن ٠٠٠٠ بن ٠٠٠٠ (هنا كلمات مفقودة) على المؤذن الجرواني (١) المنشرف
 بخدمة الجراح والمتقيد بخدمة الشيخ الصالح بقية السلف الصالحين العارفين
 وشيخ طائفة الجراحين بالبيارستان المنصوري هو الشيخ عبد المعطي المشهور
 بابن رسلان نفعا الله ببركاته ورحم أسلافه العارفين الصالحين وعرض
 علي جميع الرسالة اللطيفة المشتعلة على معرفة الفصد وأوقاته وكيفيته
 وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة والرسالة المذكورة للشيخ
 الأمام العلامة التمام شمس الدين محمد بن ساعد الأنصاري (٢) شكر الله
 سعيه ورحمه وأسكنه بجايح جناته بمنه وكرمه ، عرضاً جيداً دل على
 حسن حفظه للرسالة المذكورة وقد أجزته أن يرويها عني بحق روايتها
 وغيرها من الكتب الطبية (هذا آخر ما عثرت عليه وباقي الإجازة مفقود
 ضاع مع ماضع من نفائس الكتب العربية)



- (١) في لب الباب للسيوطي الجرواني بالضم ومد الألف نسبة
 إلى جروان محلة بأصبهان .
 (٢) واسم الرسالة نهاية القصد في صناعة الفصد ، منها نسخة
 مخطوطة بدار الكتب الملكية بالقاهرة .

الدرجاة الثانية

وهي كذلك من القرن الحادي عشر الهجري ، وصادرة من رئيس
الجراحين بدار الشفا المنصوري (قلاوون)
« صورة ما كتبه الفقير على ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

من ممد الكون أستمع العون . الحمد لله الذي جعل لهذه الأمة
بالطب المحمدي شفا ، وداوى علل أفهامهم بصحيح حديثه بعد ما كانوا
في سقم الباطل على شفا . أحمده حمداً يتقوى به الضعيف ، وأشكره
شكراً وافياً يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف . وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل الفصد والحجامة للأبدان
من أنفع العلاج ، إذ بهما (كلمة مفقودة) قف الحرارة الردية
والمزاج . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قطع عرق الاشتراك ، وعلى
آله وأصحابه السادة الزمكا ، الذين جمعوا بالعلم والفصاحة بين الحكمة
وفصل الخطاب ، وعالجوا زمان الجهل بحسن تدبيرهم فعوفي وحفظ لهم
الصحة وطاب .

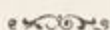
وبعد فقد وقفت على هذه الرسالة العظيمة ، والمقالة الكريمة ،
الموسومة « براء الآلام في صناعة الفصد والحجامة » نظم لودعي زمانه ،
والمعني عصره وأوانه : الشمس شمس الدين محمد القيم شهرة ، الجراح صنعة
ومهرة ، التي أصلها للشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ شمس الدين محمد الشربيني
الجراح . لازالت شآبيب الرحمة والرضوان على قبره غادية رائحة ، وشذا
العبيري والريحان من مرقدته فائجة ، الموسومة « بغاية المقاصد فيما يجب

على المقصود والفاصد « ، إذ هي في هذا الفن أسمى المقاصد . وقد قرأها عليه قراءة إتقان وإمعان ، وحل لمشكلات الألفاظ والمعان ، فلم ير بداً من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد ، ولتسهل ضبط تلك القواعد فجاءت بجملة أبيه من نور الأنوار ، وأضوأ من نور الأسمار ، كالتيبر المنسبك أو القطر المنسكب . قد أجاد ناظرها في تحقيقها ، وبذل الجهد في تحريرها وتدقيقها . وأنقن ألفاظ مبانيها . وغاص بحار معانيها ، واستخرج الدر الثمين من أصلها ، وجمع بين فصلها ووصلها ، وصارت تحلى كالعروس لمعانيها . ولقد صارت في هذه الصناعة العمدة والكفاية واعترف لها الكامل أنها المنهاج والهداية . ونسبت بها التذكرة ، ولم يبق لهذا العلم تذكرة حميدة . وأحجم عندها كل مذهب بالكنون ، وصرح تاريخ الأطباء أنها نص مافي القانون . فلما ظهرت نتيجة الانتخاب في المسألة والجواب وتغذى ناظم سلكها بالخاص من اللباب ، وصارت الخناصر عليها تعقد ، وإن كان لساعد الأنصاري (١) رسالة ، فشتان رسالته ورسالة محمد . وكانت عين المقصود ، ورقمت فيما يجب على الفاصد والمقصود ، استحق راقم وشيها وناسج بردها أن يتوج بتاج الإجازة فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ، ما أنقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح . وهو أن يعالج الجراحات التي تبرأ بالبط ، ويقلع من السنان ما ظهر له من غير شرط . وأن يفصد من الأوردة ويبتتر الشرايين وأن يقلع من الأسنان الفاسدة المسوسين (كذا)

(١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الألفارابي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ والرسالة تسمى نهاية القصد في صناعة الفصد .

وأن يلم ما بعد من تفرق الاتصال ، يقطان وغير ذلك وطهارة الأطفال .
هذا مع سراجته وخدمته لرؤساء هذا الفن المتبحرين ، والمهرة الاساتذة
العارفين مع تقوى الله والنصح في الصناعة ، ولا يخشى مع ذلك من
كساد البضاعة . ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياه لصالح الأعمال ،
في كل حال ومآل . اللهم إني أسألك من فضلك العظيم مغفرة لذنوبنا
وعافية لأبداننا ، لا إله غيرك ، ولا مرجو إلا خيرك رب العالمين »

رقه بقلمه أحقر عباد الفتاح الفقير للحق على بن محمد بن محمد بن علي
الجراح خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفا بمصر المحروسة ومصليا ومسلما ومحمدا
ومحوقلا ومستغفرا بتاريخ صفر الخير من شهر سنة إحدى عشرة وألف
(١٦٠٢ م) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد
لله وحده »



انزعان الصيادلة

وكذلك حدث في أيام الخليفة المعتصم بن الرشيد (من ٢١٨ - ٢٢٧ هـ) أنه بينما كان الأفشين حيدر بن كلوس أحد قواد جند المعتصم في معسكره وهو في محاربة بابك سنة ٢٢١ هـ وكان معه زكريا الطيفوري الطبيب ، أمره باحضار جميع من في عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة كل رجل منهم . فرفع ذلك إليه فلما بلغت القراءة بالقاري إلى موضع الصيادلة قال الأفشين لزكريا الطيفوري : « يا زكريا ضبط هؤلاء الصيادلة عندي أولى مما تقدم فيه فامتنعهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره . » فقال زكريا : « إن يوسف لقوة الكيميائي قال يوماً للآمون : إنما آفة الكيمياء الصيادلة فإن الصيدلاني لا يطلب الإنسان منه شيئاً من الأشياء كان عنده أم لم يكن ، إلا أخبره بأنه عنده ودفع إليه شيئاً من الأشياء التي عنده ، وقال : هذا الذي طلبت . فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يعرف ويوجه جماعة إلى الصيادلة في طلبه لتبذره فليفعل . » فقال المأمون : « قد وضعت الاسم وهو شقطيثاً وهي ضيعة تقرب من مدينة السلام » ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن شقطيثاً فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا إلى المأمون

بأشياء مختلفة فمنهم من أتى ببعض البذور ومنهم من أتى بقطعة
 من حجر ومنهم من أتى بوبر فاستحسن المأمون نصيح يوسف لقوة .
 فدعا الأفسين بدفتر الأمر وشنية ^(١) فأخرج منها نحواً من
 عشرين اسماً ووجهه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة
 بتلك الأسماء ، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم
 من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته . فأمر الأفسين بإحضار
 جميع الصيادلة فلما حضروا كتب لمن أنكرك معرفته تلك الأسماء
 منشورات أذن لهم فيها بالمقام في عسكره ، ونفى الباقين عن
 العسكر ، ولم يأذن لواحد منهم في المقام ونادى المنادي بنفيهم
 وبإباحة دم من وجد منهم في معسكره . وكتب إلى المعتصم يسأله
 البعثة إليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميل ومتطبين كذلك
 فاستحسن المعتصم ذلك ووجه إليه بما سأل ^(٢)

(١) الأمر وشنية أو الشين تقدم على السين بلدة بما وراء النهر بين سيحون

وسمرقند .

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٥٧

الحِسْبَة .

ذكرنا الحسبة لأنها في ذلك الزمن بمثابة التفتيش والرقابة في هذه الأيام على الأطباء والصيادلة .
الحسبة ^(١) وظيفة جليلة رفيعة الشأن وموضوعها التحدث في الأمر والنهي والتحدث على المعاش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشتة وصناعته . قال الماوردي في الأحكام السلطانية : وهو مشتق من قولك حَسْبُكَ بمعنى اكْفُفْ لأنه يكفي الناس مؤونة من يبغسهم حقوقهم . قال النحاس : وحقيقة المحتسب في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين ومنفعتهم ، إذ حقيقة افتعل عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد

المُحْتَسِب ^(٢)

هو من أرباب الوظائف الدينية الست المشهورة . وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم . وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سَجِلُهُ بمصر والقاهرة على المنبر . ويده مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة ، ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها ويتقدم إلى الولاية بالشد منه ، ويقيم النواب

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٢

(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٧٠

عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنواب الحكم . ويجلس بجامعي
القاهرة ومصر يوماً بيوم ، قال : ورأيت في بعض سجلاتهم
إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بها أحياناً ^(١) .

في الحسبة

على الأطباء والكحاليين والجراثيمين والمجبرين
جاء في كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ^(٢) خاصاً بالأطباء
وصناعتهم قال : وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقرات ^(٣)
الذي أخذه على سائر الأطباء ، ويحلفهم أن لا يعطوا أحداً
دواءً مرأاً ، ولا يركبوا له سماً ، ولا يصنعوا السمائم عند أحد
من العامة ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ،
ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل ، وليغضوا من أبصارهم
عن المحارم عند دخولهم على المرضى ، ولا يُفشوا الأسرار ولا
يهتكوا الأستار ، وينبغي للطبيب أن يكون عنده جمع آلات
الطب على الكمال مما يحتاج إليه في صناعة الطب ، غير آلة

(١) صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٢

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة تأليف الشيخ الامام العالم عبد

الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشعراوي مخطوط .

(٣) سيأتي ذكر عهد أبقرات بعد .

الكحالين والجراثيم مما يأتي ذكره في موضعه ، والمحتسب أن
يتمحن الأطباء بما ذكره حنين في كتابه المعروف بمحنة الطبيب
فأما (محنة الأطباء) لجالينوس فلا يكاد واحد يقوم بما شرط
عليهم .

وأما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق ،
أعني العشر المقالات في العين ^(١) ، فمن وجده فيما امتحنه به عارفاً
بتشريح العين وعدد طبقاتها السبع ، وعدد رطوباتها الثلاث ،
وعدد أمراضها الثلاثة ، وما يتفرع من ذلك من الأمراض ،
وكان خبيراً بتركيب الكحال وأمزجة العقاقير أذن له المحتسب
بالتصدي لمداواة أعين الناس ، وألا ينبغي أن يفرط في شيء من
آلات صنعته مثل سنانير السبل والظفيرة ومحك الجرب ومباضع
الفصد ودرج المكاحل وغير ذلك .

وأما كحالمو الطرقات فلا يوثق بأكثرهم ، إذ لا دين لهم
يصددهم عن التهجم على أعين الناس بالقطع والكحل بغير علم
وخبرة بالأمراض والعلل الحادثة ، فلا ينبغي لأحد أن يركن
إليهم في معالجة عينه ولا يثق بأحدهم وشيافاتهم ، فإن منهم من

(١) هذا الكتاب قد علق عليه الامتياز الدكتور مايرهوف

العالم المستشرق الرمدي بالقاهرة وطبع لحساب الحكومة المصرية .

يضع أشياء أصلها من النشا والصمغ وبصبغها ألواناً مختلفة فيصبغ
الأحمر بالاسريقون ، والأخضر بالكر كم ، والنيل والأسود
بالقاقيا ، والأصفر بالزعفران ، ومنهم من يجعل أشياء ماميتاً^(١)
أو يجعل أصله من البان المصري ويعجنه بالصمغ المحلول ومنهم
من يعمل خللاً من نوى الإهليلج المحرق والفلفل وجميع غشوش
أحلكهم لا يمكن حصر معرفتها ، فيحلفهم المحتسب على ذلك إذ لا
يمكن منهم من الجلوس لمعالجة الناس .

وأما المجبرون فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم
معرفة المقالة السادسة من كناش فولوس Pandecte de Paul d'Fgine
في الجبر (وهو ترجمة حنين بن إسحاق) وأن يعلم عدد عظام
الآدمي وهو مئتا عظم وثمانية وأربعون عظماً ، وصورة كل عظم
فيها وشكله وقدره حتى إذا انكسر منها شيء أو انخلع رده
إلى موضعه على هيئته التي كان عليها فيمتحنهم المحتسب في جميع ذلك .
وأما الجراحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس
المعروف بقطا جانوس^(٢) في الجراحات والمراهم ، وأن يعرفوا التشريح

Collyrx du suc du glaucium (١)

De medicamentorum (٢) هذا الكتاب اسمه باللاتينية

compositione secundum locos et genera, libri XVII

وأعضاء الإنسان ، وما فيه من العضل والعروق والشرابين
والأعصاب ، ليتجنب ذلك في وقت فتح المواد وقطع البواسير ،
ويكون معه دست المباحض فيه مباحض مدورات الرأس والموربات
وفأس الجهة ومنشار القطع ومجرفة الأذن ووَرْد الشَّلَع
ومرهمدان المراهم ، ودواء الكندر القاطع للدم الذي قدمنا
صنعتة . وقد يبهرجون على الناس بعظام تكون معهم فيدسونها
في الجرح ثم يخرجونها منه بمحضر من الناس ويزعمون أن
أدويتهم القاطعة أخرجتها . ومنهم من يضع مراهم من الكِلْس
المغسول بالزيت ثم يصبغ لونه أحمر بالغرة أو أخضر بالكركم
والنيل أو أسود بالفحم المسحوق . فيعتبر عليهم العريف جميع ذلك .

عهد أبقرات

ذكرنا في كلامنا في الحسبة على الأطباء أن المحتسب يأخذ
عليهم عهد أبقرات قال ابن أبي أصيبعة : إن أبقرات قد وضع
عهداً استحل في المتعلم لصناعة الطب على أن يكون لازماً
للطهارة والفضيلة وهذه نسخة العهد ^(١) قال أبقرات :

إني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق
الشفاء وكل علاج ، وأقسم باستقليبيوس وأقسم بأولياء الله من

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٥

الرجال والنساء جميعاً ، وأشهدهم جميعاً على أني أفي بهذه اليمين
وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي
وأولاسيه في معاشي ، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من
مالي ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لإخوتي وأعلمهم
هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجر ولا شرط ،
وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم
الشرط وأحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في
الصناعة ، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك . وأقصد في جميع
التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى . وأما الأشياء التي تضر بهم
وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي . ولا أعطي
إذا طلب مني دواء قتالاً ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة .
وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة تسقط الجنين
وأحفظ نفسي في تدويري وصناعاتي على الزكاة والطهارة ولا
أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة لكن أترك ذلك إلى من كانت
حرفته هذا العمل . وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة
المرضى وأنا بحالة خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود إليه
في سائر الأشياء وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد .
وأما الأشياء التي أعينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها ، أو

في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق
 بها خارجاً فأمسك عنها وأرى أن مثلها لا ينطق به .»
 فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد منها شيئاً كان له أن
 يكمل تديره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها وأن يحمد
 جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ومن تجاوز ذلك كان
 بضده . ٥١

الحسبة على الصيادلة

ذكرنا الحسبة على الأطباء ، ونذكر كذلك الحسبة على
 الصيادلة لعلاقة ذلك بالطب قال الإمام عبد الرحمن بن نصر الدين
 عبد الله الشيرازي (١) :

« تدليس هذا الباب كثير لا يمكن حصر معرفته على التمام
 فرحم الله من نظر فيه ، وعرف استخراج غشوشه فكتبها في
 حواشيه ، تقرباً إلى الله تعالى ، فهي أضر على الخلق من غيرها ،
 لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة ، والتداوي على
 قدر أمزجتها فمنها ما يصلح لمرض ومزاج فإذا أضيف إليها غيرها
 أخرجها عن مزاجها فأضرت بالمرضى لاجتماع . فالواجب عليهم أن

(١) من كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة الباب السابع

(مخطوط) .

يراقبوا الله عز وجل في ذلك فينبغي للمحتسب أن يخوفهم ويعظمهم
وينذرهم بالعقوبة والتعزير ويعتبر عليهم عقايرهم في كل أسبوع . «
ثم ذكر المواقف غشوشهم مما لا يتسع المقام هنا لذكرها فنجتزئ
عنها بما ذكرنا .



الباب الثاني

في

بيمارستانات اليهود الإسلامية على التفصيل

105-14

105-14

١ - بيمارستان مجنديسابور

كان هذا البيمارستان من أكبر البيمارستانات في العصر السابق على الإسلام بثلاثة قرون . وإنما ابتدأنا بذكره لأنه كان نعم المعين للعرب على إنشاء البيمارستانات بعد ذلك ، وتخرج الأطباء اللازمين لها وظل حافظاً لكيانه وشهرته عهداً طويلاً إلى ما بعد قيام الدولة العباسية ، حيث ابتدأ المسلمون ينشئون البيمارستانات في بلادهم وأمصارهم التي افتتحوها .

وجنديسابور ^(١) مدينة بخوزستان ويقال لها الخوز ، وقد اشتهرت هذه المدينة بمدرستها الطبية وبيمارستانها اللذين أنشأهما

(١) جنديسابور مدينة بخوزستان ويقال لها الخوز وهو إقليم واسع بين البصرة وفارس بناها سابور الأول الساساني بن ازدشير ، وأسكنها سبي الروم الذين وقعوا في أسرهم إثر حربه مع الإمبراطور الروماني اورليان Ourélian ثم افتتحها المسلمون صلحاً في سنة ١٧ من الهجرة (١٦٣٨ م) في أيام عمر بن الخطاب ، فتحها أبو موسى الأشعري عقب احتلاله تسيتر . ومن جنديسابور إلى تسيتر ثمانية فراسخ وإلى السوس ستة فراسخ وتسمى بالسريانية بيت لاباط ثم حرفت إلى بيل آباد ثم أخذت في الانحطاط والتدهور حتى عفا أثرها قال ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م) في معجمه : اجتزت بها سراً ولم يبق منها عين ولا أثر إلا ما يبدل على شيء من آثار بائدة وكانت مدينة خصبة كثيرة الخير وبها نخيل وزروع كثيرة .

كسرى الأول وجلب إليهما المعلمين من يونان . وتلقى التعاليم
اليونانية باللغة الآرامية ، ولذلك كان للسريان نصيب كبير فيهما ،
وكانوا أول من ساعد الخلفاء على نشر الطب في بلادهم بما
تخرج منهما من الأطباء والمترجمين الذين برزوا في الفضائل . قال
ابن القفطي : إن أهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه
الصناعة ، وعلم من زمن الأكاسرة . وذلك سبب وصولهم إلى
هذه المنزلة . ثم قال : ولم يزل أمرهم يقوى في العلم ويتزايدون
فيه ويرقبون العلاج على مقتضى أمزجة بلادهم حتى برزوا في
الفضائل وجماعة منهم يفضلون علاجهم وطريقهم على اليونان
والهند ، لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه
من قبل نفوسهم ورتبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعوا فيها كل
حسنة مما يستدل منها على فضلهم وغزارة علمهم ولم يزلوا كذلك
حتى ولي المنصور الخلافة وبنى مدينة السلام فعرض له مرض
فاستدعى منهم جورجيس بن بختيشوع (الخ) . وكان الطلاب
يؤمنون معاهدها ويبارساتها من كل حذب وصوب من البلاد
المجاورة .

وكان العرب قبل الإسلام يستمدون أطباءهم من خريجي
جنديسابور . واستطاب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون

من بعده أطباء تخرجوا من جنديسابور كالخارث بن كلدة وابنه
النضر بن الخارث بن كلدة . واستطب خلفاء بني أمية ابن
اثال الطبيب النصراني الجنديسابوري ، أصفاه لنفسه معاوية بن
أبي سفيان أول خلفاء بني أمية ، وأبا الحكم وحكماً الدمشقي
وتياذوق وغيرهم ومن الاطباء الذين عرفوا بالعمل في هذا
البيهارستان :

١ - جورجيس بن بختيشوع

كان رئيس الأطباء بالبيهارستان في صدر الدولة العباسية
استطبه الخليفة أبو جعفر المنصور لضعف أصابه سنة ١٤٨ هـ فبرئ
الخليفة فأكرم مثواه وجازاه أحسن الجزاء وفي سنة ١٥٢ مرض
جورجيس وعاد إلى جنديسابور .

٢ - بختيشوع بن جورجيس

كان يلحق بأبيه في معرفة صناعة الطب وكان مقيماً بالبيهارستان
بجنديسابور ، وعالج المنصور والمهدي ، والرشد في سنة ١٧١ ف جعله
الرشد رئيساً على كافة الأطباء .

٣ - ابراهيم تلميذ جورجيس

كان تلميذاً لجورجيس بن بختيشوع وصحبه عند معالجته
للخليفة المنصور .

٤ - سرجيس

تلميذ جورجيس كان مديراً للبيمارستان في غيبة أستاذه .

٥ - عيسى بن سرجيس

تلميذ جورجيس بن بختيشوع صحبه في ذهابه إلى بغداد
لمعالجة المنصور .

٦ - جبريل بن بختيشوع

ابن جورجيس كان طبيباً حاذقاً نبيلاً خدم الخليفة الرشيد
ثلاثاً وعشرين سنة ثم خدم من بعده الأمين والمأمون مات
سنة ٢١٣ هـ ٨٢٨ م .

٧ - بختيشوع بن جبريل

ابن بختيشوع كان نبيل القدر وبلغ من عظم المنزلة والحال
وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من معاصريه من الأطباء خدم الخلفاء
الوائق بالله ، ثم المستعين بالله ابني المعتصم ، ثم المهدي بالله والمتوكل
على الله ، فصلحت حاله ، وعلت منزلته ، وكثر ماله ، واتسعت
نفقاته إلى درجة تفوق الوصف . مات يوم الأحد لثمان بقين
من صفر سنة ٢٥٦ هـ ٨٧٠ م .

٨ - سابور بن سهرل

كان ملازماً لبهارستان جنديسابور عالماً بقوى الأدوية
خدم المتوكل وتوفي يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة
سنة ٢٥٥ هـ .

٩ - ماسويه

أبو يوحنا أقام ببهارستان جنديسابور أربعين سنة فعرف
الأدواء وصار أعلم أهل زمانه بالأدوية واتصل بالفضل بن يحيى
فأوصله بعد ذلك بالخليفة هرون الرشيد ولزم خدمته .

١٠ - دهشك

كان رئيساً لبهارستان بجنديسابور فأمره الرشيد باتخاذ
بهارستان وقلده رياسته ثم أعفاه منه .

١١ - مبخايل بن أفي دهشك

كان مقيماً بالبهارستان بجنديسابور مع دهشك .

١٢ - عيسى بن طاهر بن محمد

من أطباء البهارستان بجنديسابور وهو تلميذ جورجيس
ابن بختيشوع

بیمارستانات مصر

١ — بیمارستان زقاق القنادیل

قيل إنه كان في الدولة الأموية مارستان^(١) في زقاق القناديل دار أبي زيد . وزقاق القناديل — ويقال له زقاق القنديل — من أزقة الفسطاط . قال القاضي^(٢) إنما وسم زقاق القناديل أو القنديل لأنه كان برسم قنديل كان على باب عمرو بن العاص وفي هذا الزقاق ولد الإمام الحافظ ابن سيد الناس صاحب السيرة^(٣) المتوفى سنة ٧٣٤ هـ .

٢ — بیمارستان المعافر

هذا المارستان^(٤) كان في خطة المعافر^(٥) التي موضعها ما بين

(١) الانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقاق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ

ج ٤ ص ٩٩

(٢) الانتصار ج ٤ ص ١٣

(٣) اسمها عيون الأثر في فنون المغازي والشجائل والسيد

(٤) خطط المقرئ ج ٢ ص ٤٠٦

(٥) هم بنو المعافر بن يعفر بن سرة بن أدد من قبائل العرب التي نزلت

هذه الجهة

العالم من مدينة مصر (الفسطاط) وبين مصلّى خولان ^(١) التي
بالقراية، بناه الفتح بن خاقان ^(٢) في أيام الخليفة المتوكل على
الله وقد باد أثره .

٣ — البيمارستان العتيق

ويعرف بالبيمارستان الأعلى ^(٣) أنشأه أحمد بن طولون في
سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٢ م وقيل ٢٦١ هـ وذكر أن مبلغ ما أنفق عليه
وعلى مستغله ستون ألف دينار . وحبس عليه سوق الرقيق وغيره
ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان . وشرط ألا يعالج فيه
جندي ولا مملوك ، وكان يشارفه بنفسه ويركب إليه يوما في
كل اسبوع .

قال أبو العباس أحمد القلقشندي ^(٤) أول من اتخذ البيمارستان
بمصر أحمد بن طولون بناه بالفسطاط وهو موجود إلى الآن ^(٥)
وبلغت أجرة مقعد يكرى عند البيمارستان الطولوني بالفسطاط في

(١) هم بنو خولان بن عمر بن مالك بن زيد بن عريب من القبائل التي
نزلت هذه المنطقة

(٢) الفتح بن خانان وزير المتوكل على الله وحمو أحمد بن طولون قتل
مع الخليفة في ليلة واحدة سنة ٢٤٧ هـ ٨٦١ م

(٣) الانتصار لابن دقاق ج ٤ ص ٩٩

(٤) صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٣٧

(٥) أي إلى عصر القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م)

كل يوم اثني عشر درهماً . وهذا المارستان ^(١) كان موضعه في أرض
العسكر ^(٢) وهي الكيمان والصحراء التي تقع بين جامع ابن طولون
وكوم الجراح ^(٣) وفيها بين قنطرة السد التي على الخليج ظاهر مدينة

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٤٠٥

(٢) في سنة ١٣٣ هـ تولى أبو عون عبد الملك بن يزيد ولاية مصر
باستخلاف صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي . وهو أول من
ولي مصر من قبل خلفاء بني العباس . ففي أيام أبي عون هذا سكنت أمراء
مصر العسكر ، وسببه أنه لما قدم صالح بن علي العباسي وأبو عون بجيوعهما
إلى مصر في طلب مروان الحمار نزلت عساكرهما الصحراء جنّـب جبل
يشكر الذي هو الآن جامع ابن طولون ، وكان قضاء فلما رأى أبو عون ذلك
أمر أصحابه بالبناء فيه فبنوا وبني هو أيضاً دار الإمارة ومسجداً عرف بجامع
العسكر وعمت الشرطة أيضاً في العسكر وقبل لها الشرطة العليا . وإلى
جانبها بنى الأمير أحمد بن طولون جامع الموجود الآن وسمي من يومئذ ذلك
القضاء «العسكر» وصار منزلاً للأمراء . مصر بعد أبي عون . وصار
العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة وفيه أيضاً بنى الأمير أحمد بن
طولون بهارستانه ، وكان البهارستان المذكور بالقرب من بركة قارون التي
صارت الآن كياناً ، وبعضها بركة على يسار من مشى من حدرة أبي قبيصة
يريد قنطرة السد (النجوم الزاهرة لابن تغري بوردى ص ٣٦٢ طبع ليدن
سنة ١٨٥٢ و ص ٣٢٦ ج ١ طبعة دار الكتب بالقاهرة)

(٣) هو الكوم المتصل برجة موقف الطحانين وكان هذا الخط من أمر
الأخطاط بالفسطاط

مصر وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر . وقد اندثر
هذا المارستان في جملة ما اندثر من الآثار ولم يبق له الآن أثر .
وقال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ^(١) في كتاب الأمراء :
وأمر أحمد بن طولون ببنيان المارستان للمرضى فبني لهم في سنة
٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) .

وقال محمد بن داود في ذم أحمد بن طولون وبمارستانه :
أَلَا أَيُّهَا الْأَغْفَالُ إِيَّاهَا تَأْمَلُوا

وهل يوقظ الأذهان غير التأمل

ألم تؤولموا أن ابن طولون نَقَمَ	نُسِرَ من سَفَلٍ إليكم ومن عل
ولولا جنایات الذنوب لما عُلَّتْ	عليكم يدُ العَلَجِ السخيف المُجَلِّ
يعالج مرضاكم ويرمي جريحتكم	حبيش . . أَلْقَبَ أَدْهَمَ أَغْزَلَ؟
فبأليت مارستانه نيط بِأَسْتِهِ	وما فيه من عِلَجٍ عُنْثٍ مُقَلِّلٍ
فكم ضجّة للناس من خَلْفِ سِتْرِهِ	نُضِجَ إلى قَلْبٍ عن الله مُغْفِلٍ

وقال جامع السيرة الطولونية وفي سنة ٢٦١ هـ بنى أحمد بن
طولون المارستان ، ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان وما
فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره في الأساكفة والقيسارية

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١٦٢ طبع اليسوعيين ببيروت

وسوق الرقيق وشرط في المارستان ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك
وعمل حمامين للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، حبسهما
على المارستان وغيره . وشرط أنه إذا جيء بعليل تنزع عنه ثيابه
ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويفغى
ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا أكل فرّوجاً
ورغيفاً أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه . وفي سنة ٢٦٢ هـ
(٨٧٥ م) كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل
الذي يسمى تنور فرعون أعياناً كثيرة وكان بلغ ما أنفق على
المارستان ومستغله ستين ألف دينار ، فكان يركب بنفسه في كل
يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى
المرضى وسائر المملولين والمحبوسين من المجانين . دخل مرة حتى
وقف عند المجانين فناداه واحد منهم مغلول : « أيها الأمير اسمع
كلامي ما أنا بمجنون ، وإنما عملت عليّ حيلة ، وفي نفسي شهوة رمانة
عريشة أكبر ما يكون . » فأمر له بها من ساعته ففرح بها
وهزها في يده ورازها ثم غافل أحمد بن طولون ورمى بها في صدره
ففضحت على ثيابه ، ولو تمكنت منه لأتت على صدره فأمرهم أن
يحتفظوا به ، ثم لم يعاود بعد ذلك النظر في البيارستان .

ودخل مصر في سنة ٥٧٨هـ (١١٨٢ م) ابن جبير^(١) الرحالة المغربي العظيم وشاهد البيمارستان الذي بالقاهرة وقال : إنه مفخرة من مفاخر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأطنب في وصفه بما سيأتي ذكره بعد . ثم قال : « وفي مصر (انفسطاط) مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه يريد مارستان أحمد بن طولون . وقال السخاوي^(٢) إن أحمد بن طولون بنى إلى جانب جامع البيمارستان وكان فيه أحد مجالس البيمارستان العتيق أي بيمارستان أحمد بن طولون خزانة كتب كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم يطول الأمر في عدتها^(٣) .

ولما آلت الدولة الطولونية إلى الزوال بخروج شيبان بن أحمد ابن طولون آخر ملوكها من مصر في ليلة الخميس لليلة خلت من ربيع الأول ٢٩٢هـ ودخلها محمد بن سليمان الكاتب من قبل المكتفي بالله ، أخذ الشعراء في رثائهم والتحسر عليهم فنظموا القصائد الطوال في ذلك . ومن هؤلاء الشعراء سعيد القاضي قال يرثي الدولة

(١) رحلة ابن جبير ص ٥٢ طبع ليدن (ولد ابن جبير ببلنسية سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) وتوفي بالاسكندرية سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م)

(٢) تحفة الأحباب ج ٤ ص ٤ هامش نفح الطيب طبع القاهرة .

(٣) النجوم الزاهرة ص ٤٧٢ طبع ليدن (ج ٤ ص ١٠١) طبع

دار الكتب

الطولونية (وما تركت) من جلائل الآثار في قصيدة مطلعها :
جرى دمعهُ ما بين سحرٍ إلى نحرٍ ولم يجر حتى أسلمته يد الصبرِ
إلى أن قال يرثي المارستان ^(١) :

ولا تنسَ مارستانه واتساعه وتوسعة الأرزاقِ للحولِ والشهرِ
وما فيه من قوامه وكفاته ورفقهم بالمعتفين ذوي الفقرِ
فللميت المَقبورِ حسنُ جهازه ولحي رفقٌ في علاجٍ وفي جبرِ
وعمل أحمد بن طولون ^(٢) في مؤخرة جامعهِ مِضأة وخزانة
شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدَم وفيها طيب
جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة ^(٣) .

(١) كتاب الولاية وكتاب القضاة لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي

(٢) خطط المقرئ ج ١ ص ٤٠٥

(٣) في كتاب أسرار الحكماء لباقوت المستعصي (ص ١٠٨ طبع
الجواب) : « أن أحمد بن طولون أراد أن يكتب صكك أحباسه التي حبسها
بمصر من المسجد العتيق والمارستان فتولى كتابة ذلك أبو حازم قاضي دمشق
فلما جاءت الصكك أحضر علماء الشروط لينظروا هل فيها شيء يفسدها ؛
فنظروا فقالوا ليس فيها شيء ؛ فنظر فيها أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة
الطحاوي وهو يومئذ شاب فقال : « فيها غلط » فطلبوا منه بيانه فأبى .
فأحضره ابن طولون وقال : « إن كنت لم تذكر الغلط لرسلي فاذكره لي »
فقال : « لا أفعل » قال : « ولم ؟ » قال : « لأن أبا حازم رجل عالم وعسى -

من عرف من الأطباء بخدمة البيمارستان العتيق :

- ١ - محمد بن عبدون الجيلي العذري رحل إلى المشرق ودخل البصرة وإلى مدينة فسطاط مصر ودبر مارستانها ومهر في الطب ورجع إلى الأندلس سنة ٣٦٠ وخدم بالطب المستنصر بالله والمؤيد بالله وكان قبل مؤدباً في الحساب والهندسة قال القاضي صاعد الأندلسي^(١) وأخبرني أبو عثمان سعيد بن البغوش الطليطي : أنه لم يلق في قرطبة أيام طلبه من يلحق بمحمد بن عبدون الجيلي في الطب .
- ٢ - سعيد بن نوفل^(٢) طبيب نصراني كان في خدمة أحمد بن طولون
- ٣ - شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصري مدرس الأطباء بجامعة ابن طولون كان فاضلاً له نظم . مات في شوال (١٧) سنة ٧٧٢ هـ^(٣)

— أن يكون الصواب معه وقد خفي علي « فأعجب ذلك ابن طولون وأجازه وقال له : « تخرج إلى أبي حازم وتوافقه على ما ينبغي » فخرج إليه فاعترف أبو حازم بالغلط . فلما رجع الطحاوي إلى مصر وحضر مجلس ابن طولون سأله فقال : « كان الصواب مع أبي حازم وقد رجعت إلى قوله » وأمر ما كان بينهما فزاد في نفس ابن طولون وقربه وشرفه ١٠ هـ وهذا غاية ما يستطيعه بشر في الاحتياط لمصلحة الوقف فانظر مقدار حرصهم واجتهادهم لتبقى أوقافهم عامرة بعم نفعها وخيرها للناس كافة ٠٠ س

(١) طبقات الامر ص ٨١

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٣١١

(٣) الدرر الكامنة لابن حجر وحسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٣١٥

٤ — المارستان الأسفل^(١)

بالفسطاط أو بيارستان كافور الاخشيد ، بناء الخازن الذي
 عمر المقياس بالأهراء ، عمره وعمر الميضأتين المرسومة إحداهما
 لتغسيل الموتى والسقاية ، والحمامين المعروفين بجماي بوران ٠٠٠٠
 وذلك في سنة ٣٤٦ هـ قال القاضي : « إن الاخشيد أمير مصر
 حبس جميع ما بناه من قيسارية ودور وحوانيت على المارستان
 الأسفل والفيضاتين والسقايتين وأكفان الموتى » وذكر شيوخ
 مصر المؤرخون أن هذا المارستان كان فيه من الأزار الصني
 الكبار والبراني والقنود النحاس والهاوين والطسوت وغير ذلك
 ما يساوي ثلاثة آلاف دينار . ونقل إليه من المارستان الأعلى
 الذي بناه أحمد بن طولون أضعاف ذلك وليس به الآن^(٢)
 شراب ولا دواء يلتمسه فقير وإنما يطبخ فيه في السنة ٠٠٠ (كلمة
 غير مفهومة) يسير أكثر الضعفاء لا يصلون إليه ثم بطل ذلك »
 وقال تقي الدين المقرئ هذا المارستان بناء كافور الاخشيد وهو
 قائم بتدبير دولة الأمير أبي القاسم أنوجور بن محمد الاخشيد
 بمدينة مصر في سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م .

(١) الانتصار لابن دقاق ج ٣ و ج ٤ ص ٩٩

(٢) هذا قول ابن دقاق المولد سنة ٧٥٠ هـ والمتوفى سنة ٨٠٩ هـ

(١٣٤٩ — ١٤٠٦ م)

٥ - بيمارستان القشاشين

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ^(١) : بلغني أن البيمارستان كان أولاً بالقشاشين يعني المكان المعروف الآن (أي في زمن ابن عبد الظاهر) بالخراطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دار الضرب بناها مأمون البطائحي وزير الأمر بأحكام الله قبالة البيمارستان .

قال تقي الدين المقرئ ^(٢) في كلامه عن درب خربة صالح : « هذا الدرب على يسرة من سلك من أول الخراطين إلى الجامع الأزهر كان موضعه في القديم مارستاناً ثم صار مساكن ، وعرف بخربة صالح ، وفيه سوق الصناديقين . وقال عن سوق الصناديقين إنه تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه القديم من جملة المارستان فيستفاد من ذلك أن ذلك المارستان قد عفا أثره قبل محي الدين بن عبد الظاهر ^(٣) . »

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٩

(٢) المخطط والآثار ج ٢ ص ٤٠

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر القاضي ففتح الدين ابن القاضي محي الدين الجدامي الرومي المصري المعروف بابن عبد الظاهر صاحب ديوان الإيثار ومؤتمن المملكة بالديار المصرية ؛ مولده بالقاهرة سنة ٦٠٨ هـ تفقه ومهر في الإنشاء والأدب وسار في الدولة المنصورية (فلاوون) برأيه وعقله وحسن سياسته توفي بقلعة دمشق سنة ٦٩١ هـ ودفن بسفح قاسيون (المنهل الصافي) «مخطوط»

٦ — بیمارستان السَّقَطِيّين

كان هذا بیمارستان في سوق السقطين خارج باب زويلة بجوار دار التفاح . قال ابن أبي أصيبعة ^(١) :

كان أبو الحجاج يكحل في بیمارستان بالقاهرة غير الموضع الذي صار حينئذ بالقاهرة بیمارستاناً وهو من جملة القصر ، يريد أنه غير بیمارستان صلاح الدين أو بیمارستان الناصري . قال وكان بیمارستان في ذلك الوقت في السقطين أسفل القاهرة .
الأطباء الذين عملوا في هذا بیمارستان :

١ - شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحلّال كان يكحل في هذا بیمارستان .

٧ — بیمارستان الناصري أو الصلاحي

أو بیمارستان صلاح الدين

لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن يوسف بن أيوب ^(٢) الديار المصرية (سنة ٥٦٧ هـ ١١٧١ م) واستولى على القصر قصر الفاطميين كان في القصر قاعة بناها العزيز بالله في سنة ٣٨٤ هـ

(١) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٢٤٧

(٢) صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٠

(٩٩٤ م) فجعلها السلطان صلاح الدين بيارستاناً وهو البيارستان العتيق داخل القصر . وهو باق على هيئته إلى الآن (أي إلى زمن القلقشندي وكانت وفاته سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ويقال إن فيها أي القاعة طلساً لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيارستاناً .

وقال أبو السرور البكري ^(١) في كلامه على البيارستان :
قصر أولاد الشيخ من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به المارستان العتيق .

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) :
« أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختر مكاناً بالقصر ، وأفرد برسم من جملة الرباع الديوانية ، مشاهرة ^(٢) مبلغها مائتا دينار وغلات جهتها الفيوم واستخدم له أطباء وكحالين وجراثيمين وشارفاً وعاملاً وخذلاً ووجد الناس به رقماً وبه نفعا . » وقال ابن عبد الظاهر :

(١) كتاب قطف الأزهار في الخطط والآثار مخطوط

(٢) السلوك للمقريزي ص ٨٧

« كان البيمارستان قاعة بناها العزيز بالله سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) وقيل إن القرآن مكتوب على حيطانها . ومن خواصها أنه لا يدخلها نمل لطلسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين يوسف بن أيوب قال هذا يصلح أن يكون بيمارستاناً وسألت مباشره عن ذلك فقالوا صحيح . »

قال أبو الحسن محمد بن جبير ^(١) الرحالة الأندلسي عند زيارته لمدينة القاهرة سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) وذلك في عهد السلطان صلاح الدين :

« وما شاهدناه في مفاخر هذا السلطان ، المارستان الذي بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائعة ، حسناً واتساعاً . أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتساباً ، وعين قِيَمًا من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكثته من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها ، ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسيرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسب . وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم . وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ولهن أيضاً من يكفلن ويتصل بالموضعين المذكورين

(١) رحلة ابن جبير ص ٥١ طبع ليدن

موضعٌ آخرٌ مُتسعُ الفناء فيه مقاصير عليها شبائيك من الحديد اتخذت مجالس للمجانين . ولهم أيضاً من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها . والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكّد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد » وقال علي مبارك باشا ^(١) : « لما تولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب السلطنة وفرق أما كن قصر الخلافة على أمرائه ليسكنوا فيها جعل موضعاً منها مارستاناً وهو المارستان المشهور بالعتيق وجعل بابه من حارة ملوخية ، وهي حارة قائد القواد قديماً وموضعه الآن الدار المعروفة بدار غمري الحصري مع ما جاورها من الدور كما وجدنا ذلك في حجج الأملاك وهو بآخر الحارة من جهة بابها الصغير الذي هو من جهة قصر الشوك . وأصل هذا الباب أحد أبواب القصر الكبير الشرقي وكان يسمى باب قصر الشوك ويدخل منه إلى البيمارستان العتيق .

الأطباء الذين عملوا في هذا المارستان :

١ - رضي الدين الرمزي : هو الإمام العالم رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي كان والده من الرحبة وكانت صناعة الكحل أغلب عليه ، كان مولده بجزيرة ابن عمر

(١) الخطط الجديدة ج ٢ ص ٨١

سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) سافر إلى بغداد واشتغل بصناعة الطب ،
وكان وصوله إلى دمشق مع أبيه سنة ٥٥٥ هـ وكان في ذلك الوقت
ملكها السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، واجتمع
بالمملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فحسن موقعه عنده
وأطلق له في كل شهر ثلاثين ديناراً . ويكون ملازماً للقلة
والبيمارستان بالقاهرة ولما توفي صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٢ م)
عاد إلى دمشق وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م)
وعاش نحو المائة سنة . وكان من محاسن عادات رضي الدين أنه
ما كان يقرب الطعام إلا إذا طلبته شهوته ؛ وأنه كان أبداً يتوخى
الآ يصعد في سلم وكان يصف السلم بأنه منشار العمر .

٢ - ابراهيم بن الرئيس ميمون : هو أبو المنى إبراهيم بن
الرئيس موسى بن ميمون منشوء فسطاط مصر ، وكان طبيباً مشهوراً
عالماً بصناعة الطب وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي
بكر بن أيوب ، ويتردد إلى البيمارستان الذي بالقاهرة من القصر
ويعالج المرضى فيه . قال ابن أبي أصيبعة . « واجتمعت به في سنة
٦٣١ أو ٦٣٢ هـ بالقاهرة وكنت حينئذ أطب في المارستان فوجدته
شيخاً طويلاً نحيف الجسم لطيف الكلام . توفي سنة نيف وثلاثين
وسمائة وعاش ٨٦ سنة . »

٣ - موفى الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الحزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة . ولد بدمشق وكان متقناً لصناعة الكحل وعمه رشيد الدين علي بن خليفة كان كحالاً ببيمارستان دمشق . قرأ الحكمة على رضي الدين الجبلي واجتمع بابن البيطار بدمشق سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) وشاهد معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه . وخدم الطب في البيمارستان الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بالقصر ، ثم دخل في خدمة الأمير عز الدين فرخشاه صاحب صرخد وتوفي سنة ٦٨٨ هـ (١٢٦٩ م) وقد جاوز السبعين .

٤ - الشبغ السريدي بن أبي البيان : هو سديد الدين أبو الفضائل داود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفرج إسرائيل بن أبي الطيب سليمان بن مبارك إسرائيل قرأه ، مولده سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٠ م) بالقاهرة كان شيخاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وكان يعالج المرضى بالبيمارستان الناصري بالقاهرة خدم الملك العادل أبا بكر ابن أيوب وعاش فوق الثمانين .

٥ - القاضي نفيس الدين بن الزبير : هو القاضي نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولي (والكولم من

بلاد الهند) ولد سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٠ م) قرأ صناعة الطب وأتقن
صناعة الكحل وعلم الجراحة ، ولأه الملك الكامل ابن الملك العادل
رياسة الطب بالديار المصرية وبكحل في البيمارستان الناصري الذي
كان من جملة القصر وتوفي سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) .

٨ — بيمارستان الاسكندرية

قال تقي الدين المقرئ^(١) : في السابع عشر من شوال سنة
٥٧٧ هـ سار السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الاسكندرية
فدخلها في الخامس والعشرين من شهر شوال وشرع في قراءة
الموطأ ، وأنشأ بها مارستاناً وداراً للمغاربة ومدرسة على ضريح المعظم
توران شاه



(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

٩ — البيارستان الكبير المنصوري

أو دار الشفاء

أو مارستان قلاوون^(١)

هذا المارستان^(٢) بنحط بين القصرين^(٣) من القاهرة ، كان قاعة للسيدة الشريفة ست الملك^(٤) ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معدّ وأخت الحاكم بأمر الله منصور ، ثم عرف بدار الأمير فخر الدين رجاك^(٥) بعد زوال الدولة

(١) قلاوون هو الملك المنصور قلاوون الصالح الشهير بالألفي ملك مصر في سنة ٦٧٨ هـ الموافقة ١٢٧٩ ميلادية ، وسمي بالألفي لان آق سنقر الكاظمي كان قد اشتراه بألف دينار توفي بظاهر القاهرة سنة ٦٨٩ هـ ١٢٩٠ م وهو قاصد الغزو في ذي القعدة ودفن بترابته بالقبة المنصورية داخل البيارستان .

(٢) الخبط والآثار للمقريزي ج ٢ ص ٤٠٦

(٣) هما القصر الكبير الشرقي الذي بناه جوهر قائد الفاطميين وفتح مصر للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي وتم بناؤه سنة ٣٦٠ هـ والقصر الصغير الغربي بناه العزيز بالله أبو منصور نزار قيل إنه بني سنة ٤٥٠

(٤) توفيت ست الملك في مستهل جمادى الآخرة سنة ٤٢٥ هـ وخلفت ثمانية آلاف جارية ووجد في ذخائرها قطعة ياقوت أحمر زنته عشرة مثاقيل (عقد الجمان للعيني)

(٥) قال ابن خلكان : هو أبو المنصور رجاك كس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين كان من كبار أمراء الدولة الصلاحية —

الفاطمية وهدار مُوسك^(١) ثم صارت للملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . فاستقر بها هو وذريته فصار يقال لها الدار القطبية . ولم تزل بيد ذريته إلى أن أخذها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالح من الست الجليلة عصمة الدين مؤنسة خاتون القطبية ابنة الملك العادل وأخت الملك المفضل قطب الدين أحمد ، وعوضت عن ذلك قصر الزُمرّد بـرحبة باب العيد في ١٨ ربيع الأول وقيل في ١٢ منه سنة ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م بمباشرة الأمير علم الدين منجر الشجاع^(٢) مدير الممالك ورسم بعمارتها مارستاناً وقبة ومدرسة .

— وكان كريماً نبيل القدر عالي الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه . رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمتها وإحكام بنائها وبنى بأعلاها مسجداً كبيراً وربعاً معالقاً وتوفي في شهر سنة ٦٠٨ بدمشق ودفن بها في جبل الصالحية ومعنى جهار كس أربعة أنفس .

(١) الأمير عز الدين مُوسك الصلاحى من كبار أمراء الدولة الأيوبية
(٢) هو منجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى الأمير الكبير علم الدين وزير الديار المصرية ومشدد دواوينها ثم نائب سلطنة دمشق ، وكان رجلاً طوالاً تام الخلق أبيض اللون أسود اللحية عليه وفار ومهية وسكون . وكان في أنفه كبر وفي خلقه شراسة وفي طبيعته جبروت وانتقام وعسف . وله خبرة بالسياسة والحكمة وكان أولاً قد ربي بدمشق عند امرأة تسمى بست فجاء بجوار —

فتولى الشجاعى أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يسمع بمثله حتى تم الغرض فى أسرع مدة وهى أحد عشر شهراً وأياماً . وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع . وكان الشروع فى بنائها مارستاناً فى أول ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ - ١٢٨٤م فأبقى القاعة على حالها وعملها مارستاناً وهى ذات إيوانات أربعة بكل إيوان شاذروان ، وبدور قاعتها فسقية يصير إليها الماء من الشاذروان . ولما نجزت العمارة وقف عليها الملك المنصور من الأملاك بديار مصر القياس والرابع والخوانيت والحمامات والفنادق والأحكار

— المدرسة المنكلالية ، ثم انتقل إلى القاهرة وتعلم الخط وقراءة الأدب واتصل بالأمير عز الدين الشجاعى مشد الدواوين وإليه ينسب بالشجاعى ، ثم اتصل بالملك المنصور قلاوون وهو فى جملة الأمراء ولما تسلطن قلاوون تقدم سنجر المذكور عنده وجعله شاد الدواوين ثم ولاء الوزارة بالديار المصرية ، ثم ولاء نياية دمشق ثم عزل عنها وكان له ميل إلى الدين وتعظيم الإسلام وهو الذى كان مشدداً على عمارة البيمارستان المنصوري بين القصرين فتحمله فى مدة يسيرة ، ونهض بهذا العمل العظيم وفرغ منه فى أيام قلائل ، وكان يستعمل الصناع والفعلة بالبندق حتى لا يفوته من هو بعيد عنه فى أعلى سقالة أو غيرها ، ثم عمل الوزارة فى أول الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أكثر من شهر وحدثته نفسه بما فوق الوزارة فعصى ووقع له أمور فقتل وعلق رأسه على سور القلعة . وكانت وفاته فى ٢٤ صفر سنة ٦٩٣ (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي حوادث تلك السنة .)

وغير ذلك ، والضياع بالشام ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة ورتب مصارف المارستان والقبّة والمدرسة ومكتب الأيتام . ووكل الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى أمير جنّدار في وقف ما عينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم ، وجعل النظر لنفسه أيام حياته ثم من بعده لأولاده ، ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعي فضمن وقفه كتاباً^(١) تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر صفر سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) ٤ يونية . ولما تكامل ذلك ركب السلطان^(٢) وشاهده وجلس بالبيارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء ، وأخبر بعض من شهد السلطان وشهد عليه أنه استدعى قدحاً من الشراب فشربه وقال قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وأوقفه السلطان على الملك والمملوك والكبير والصغير والحر والعبد والذكر والأنثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ومن مات جهزه ، وكفن ودفن . ورتب فيه الحكماء الطبائية والكحالين والجراحية والمجبرين لمعالجة الرّمذ والمرضى والمجرحين والمكسورين من الرجال والنساء ، ورتب به الفراشين والفراشات والقوّة لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم

(١) سنأتي على ذكره مفصلاً

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري حوادث سنة ٦٨٢ هـ

وخدمتهم في الحمام ، وقرر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة وعملت
 التخوت والفرش والطراريح والأقطاع والمخدات والأحف والملاءات
 لكل مريض فرش كامل . وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة
 تختص بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها .
 وجعلت قاعة للرمد ، وقاعة للجرحى ، وقاعة لمن أفرط به الإسهال ،
 وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين من الرجال ومثله للنساء ،
 والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن . وأفردت أماكن لطبخ
 الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأكل
 والشيافات ^(١) والسفوفات وعمل المراهم والأدهان وتركيب
 الدرياقات ، وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف
 المذكورة ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج إليه
 ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع
 به الطلبة . ولم يحصر السلطان أثابه الله هذا المكان المبارك بعده
 في المرضى يقف عندها المباشر ويمنع من عداها ، بل جعله سبيلا
 لكل من يصل إليه في سائر الأوقات من غني وفقير ، ولم يقتصر
 أيضاً فيه على من يقسم به من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو
 في منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية ، حتى إن

(١) الشيافة : الفتيلة

هو لاء زادوا في وقت من الأوقات على مثنين غير من هو مقيم
 بالبيارستان ٠ ولقد باشرته في شوال (النويرى يروي ذلك) سنة
 ٧٠٣ هـ وإلى آخر رمضان سنة ٧٠٧ فكان يصرف منه في بعض
 الأيام من الشراب المطبوع خاصة ما يزيد على خمسة قناطير
 بالمصري في اليوم الواحد للعربيين والطواريء غير السكر
 والمطايخ من الأدوية وغير ذلك من الأغذية والأدهان والدراقات
 وغيرها ورتب في البيارستان من المباشرين والأمناء من يقوم
 بوظائفه وابتاع ما يحتاج إليه من الأصناف وضبط ما يدخل إلى
 المكان وما يخرج منه خاصة من غير أن يكون لهم تعلق في
 استخراج الأموال ، وإنما يتعاون الأصناف ويحيلون بثمنها على
 ديوان صندوق المستخرج ويكتبون في كل شهر عمل استحقاق
 لسائر أرباب الجامكيات والخزانات من سائر أرباب الوظائف
 والمباشرين يكتبه العامل ويكتب عليه الشهود ويأمر الناظر بصرفه
 يحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج ويصرف على حكمه وهذه
 الطائفة من المباشرين بالبيارستان هم مباشرو الإدارة ، وأما
 مباشرو الصندوق والرباع فالإليه يرجع تحرير جهات الأوقاف في
 الخلق والمسكون والمعطل واستخراج الأموال ومحاسبات المستأجرين
 وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشري الإدارة ومباشرة العمارة

وعمل الاستحقاق ، ولا يتصرفون في غير ذلك كما لا يتصرف
مباشر الإدارة في صرف الأموال إلا حوالة بإرادتهم .
وأما العمارة فلها مباشرين ينفردون بها من ابتياع الأصناف
واستعمال الصباغ ومهمة الأوقاف وغير ذلك مما يدخل في
وظائفهم وهم يحاولون بأثمان الأصناف على الصندوق كما يفعل في
الإدارة وينقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لأرباب
الأجر خاصة ويكتبون في كل شهر عمل استحقاق بثمن
الأصناف وأرباب الأجر ويخصمونه بما أحالوا به على الصندوق
وما وصل إليهم من المال ، ويسوقونه إلى فايز أو متأخرو ويرفع
كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم مياومة ومشاهدة
ومسانة إلى الناظر والمستوفي في هذا ما يتعلق بالبيمارستان .

من ابن بني البيمارستان المنصوري

قال ابن دقاق ^(١) : في سنة ٦٤٩ أسر المعز بإخلاء قلعة
الروضة ولم يترك بها أحداً . ثم إن الملك المنصور قلاوون لما
أراد عمارة البيمارستان أخرجها وأخذ حواصلها وعمر بها المارستان
والمدرسة والتربة . وقال جلال الدين السيوطي ^(٢) : فلما تسلطن

(١) كتاب الانتصار بواسطة عقد الأمصار ج ٤ ص ١١٠

(٢) حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٧٠ طبع القاهرة

الملك المنصور قلاوون وشرع في بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية ، نقل من قلعة الروضة ما يحتاج إليه من العمدة الصوان والعمدة الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة بالبرابي وغير ذلك . ولما تمت عمارة المدرسة والبيمارستان وكان على عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، دخل عليه الشرف البوصيري فمدحه بقصيدة أولها :

أنشأت مدرسة ومارستانا لتصحيح الأديان والأبدانا
فأعجبه ذلك منه وأجزل عطاءه ، ورتب في المدرسة غير
الدروس الفقهية درس طب .

مرتبة نظر البيمارستان

قال أبو العباس أحمد القلقشندي ^(١) ابنتى السلطان قلاوون رحمه الله دارست الملك أخت الحاكم ، المعروفة بالدار القطبية ، بيمارستانا في سنة ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م بمباشرة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة فبقى معالم بعض الدار على ما هو عليه وغير بعضها . وهو من المعروف العظيم الذي ليس له نظير في الدنيا . ونظيره مرتبة سنية يتولاه الوزراء ومن في معانهم قال في مسالك الأبصار : « وهو الجليل

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٩

المقدار ، الجليل الآثار ، الجليل الإيثار ، لعظم بنائه وكثرة أوقافه وسعة إنفاقه وتنوع الأطباء والكحاليين والجراحية فيه « وقال ابن بطوطة ^(١) : « وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الوصف عن محاسنه ، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصى و يذكر أن مجاه ألف دينار كل يوم . »

سبب بناء المارستان

قال تقي الدين المقرئ ^(٢) : وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزاة الروم في أيام الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦ م ، أصابه بدمشق قولنج عظيم ، فعالجه الأطباء بأدوية أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد ، فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر إن آتاه الله الملك أن يبني مارستاناً . فلما تسلطن أخذ في عمل ذلك فوقع الاختيار على الدار

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٧١ طبع باريس خرج ابن بطوطة من طنجة . موطنه الأصلي قاصداً الحج في سنة ٧٢٥ هـ - ١٣٢٥ م ثم خطوله أن يزور بلاداً كثيرة في طريقه إلى مكة فأتبعه في سياحته وأمضى ٢٤ عاماً متنقلاً بين البلدان ومنها مصر وكتب ما شاهده لما عاد إلى بلاده

(٢) الخطط والآثار ج ١ ص ١١٦

القطبية ، وعوض أهلها عنها قصر الزمرد ، وولى الأمير علم الدين
سنجر الشجاعي أمر عمارته .

وذكر المؤرخون سبباً آخر في بناء المارستان فقال ابن إياس :
إن سبب بناء المارستان هذا : أن الملك المنصور قلاوون أمر بماليكه
أن يضعوا السيف في العوام لأمر أوجب تغيير خاطر السلطان
عليهم ، فإنهم خالفوا أمره في شيء فعل بجهلهم ، فأمر بقتلهم فلعب
فيهم السيف ثلاثة أيام فقتل في هذه المدة مالا يحصى عدده ،
وراح الصالح بالطالح ، وربما عوقب من لم يحن فلما زاد الأمر
عن الحد ، طلع القضاة ومشايخ العلم إلى السلطان وشفعوا فيهم
فعفا عنهم وكف عنهم القتل ، فلما جرى ما جرى وراق خاطر
السلطان ندم على ما فعله ، وبني هذا المارستان وجعل له جملة
أوقاف على رواتب بر وإحسان ، وفعل من أنواع الخير ما لم
يفعله غيره من الملوك ليكفر الله عنه ما فعله بالناس لعل الحسنات
تذهب السيئات كما قال الله تعالى .

وعابوا المارستان ^(٢) لكثرة عسف الناس في عمله وذلك أنه
لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبية مارستاناً ، ندب
الطواشي حسام الدين بلالاً المغيبي للكلام في شرائها فساس الأمر

(١) بدائع الزهور ج ١ ص ١١٦

(٢) الخطاط والآثار للمقريزي ص ٤٠٧

في ذلك حتى أنعمت مؤنسة خاتون ببيعها ، على أن تعوض عنها بدار تلمها وعلها ، فعوضت قصر الزمرد برحبة باب العيد مع مبلغ من المال حمل إليها . ووقع البيع على هذا فندب السلطان الأمير سنجر الشجاعي للهمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة ، وأخذ ثلاثمائة أسير ، وجمع صناع القاهرة ومصر وتقدم إليهم بأن يعملوا بأجمعهم في الدار القطبية ، ومنعهم أن يعملوا لأحد في المدينين شغلاً وشدد عليهم في ذلك ، وكان مهابة فلازموا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج إليه من العمد الصوان والعمد الرخام والقواعد والأعتاب والرخام البديع وغير ذلك . وصار يركب إليها كل يوم وينقل الأنقاض المذكورة على العجل إلى المارستان ، ويعود إلى المارستان فيقف مع الصناع على الأساقيل حتى لا يتوانوا في عملهم وأوقف مماليكه بين القصرين ، وكان إذا مر أحد ولو جلّ أزموه أن يرفع حجراً ويلقيه في موضع الهمارة فينزل الجندي والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك فترك أكثر الناس المرور هناك .

استمرار نهر اليمارستان المنصوري بالعمارة والإصلاح

وفي عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون في سنة

٧٢٦ هـ حصل ^(١) الشروع في إصلاح البيمارستان المنصوري والقبة والمدرسة وكان الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي ناظر الأوقاف قبل ذلك ، كان قد رسم أن لا يترك أحداً من المرضى بالبيمارستان ومن عوفي أو أبل يخرج منه فخلت بذلك الأواوين من المرضى وأكثر القاعات ولم يبق بالبيمارستان إلا الممرورون وبعض المرضى وحصل الشروع في العمارة فأصلحت الجدران وجدد البياض والأدهان ونحت ظاهر القبة والمدرسة والمأذنة بالأزامل واستمرت العمارة إلى أواخر جمادى الأولى وخلت الأواوين الأربعة بالبيمارستان من مستهل هذه السنة إلى يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى فرسم في هذا اليوم بتنزيل المرضى وكان جملة ما صرف على هذه العمارة تقارب ستين ألف دينار .

وقال المقرئ: « ^(٢) في يوم الاثنين سادس شعبان سنة ٧٢٦ هـ أنشأ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك قاعة بالبيمارستان المنصوري ونحت جدر البيمارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلاً وخارجاً وطراً (طلا) الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد وعمل خيمة يزيد طولها على مائة ذراع وركبها

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري حوادث سنة ٧٢٦

(٢) السلوك في معرفة دول الملوك ج ٢ ص ٢٦١

لتستر على مقاعد الأقفاص وتستر أهلها من الحر ، ونقل الحوض من جانب باب المارستان لكثرة تأذي الناس برائحة التبن ، وعمل موضعه سبيل ماء عذب لشرب الناس وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف .

وقال الفيومي ^(١) : « كان الأمير الكبير جمال الدين آقوش الأشرفي في أثناء توليته نظر البيمارستان المنصوري ، يحسن إلى المرضى ويتفقد أحوالهم في الليل ويتنكر ويدخل إليهم قبل الفجر ويسأل الضعفاء عن سائر أحوالهم حتى عن الفراش والطبيب . ويدخل إلى مارستان المجانين ويباشر أحوالهم بنفسه ويتحدث معهم ولا يغفل عن مصلحة تتعلق بمباشرته » وقال خالد البلوي ^(٢) عن مارستان القاهرة في عصره يريد المارستان الكبير المنصوري :
« أخبرني الشيخ العالم المؤرخ شمس الدين الكركي أنه يكحل فيه كل يوم من المرضى الداخلين إليه والناقلين الخارجين أربعة آلاف

(١) نثر الجمان في تراجم الأعيان للفيومي حوادث سنة ٧٣٦ هـ (توفي الأمير آقوش في يوم الاحد ٧ جمادى الأولى سنة ٧٣٦)

(٢) تاج المفرق في تحلية اهل الشرق لابي البقاء خالد البلمآوي الاندلسي قاضي قنتورية Cantoria وهي رحلته إلى الحجاز مشحونة بالفوائد والفرائد خرج فيها من بلده بالمغرب يوم السبت ١٨ صفر سنة ٧٣٦ هـ ومر بالقاهرة فوصف ما شاهده فيها وهي مخطوط بجزالة كتب المرحوم احمد تيمور باشا رحمه الله

نفس وتارات يزدون وينقصون ، ولا يخرج منه كل من يبرأ من
مرض حتى يعطى إحساناً إليه وإنعاماً : كسوة للباسه ، ودراهم لفقاته
وأما ما يعالج المرضى به من قناطر الأشربة المقطرة والأكحال
الرقية الطيبة التي تسحق فيها دنائير الذهب الإبريز ، وفصوص
الياقوت النفيس ، وأنواع اللؤلؤ الثمين ، فشيء يهول السماع ،
ويعم ذلك الجمع ، إلى ما يضاف إلى ذلك كله من لحوم الطير
والأغنام على اختلافها وتباين أصنافها مع ما يحتاج إليه كل واحد
من يوافيه ويحل فيه ، لفرشه وعرشه من غطاء ووطاء ومشعوم
ومزورور وشبه ذلك مما هو معدّ على أكمله هنالك ، وما ليس
مثله إلا في منزل أمير أو خليفة وقد رتب على ذلك كله من
الأطباء الماهرين والشهود المبرزين والنظار العارفين والخدام
المتصرفين كل من هو في معالجته موثوق بعدالته ، مسلّم له في
معرفته ، غير مقصر في نصرفه وخدمته . ولو استقصيت الكلام في
هذا المارستان وحده لكان مجلداً مستقلاً بنفسه ، أو في مبانيه
الرائقة وصناعاته الفائقة وتواريخه المذهبة ونقوشه العجيبة المنتخبة
التي ترفل في ملابس الإعجاب وتسجر العقول والألباب ما
يفتن النفوس ، ويكشف أنواع البدور والشموس وتعجز عن
وصف بعضها خط الأقلام في ساحة الطروس فما وقعت عين

على مثله ولا سمعت أذن بشبهه وشكله :

تجاوز حدّ الوهم واللحظ والمنى وأعشى الحجالاً لاؤه المتضاري
فتنعكس الأفكار وهي خواسر وتنقلب الأبصار وهي خواسي
وفي يوم الاثنين^(١) ٣ صفر سنة ٧٤٣ استقر الأمير جنكلي بن
البابا في نظر البيمارستان عرضاً عن الجاولي .

وفي يوم الخميس^(٢) ١١ ربيع الأول سنة ٧٤٣ وقعت منازعة
بين الأمير جنكلي بن البابا وبين الضياء المحتسب بسبب وقف
الملك المنصور على القبة المنصورية ، فإنه أراد إضافته إلى المارستان
وصرف متحصله في مصارف المارستان فلم يوافق الضياء ، واحتج
بأن لهذا مصرفاً عينه واقفه لقراء وخدام ، وواقفه القضاة
على ذلك .

وفي المحرم^(٣) من سنة ٧٤٧ خلع على الأمير أرغون العلاني ،
واستقر في نظر البيمارستان المنصوري عوضاً عن الأمير جنكلي بن
البابا ، فنزل إليه وأعاد جماعة من قطعهم ابن الأطروش بعد موت
الأمير جنكلي . وأنشأ بجوار باب المارستان سبيل ماء ومكتب

(١) السلوك للمقريزي ج ٢ ص ٦٦٤

(٢) السلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي ج ٢ ص ٦٦٧

(٣) السلوك ج ٢ ص ٧٥٩

سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم ووقف عليه وفقاً
بناحية من الضواحي .

وفي ١٤ محرم ٧٥٢ هـ خلع السلطان الملك الصالح الحسن بن محمد
ابن قلاوون^(١) علي الضياء يوسف الشامي وأعيد إلى حسبة القاهرة
ونظر المارستان عوضاً عن ابن الأطروش ، بسفارة النائب لكلام
نقله ابن الأطروش عن الوزير فسبه وأهانته وتحدث في عزله وعود
الضياء^(٢) . فعرض الضياء حواصل المارستان فلم يجد فيها شيئاً
وكتب بذلك أوراقاً وأوقف النائب عليها ، فنزل النائب معه إلى
المارستان ، واستدعى القضاة وأرباب الوظائف بالمارستان وأحضر
ابن الأطروش وطلب كتاب الوقف وقرأه حتى وصل فيه القارئ
إلى قوله عن الناظر « القيم » : « ويكون على وفاء بالحساب وأمور
الكتابة » فقال الضياء لابن الأطروش : « قد سمعت ماشرطه الواقف
فيك وأنت عامي مشهور ببيع الخرائط لاتدرى شيئاً مما شرط
الواقف وناولته ورقة حساب ليقرأها ، فقام إليه بعض الفقهاء وقال :
هذا معه تدريس وإعادة ، وأنا أسأله عن شيء فإن أجاب استحق
المعلوم . وأخذته الألسنة من كل جهة فقال النائب : « يا قوم

(١) السلوك ج ١ ص ٩١٢

(٢) هو ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد الشهير بالضياء ابن
خطيب بيت الأبار الشامي ناظر المارستان والوقف (السلوك ج ٢ ص ٤٠١)

هذا رجل عامي وقد أخطأ وما بقي إلا الستر عليه» فاعترف أنه لا يدري الحساب وأنه عاجز عن المباشرة وألزم نفسه ألا يعود إليها أبداً بإشهاد وكتب فيه قضاة القضاة ونوابهم يتضمن قوارع مُشَنَّعة وما زال النائب بأخصامه حتى كفوا عنه . ثم قام لكشف أحوال المرضى فوجدت فرشهم قد تلفت ولها ثلاث سنين لم تغير فسد النائب خالله وانصرف .

وفي شهر ذي القعدة سنة ٧٥٥ في عهد سلطنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون خلع السلطان على الأمير صرغتمش واستقر في نظر المارستان المنصوري وكان قد تعطل نظره من متحدث ترك وانفرد بالكلام فيه القاضي علاء الدين بن الأطروش وفسد حال وقفه ، فإنه كان يكثر من مهادة أمراء الدولة ومديريها ويهمل عمارة رباطه حتى تشققت ، فنزل إليه الأمير صرغتمش ودار فيه على المرضى فساء ما رأى من ضياعهم وقلة العناية بهم ، فاستدعى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر محمد بن خطيب بيت الأبار الشامي وعرض عليه التحدث في المارستان كما كان عوضاً عن ابن الأطروش ، فامتنع من ذلك ، فما زال به حتى أجاب وركب إلى أوقاف المارستان بالمهندسين لكشف ما يحتاج إليه من العمارة ؛

فكتب تقدير المصروفات ثلاثمائة ألف درهم ومنع من يتعرض لهم
وانصلحت أحوال المرضى أيضاً .

وفي شعبان سنة ٩٠٢^(١) أمر السلطان الملك الناصر أبو السعادات
محمد بن الأشرف قايتباي (وكان الخليفة وقتئذ المتوكل على الله
العباسي) بأن تقطع الحيات التي تصنع في البيمارستان بمحضرة حتى
يتفرج عليها ، فأحضروها بين يديه بقاعة البحرة فقطعت بمحضرة
وهو ينظر إليها وخلص على رئيس الطب شمس الدين القوصوني
وولده والحاوي الذي أحضر الحيات وآخرين .

وفي سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) جدد الأمير عبد الرحمن كتحدا^(٢)
المارستان المنصوري وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية والقبة التي
كانت بأعلى الفسحة من خارج ، ولم يعد عمارتها بل سقف قبة
المدفن فقط ، وترك الأخرى مكشوفة . ورتب له أرزاقاً وأخباراً
زيادة على البقايا القديمة ولما عزم على ترميمه وعمارته أراد أن يحيط
بجهات وقفه فلم يجد له كتاب وقف^(٣) ولا دفترأ ، وكانت كتب

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ج ١ ص ٣٥٠
طبع اسطنبول

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي ج ٢
ص ٦ طبع بولاق

(٣) خطط مصر Description de l'Egypte ج ١٨ ص ٣١٩ الطبعة

الثانية .

أوقافه ودفاتره في داخل خزانة الكتب فاحتوت بها فيها من كتب العلم والمصاحف ونسخ الوقفيات والدفاتر . ووقفه يشتمل على وقف الملك المنصور قلاوون الكبير الأصلي ووقف ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون ووقف ابن الناصر أبي الفداء إسماعيل وغير ذلك من مراتب الملوك من أولادهم ثم إنه وجد دفتر من دفاتر الشطب المستجدة من بعض المباشرين وذلك بعد الفحص والتفتيش فاستدل به على بعض الجهات المحتكرة . وفي خطط مصر التي وضعها الحملة الفرنسية على مصر من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١ قال المسيو جومارا Gomara أحد العلماء الذين استقدمهم نابليون مع الحملة : أنشئ في القاهرة منذ خمسة قرون أوسنة ، عدة مارستانات تضم الأعلاء والمرضى والمجانين ، ولم يبق منها سوى مارستان واحد هو مارستان قلاوون ، تجتمع فيه المجانين من الجنسين . ومارستان القاهرة هذا لا يزال أكثر شهرة من مارستان دمشق ، وقد كان في الأصل مخصصاً للمجانين ثم جعل لقبول كل نوع من الأمراض ، وصرف عليه سلاطين مصر مالاً وافراً ، وأفرده فيه لكل مرض قاعة خاصة وطبيب خاص ، ولذكور فيه قسم منعزل عن قسم الإناث . وكان يدخله كل المرضى فقراء وأغنياء بدون تمييز ، وكان يجلب إليه الأطباء من مختلف جهات الشرق ويميز

لهم العطاء ، وكانت له خزانة شراب «صيدلية» مجهزة بالأدوية والأدوات . ويقال إن كل مريض كانت نفقاته في كل يوم ديناراً ، وكان له شخصان يقومان بخدمته . وكان المورقون من المرضى يعزلون في قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم بسماع ألحان الموسيقى الشجية أو يتسلون باستماع القصص يلقيها عليهم القصاص وكان المرضى الذين يستعيدون صحتهم يعزلون عن باقي المرضى ويمتنعون بمشاهدة الرقص ، وكانت تمثل أمامهم الروايات المضحكة وكان يعطى لكل مريض حين خروجه من المارستان خمس قطع من الذهب ، حتى لا يضطر إلى الالتجاء إلى العمل الشاق في الحال . وبني السلطان قلاوون المدرسة التابعة للمارستان في المكان الذي هي فيه في الوقت الحاضر وكان يدرس فيها الطب والفقه

وقال بريس دافن^(١) Prisse d'avennes كانت قاعات المرضى تدفأ بإحراق البخور أو تبرد بالمراوح الكبيرة الممتدة من طرف القاعة إلى الطرف الثاني ، وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان شجر الحناء أو شجر الرمان أو شجر المصطكي أو بعساليج الشجيرات

(1) Prisse d'avennes : L'Art Arabe, les monuments du caire Paris 1877

العطرية • وكان البلسان ^(١) يوثق به من عين شمس إلى المارستان
لعلاج المرضى • وقد كان يصرف من الوقف على بعض أجواق
تأتي كل يوم إلى المارستان لتسليّة المرضى بالغناء أو بالعزف على
الآلات الموسيقية • ولتخفيف ألم الانتظار وطول الوقت على المرضى
كان المؤذنون في المسجد يؤذنون في السحر وفي الفجر ساعتين
قبل الميعاد حتى يخفف قلق المرضى الذين أضجرهم السهر وطول
الوقت • وقد شاهد علماء الحملة الفرنسية هذه العناية بانفسهم •

وجاء في هذه الخطط أيضاً: إن هذا البناء الذي كان فيما غير
من الأيام ملجأً مفتوحاً في الشدائد، قد اضمحلت حالته بعد ذلك

(١) جاء في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس حوادث
سنة ٨٩١٤ هـ: ومن النوادر أن البلسان وهو الذي يسمونه البلسم كان قد
انقطع زرعته من أرض المطرية في أوائل سنة ٨٩٠٠ هـ وكانت مصر تفتخر
بذلك على سائر البلاد وكانت ملوك الفرنج تتغالى في دهن هذا البلسم
ويشترونه بنقله ذهباً ولا يتم عندهم التنصر حتى يضعوا من دهنه شيئاً في
ماء المعوذية وينغمسون فيه وكان يستخرج دهنه في فصل الربيع في
برمات • فلما انقطعت زرعته من أرض المطرية تنكر السلطان لذلك
ولا زال يفحص عن أمره حتى أحضر إليه بلسان بري من بعض أماكن
الحجاز وهو في طينه فزرعه في المطرية في مكانه المشهور به فنتج وطلع
لما سقي من ماء تلك البئر التي هناك فنتج في هذه السنة وطلع ما كان قد بطل
أمره من مصر فعُدّ ذلك من محاسن الملك الأشرف قانصوه الغوري •

وزالت عنه السعادة الأولى التي كان يرفل في حلاها ، أو بعبارة
أخرى كاد لا يبقى منه غير ظله بسبب ظلم الترك والماليك وإهمالهم
ولا سيما تبديد أمواله .

وعند ما دخله المسيو جومار كان عدد المرضى فيه خمسين أو
ستين عدا المجانين وكانوا يسكنون قاعات في الدور الأرضي
مفتوحة من كل جانب ، وليس بها أسيرة أو أوثان . وكان المجانين
يشغلون قسماً آخر من البناء منقسماً إلى قاعتين ، لكل من الزوجين
قاعة خاصة . وكان عدد المجانين عشرة يسكنون حجرات مقفلة
بشايك الحديد وفي رقابهم السلاسل ، وكان بينهم نوبيان أحدهما
فتى مسرور محتبس منذ ثلاث سنين والثاني عبد للألفي بك (أحد
أمراء الماليك) احتبس منذ أربعة شهور ، ورجل سريّ يعتريه
الجنون في كل شهر مرة وآخر معه زوجته الخ وكانت النساء
عرايا أو أشبه بالعرايا وهذا البناء المتسع متصل بمسجد السلطان
المنصور قلاوون . وقد أمر القائد العام الفرنسي رئيس الأطباء في
الحملة بزيارة المارستان وتقديم تقرير عن حالته وعن الإصلاح
اللازم له فتوجه إليه المسيو ديجانت Degeanette مستصحباً معه الشيخ
عبد الله الشرقاوي وهالك ما جاء في تقريره قال : توجهت اليوم
إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي فصحبني إلى المارستان وربما كنت

أول مسيحي وطئت قدمه أرض ذلك المكان . فعند ما دخلنا رأيت
 مظاهر الاحترام التي جرت العادة أن تقدم لمثل هذا الشيخ ،
 ولكن كان يشوبها الشعور بقلق ربما كان سببه وجودي بينهم
 ثم فرش بساط جلس فوقه الشيخ ثم تكلم بكلام أدركت منه
 أنه يلقي عليهم موضوع مهتم وأنه يأمرهم بمعاونتي على تأديتها .
 فللمارستان مكان متسع رديء الموضع يسع في المتوسط مائة
 مريض وفيه في الوقت الحاضر سبعة وعشرون مريضاً ، وأربعة
 عشر مجنوناً سبعة رجال وسبع نسوة . وفي المرضى كثير من
 العميان وأكثرهم مصاب بالسرطان وبعضهم أنهكته الأمراض
 العضالة المتروكة من غير علاج ، وجميعهم من غير إسعاف سوى
 توزيع الغذاء عليهم وهو من الخبز والأرز والعدس وهم لا يتصورون
 أن في الإمكان تخفيف أوجاعهم ، وهم بتركهم هكذا تحت رحمة
 الأقدار لم يعرفوا قط حتى أبسط الأدوية . ويقوم المجانين في
 ناحيتين منعزلتين في إحداهما ثماني عشرة حجرة للرجال وفي
 الأخرى ثماني عشرة للنساء . وقد رأيت الرجال مصابين بالبرد
 والمالنخوليا وأكثرهم مسنن ورأيت فتى فقط كان في حالة هياج
 فكان يزأر كالأسد ثم انتقل فجأة إلى هدوء أعقبه ابتسام
 ودهشة . وحجر النساء ليست كلها محاطة بشبايك الحديد

وكانت النسوة كلهن مصفدات ولكنهن غير مثبتات في الجدران كالرجال ، وإحدى هاته النسوة وهي طاعنة في السن تقدمت نحوي حتى وسط الحوش وهي تبكي وتطلب إحسانا وكانت الأخيرات متحجبات حتى لم يمكن أن ألاحظ شيئا من ملامهن . ووقف الذين اصطحبوني في كل مكان على باب هذه الدائرة وكانت امرأتان تحرسان بابها الداخلي محجبتان على الدوام ومتحجبتان بوجوههما إلى الجدار أثناء زيارتي وكانت هناك فتاة صغيرة جميلة قاعدة القرفصاء ووجهها وجسمها يكادان يكونان عاريين فلما لحتني داخلا فرحت كثيرا وسلمت علي مرارا بجني رأسها ووضع يديها المغلولتين فوق صدرها وكانت تتكلم بنشاط ، ولكنني لم أفهم منها غير كلمة سِنِّيُور وكانت تعيدها مرارا ولكنها غريبة عن لسانها .

ولقد شككت في كونها مجنونة لأن ظلم الرجال كثيرا ما زجَّ بالعقلاء في هذه المحال المحزنة .

على أن شكوك الطبيب وهو الذكي القواد كان لها أساس من الصحة فقد علمنا بعد ذلك أن هذه الفتاة الشقية الحظ قد أطلق سراحها ولكن الذين زجوا بها في هذا المسكان لم ينلهم نقاب .

وبعد أن زرت كل شي^١ بالعناية التامة لحقت بالشيخ الذي كان ينتظرنى بالمسجد الذي هو من البيمارستان فوجدته يصلي أمام التربة الفخمة المدفون فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي أعد هذا المكان لأيام الشدائد .

وجاء في الخطط أيضا^(١) : إنه كان للبيمارستان وقف كافٍ للصرف عليه و كانت له عدا ذلك مصادر أخرى متعددة للإيراد مثل الترياق المعمول به في القاهرة فقد كان محتكراً له ومخصصاً لإيراده للصرف على البيمارستان .

وقال فيجيري بك^(٢) كان هذا المارستان قد أخذ في الإضمحلال ففتحه جنتم كان [أي ساكن الجنة] الحاج محمد علي باشا ورتب له مبلغاً من الدراهم أيضاً يصرف على الفقراء والمساكين الذين يأتون إليه .

وفي أواسط القرن التاسع عشر الميلادي زار القاهرة العالم الأثري الألماني جورج ايبرس^(٣) Georges Ebers وكتب عن ماستان

(١) الخطط الفرنسية ج ١٨ ص ٣٢٤

(٢) كقاب حسن البراعة في علم الزراعة ج ٢ ص ١٦٧ طبع سنة

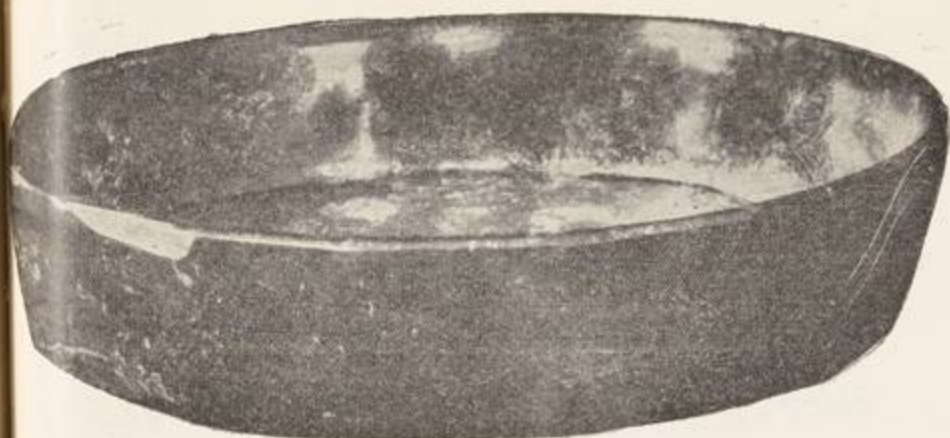
١٢٨٣ ١٨٦٦ هـ م بولاق .

(٣) Georges Ebers : L'gypte Alexandrie et Le Caire
Traduction Gaston Maspero .Paris 1880

قلاوون ما نقله هنا قال : إنه موجود في سوق النحاسين وهم
يشغلون في قاعاته ، ولقد تخرب ولم يبق منه سوى تربة مؤسسة
يأتي إليها المرضى يزورون مخلفات السلطان بقصد الشفاء : فيمسون
عمامته لشفاء أوجاع الرأس ، وقفطانه للشفاء من الحميات المنقطعة
وتجتمع الشابات من النساء والأمهات ومعهن أولادهن فتطلب
الواحدة منهن في القبلة من الله أن يرزقها ولداً ذكراً لأهمية
الذكور عند الوطنيين فلا تكون المرأة سعيدة إذا لم ترزق ولداً
ذكراً . فتأتي النساء أمام القبلة فيزعن اللباس عن أنفسهن
ويغطين وجوههن بأيديهن ويقفزن من ناحية من نواحي القبلة إلى
الناحية الأخرى بخطوة واحدة ويكررن القفز مراراً حتى ينهكن
التعب حتى لقد ترى بعضهن من التعب ممددة ومطروحة فوق
الأرض مغنى عليها حتى تفيق من غشيتها وكان كثير من النسوة
يأتي بالأطفال الصغار حتى قبل أن تقوى على المشي أجسامهم
ويطلب فك عقدة ألسنتهم . وكانت النساء تأتي بالأطفال إلى
حجر أسود عريض بقرب الشباك الذي إلى اليمين وتعصر ليمونة
خضراء فوق الحجر وتفرش العصارة فوق الحجر وتحكه بحجر
آخر صغير حتى إذا تلون حامض الليمون باللون الوردي الناشئ
من الحجر الأسود الحديدي ، تحمل الأطفال على لحسه فتتألم

الأطفال من حموضة الليمون ، وتصيح صارخة بأصواتها ، فتسر
الأم لسماها صياح طفلها وكلما علا صوته من شدة الحموضة أيقنت
الأم بتمام المعجزة وشفاء ابنها وانفكك عنده لسانه . وللنساء
اعتقاد خاص في عمودي القبلة وجزأيهما السفليين وهما مغطيان
بطبقة تجعل منظرهما سمجا بسبب عصارة الليمون .

وفي دار الآثار العربية طبق كبير من العقيق ارتفاعه عشرة
سنتيمترات وقطره خمسة وأربعون سنتيمتراً وبه ثمانية عشر ضلعا
من الخارج . وشكل الطبق ينم على كونه روماني الاصل ربما
يكون قد أهده أحد ملوك الروم إلى السلطان الملك المنصور
قلاوون أو إلى ابنه الملك الناصر محمد ، وقد رجح ذلك حضرة
الباحث المحقق حسين راشد أمين دار الآثار العربية . وكان هذا
الطبق أولا ببيمارستان قلاوون ثم نقل إلى دار الآثار حفظا له
وصيانة من التلف أو الضياع لنفاسته وندورته . وأرجح أن هذا
الطبق هو الذي كان يعصر فيه الليمون ويحك بحجر آخر حتى
يحمّر السائل ثم يرغم الطفل على لحسه . وأما قفز النسوة أمام
القبلة كما ذكر إيبرس ، فالراجح أيضا أن النسوة كن يضعن
الطبق أمام القبلة ثم يخطون فوقه سبع مرات فكاً لعقمهن وطلباً
للحمل وهذه عادة مشهورة في مصر من تخطي أي شيء غريب
جملة مرات من أجل الحبل وهذه صورة الطبق :



الشكل - ١

طبق من العقيق وجد في بيارستان فلاوون

وفي سنة ١٨٥٦ كان البيارستان المنصوري قد بلغ الغاية من
الاضمحلال وهجره المرضى ولم يبق به سوى المجانين، فنقلت منه المجانين^(١)
إلى ورشة الجوخ ببولاق ولم يكن بهذا المحل الاستعداد اللازم لذلك
وكانوا غير معتنى بهم فأنشئ مستشفى للمجانين في بعض السراي الحمراء
التي أنشأها الخديوي إسماعيل باشا بالعباسية ثم أحرقت وكان نقل
المجانين من ورشة الجوخ ببولاق إلى العباسية سنة ١٨٨٠ م.

وقال بريس دافن الذي زار القاهرة في ذلك العصر ووصف
البيارستان في كتابه إنه قد حصلت تغييرات عديدة في أبنيته في
عصور مختلفة ولا سيما قد نقلت المجانين منه إلى غيره من الأماكن

(١) خطط مصر لعللي باشا مبارك ج ١ ص ٩٦

فقد تصرف المشرفون عليه بتأجير قاعاته للسكن فصار كأنه وكالة وصارت مرافقه مخازن لصناع النحاس وتجاره وقال : إن درس هذا المارستان الكبير له أهمية عظمى في تاريخ العمارة العربية حيث لم يبق الآن بناء مثله من عصره .

وبعد أن انتقلت المجانين من بیمارستان قلاوون إلى ورشة الجوخ بيولاقي تحول حال بیمارستان ، فبعد أن كان خاصاً بالمجانين عاد إلى ما كان عليه في السابق من معالجة سائر الأمراض وكان يتولى العلاج فيه ويدير شؤونه أطباء كيفما كانوا ، حتى تولى شؤونه الدكتور حسين عوف بك وكان من خيرة الأطباء المتعلمين فن الطب طبقاً للنظام العلمي الحديث . وكان الدكتور حسين عوف هذا طبيباً كحلاً فطناً ، فتولى علاج أمراض العيون فيه هو ثم ابنه الدكتور محمد عوف باشا مساعداً له أولاً ثم متولياً لشؤونه من بعده . ومن هنا أخذ بیمارستان يكون خاصاً بأمراض العيون إلى اليوم ومن عمل في هذا بیمارستان بعدهم الدكتور محمد بكير بك والدكتور محمد أمين بك . وفي سنة ١٨٩٥ عين الدكتور محمد سامح بك الطبيب الكحال مديراً لبیمارستان ورئيساً لأطبائه ثم أحيل إلى المعاش في يناير سنة ١٩١٢ ثم خلفه في رئاسة بیمارستان الدكتور محمد شاكر بك إلى شهر مارس سنة ١٩١٥ . وفي أبريل

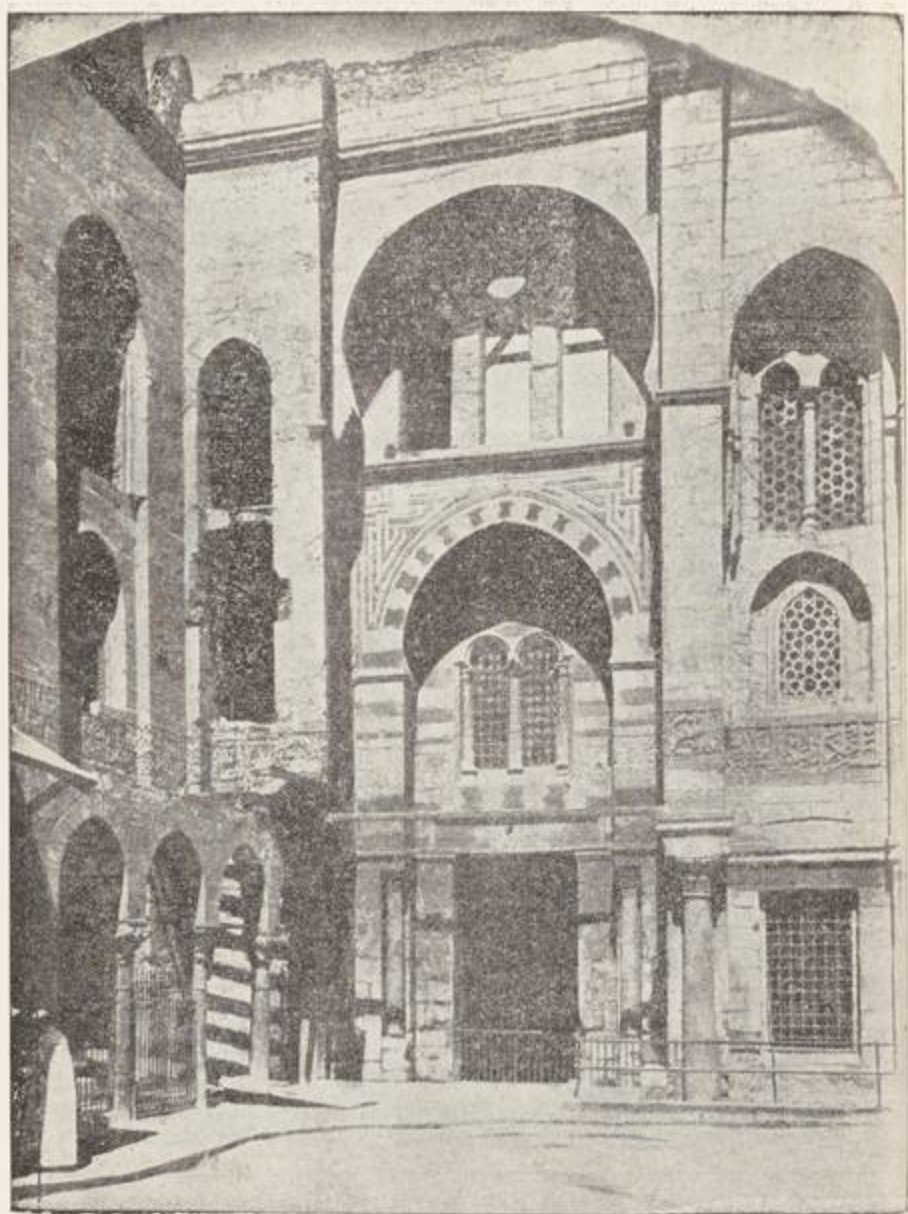
سنة ١٩١٥ تولى رئاسة البيمارستان الدكتور محمد طاهر بك إلى شهر
نوفمبر سنة ١٩١٨ حيث خلفه في الرئاسة الدكتور سالم هنداوي بك،
ولا يزال إلى الآن مقولياً رئاسة المارستان وكبير أطبائه ويعاونه في
علاج الرمد نحو عشرة أطباء آخرون .

الآثار الباقية من البيمارستان المنصوري (قندوون)

لعبت بالبيمارستان المنصوري يد الزمان ، فأصبح أثره بعد عين
وعفت آثاره ، وزالت معالمه ، ولم يبق منه سوى النذر اليسير من
رسومه ومرافقه . ولما كانت لجنة حفظ الآثار العربية هي المنوط
بها المحافظة على مثل هذه الآثار القيمة والعناية بما أبقته يد التخريب
رأينا أن نأتي هنا بما كتبه المؤرخ المهندس العالم مكس هرتزبك
كبير مهندسي اللجنة ، عن حال المارستان الحاضرة منقولاً عن
محاضر جلساتها المندرجة في مجموعتها السابعة والعشرين الصادرة في
سنة ١٩١٠ م صفحة ١٤١ ^(١) قال :

المارستان المنصوري هو من أهم عمائر الفن العربي في مصر ولم
يبق منه في الوقت الحاضر إلا بقايا نادرة هي :

(1) Comité de conservation des monuments de l'art
Arabe exercice 1910 fascicule 2 ème p. 141



شكل ٢ - الباب الكبير لبيمارستان فلاوون

١ - جزء من الإيوان الشرقي وفسقية من الرخام Passin والقاعة القبليّة وبعض ألواح منقوشة في سقف الإيوان البحري وتدل النحليّة الجبسية Ornement en plâtre في بعض النوافذ التي لا تزال موجودة على حالها في الردهة الشرقية وأعمال الفسيفساء في الفسقية ، على أن زخارف المارستان لم تكن تقل نفاسة عن زخارف التربة التي هي أسلم بناء حفظ للآن من أبنية قلاوون ، وتوجد في آخر ردهة المارستان القديم الملاصقة للإيوان الغربي من المسجد ، ولا تزال جهتان من حافته مكسوتين بخطوط من الرخام الملون وقاع الفسقية مغطى بالفسيفساء الدقيقة الصنع جداً ولا تزال سليمة وهي مكونة من جزأين : فراغ مستطيل مسطح في وسط جزء مربع مجوف . وكان الماء يأتي إلى الفسقية كما يكون في الفساق العمومية يخرج من جدار القاع بأنبوب ثم يجري فوق لوح من الرخام كالسلسيل في الفساق العمومية . والبناء المسند فوقه لوح الرخام لا يزال قائماً .

واللوحة الخامسة عشر من كتاب بسكال كوست^(١) تبين صورة البيمارستان . وفي اللوحة التالية قطاع أفقي للبيمارستان مار بردهة البيمارستان التي في وسطها الفسقية ، وقد اعتمد المؤلف على كثير من الأصول لإعادة تخطيط البيمارستان ، وعلى الأقل

(١) Coste (Pascal) - Architecture arabe ou monuments du kaire, mesurés et dessinés de 1818 à 1825 . Paris 1839



شكل - ٣ الفقية والسابيل



- رقم ٢٢ حوش ومجازات
 « ٢٣ قاعة المرضى من الرجال بسرايرها
 « ٢٤ « النساء بسرايرها
 « ٢٥ « النافقين من الرجال
 « ٢٦ « النافقات من النساء
 « ٢٧ « الحراس والمعرضين
 « ٢٨ « سلم سكن الأطباء
 « ٢٩ « المطبخ وملحقاته
 « ٣٠ « قاعة لغسل الموتى
 « ٣١ « مخازن مواد الحريق
 « ٣٢ « محل الطبيب المدير
 « ٣٣ « محل الجراحين
 « ٣٤ « محل الكحال
 « ٣٥ « مصلى
 « ٣٦ « حوش وابواب
 « ٣٧ « بيوت الخلاء
 « ٣٨ « خلاوي للمجانين من الرجال
 « ٣٩ « خلاوي للمجانين من النساء
 « ٤٠ « سلم لسطح البيازستان
 « ٤١ « ٤٢ « ٤٣ «

شكل ٤ - - تخطيط أساسات بيارستان فلاوون نقلاً عن بسكال كست

المعالم الكبيرة منه فعدد ٢٥ في الرسم المذكور يدل على الردهة المسماة قاعة الناقلين من الرجال والفسقية مبنية فيه بعدد ٤٣ وهكذا . ويخرج من الفسقية قناة تخترق القاعة بطولها وهذا النظام يشبه مثيله في قصر الحمراء وفي قصر زيزا .

والمظنون أن هذا النظام كان شائعاً في القصور في جميع البلدان الإسلامية . وقد أفاض المقرئ في الكلام عن معلومات قيمة عن هذا اليمارستان الذي يعد أشهر مارستان في العصور الوسطى وذكر الشاذروان jet d'eau الذي فيه والفسقية التي تعد المثل الوحيد من نوعها .

وفي سنة ١٩٠٥ صحت عزيمة لجنة حفظ الآثار العربية على الاحتفاظ بالأجزاء القديمة التالية :^(١)

١ - بقايا الإيوان الشرقي حيث توجد فيه ثلاثة منافذ بزخرفها ، ونظراً لحالة التلف القائمة بهذا الإيوان يجتهد في حالة تعذر الاحتفاظ بأجزائه القيمة في أماكنها في أن تنقل إلى المتحف ، وإلاّ يكتفى بعمل قوالب منها بالملاط اجتناباً لتهدمها التدريجي بفعل الزمن .

٢ - قوس الإيوان الجنوبي وزخارفه الجبسية النفيسة

(١) Rapport de la section technique, exercice 1906 fascicule 23 ème page 7



شكل ٥ - قوس الایوان الجنوبي
« من كتاب هرتر باشا »

٣ - الإيوان الغربي ولا سيما طرف هذا الإيوان حيث
توجد زخارف مغطاة بطلاء حديث .

٤ - الإيوان الشمالي المطل على الحوش الوسطاني : لم يحتفظ
بشكله الأصلي ولا يزال قوسه الكبير موجوداً ، ولكن سد
جزء منه للمساعدة على تثبيت ثلاث أقواس بالبناء بالحجر
المنحوت خلافاً للموجود في الإيوانات الأخرى التي هي مبنية
جميعها بالطوب الأحمر . ولو أن اختلاف مادة البناء هذا دليل
واضح على أن الإيوان الشمالي جدد بناؤه فإن القسم الفني يرى
مع ذلك وجوب الوصاية بالاحتفاظ به .

٥ - القاعة الكبرى المربعة في جنوب المارستان المذكورة
في تقرير عدد ٣٤١ والتي تشتمل على عمود من الرخام وأقواس
عني بتشابهها بعضها لبعض وقد كشفت حديثاً بعناية كبير
مهندسي اللجنة .

ويرى القسم الفني أنه يتعذر الاحتفاظ بهذه القاعة بسبب
بعدها من مجموعة الأجزاء المهمة في هذا الأثر والتي سبق ذكرها ،
إلا إذا ألحقت كما هي بالبناء الجديد للمستشفى ، وفي حالة
تعذر إلحاق هذه القاعة بالبناء الجديد لنقل من مكانها الحالي
وإبعاد بناؤها في حوش جامع الحاكم .

الكتابات الأثرية في البيمارستان المنصوري

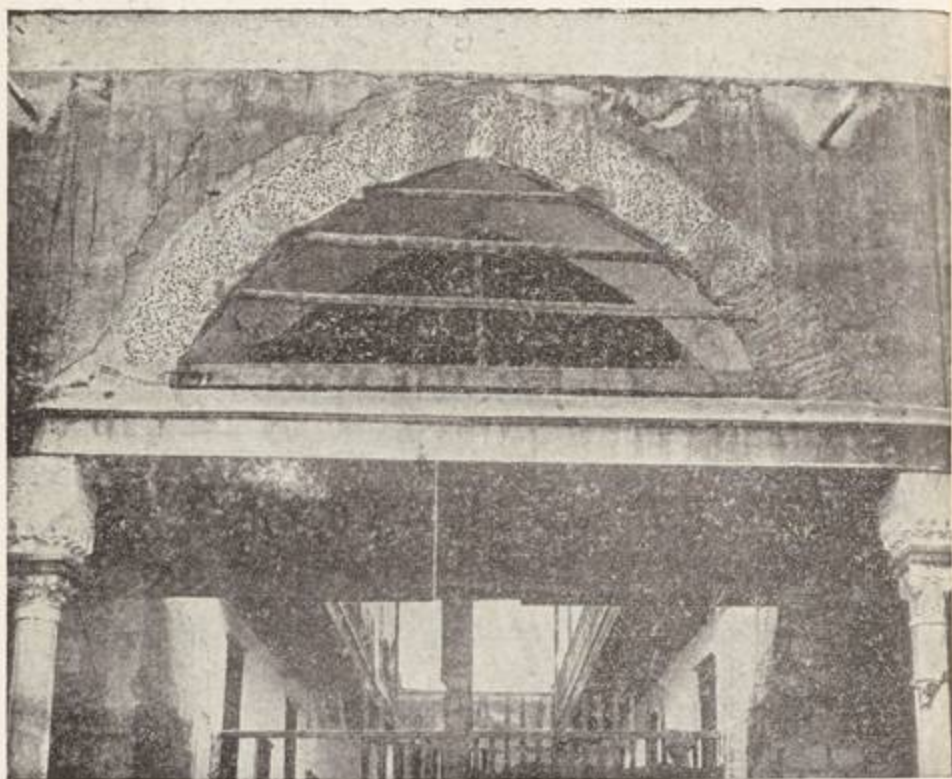
فوق الباب المد للدخول إلى المدرسة والقبّة والمارستان
الكتابة الآتية :

١ - أمر بإنشاء هذه القبّة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة
والبيمارستان المبارك ، مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف
الدنيا والدين قلاوون الصالحى . وكان ابتداء عمارة ذلك في ربيع
الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منه في جمادى الآخرة
سنة أربع وثمانين وستمائة .

وعلى فخذى باب الدخول أسفل البوابة الكبرى ، لوحان
من الرخام ملصقان على ارتفاع مترين من الأرض على يمين الباب
وبساره ، سعة كل منهما ٧٠ في ٧٠ سنتيمتراً ومنقوش عليهما
الكتابة الآتية المركبة من سبعة سطور بالخط النسخي الملوّكى
والحرف الدقيق وهي كثيرة النقط قليلة الحروف اللينة وصورتها
واحدة إلا اختلافاً قليلاً وهذا نصها :^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله ، لما كان بتاريخ
يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة سنة ٧٩١ في نظر المقر السيفي

(١) Max van Berchem : materiaux pour un
corpus inscriptionum arabicorum tome XIX fascicule
II Egypte 1896 P. 128 et 134



شكل ٦ - الايوان القبلي من بیمارستان فلاوون
« قلا عن ماكس هرتز »

قَانِمْرَ، عزَّ نصره ، برز المرسوم الشريف السلطاني الملكي
المنصوري الصالحى خلد الله ملكه ، أن ينعم على مستحق ربيع
وقف البيارستان المنصوري ما يخص بيت المال السلطاني من إرث
من يتوفى من أرباب وظائفه ومباشرية وسكان أوقافه نعمة
مستمرة على الدوام والاستمرار ، لا يتغير حكمها ولا يندرس رسمها
ولعنة الله على من يسعى في تبديله أو إبطاله فمن بدله بعد ما سمعه فإنما
إثمه على الذين يدلونه .

صورة اللوحين : في لوحة ٦ عدد ٩٢ من الكتاب نفسه

الأعيان التي كانت موقوفة على البيارستان المنصوري
الأعيان التي كانت محبوسة على المارستان المنصوري كثيرة
وقد تغيرت معالمها وباد الكثير منها بطول الزمن وتغير الدول
وكثرة القلاقل والفتن ولم يبق منها إلى اليوم إلا القليل جداً
بحيث لا يكفي للقيام بالصرف على المارستان كشرط واقفه .
وسنذكر تلك الأعيان التي كانت موقوفة ومكان وجودها ،
نقلًا عن مؤرخي ذلك العصر للدلالة على ما كان عليه المارستان
من الشهرة والعظمة . ولقد يأتي الكثير من ذلك أيضاً عند ما
نقل القسم الخيري من الوقفية الأصلية .
فمن الأوقاف بمدينة الفسطاط :

١ - قيسارية الصبانة بالفسطاط^(١) : هذه القيسارية من الأوقاف المنصورية (قلاوون) على مصالح البيمارستان المنصوري بالقاهرة .

٢ - فندق الملك السعيد بالفسطاط^(٢) وهو فندق كبير يعلوه رُبْع كبير عُمِرَ في أيام الملك السعيد محمد بن بركة خان ثم ملكه قلاوون الألفي وهو اليوم (أي في زمن المؤرخ ابن دقاق المتوفى سنة ٨٠٩) وقف على المارستان المنصوري وكراؤه في كل شهر نحو الألفي درهم .
وبالقاهرة :

٣ - حمام الساباط^(٣) قال ابن عبد الظاهر : « كان في القصر باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة في العيد يخرج منه إلى الميدان وهو الحرنشف (الحرنفش الآن) إلى المنحَر لتنحَر فيه الضحايا ويعرف هذا الحمام في زماننا (أي زمن المقرئ المتوفى سنة ٨٤٩ هـ ١٤٤١ م بحمام المارستان المنصوري وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربي ويعرف أيضاً بحمام الصنّيمة فلما

(١) الانتصار بواسطة عقد الأمصار لابن دقاق ج ٤ ص ٣٨

(٢) الانتصار لابن دقاق ج ٤ ص ٤٠

(٣) المقرئ ج ٢ ص ٨٠

زالت الدولة الفاطمية من القاهرة ، بيع هذا الحمام جملة مرار فلما
تملكه الملك المنصور قلاوون وأنشأ المارستان الكبير المنصوري
صارت فيها بعد فيما هو موقوف عليه وهي الآن من أوقافه .

٤ - قيسارية المحلى وقيسارية الضيافة وقف المارستان
المنصوري ^(١) .

٥ - قيسارية الفاضل ^(٢) هذه القيسارية على مئمة من يدخل
من باب زويلة عرفت بالقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي
البيساني وهي الآن في أوقاف المارستان المنصوري .

٦ - سوق القفصات ^(٣) (بصيغة الجمع والتصغير جمع قفص)
فإنه كان معداً لجلوس أناس على نخوت تجاه شبابيك القببة
المنصورية وفوق تلك النخوت أقفاص صغار من حديد مشبك ،
فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن
وغير ذلك وهذه الأقفاص يأخذ أجرة الأرض التي عليها مباشرة
المارستان المنصوري .

٨ - سوق الكتبيين ^(٤) : أحدثت بعد سنة ٧٠٠ يحيط بها

(١) المقرئ ج ٢ ص ٨٦

(٢) المقرئ الخطط والآثار ج ٢ ص ٨٩

(٣) المقرئ ج ٢ ص ٩٧

(٤) المقرئ ج ٢ ص ٨٩

سوق الأمشاطيين وسوق الثقلين وهما بين المدرسة الصالحية
والصاغة وجميع ذلك جار في أوقاف المارستان المنصوري .
صورة من مال البيمارستان المنصوري في بعض عصوره

بعض من تولى النظر على البيمارستان
إن السلطان قلاوون حينما أوقف البيمارستان جعل النظر عليه
في حياته لنفسه ثم لأولاده من بعده ثم من بعدهم لحاكم المسلمين
الشافعي .

وسنأتي في هذا الفصل بذكر بعض الذين تولوا النظر على
البيمارستان في عصور مختلفة من حياته ، لبيان ما كان عليه
البيمارستان من المكانة والعظمة ، فمن تولى النظر عليه :

١ - علي بن عبد الوارث^(١) بن أحمد بن الحضر الشيخ علاء
الدين الحلبي تزيل دمشق ، كان شيخاً كبيراً متميزاً من رؤساء
الدولة الناصرية خدم في الجهات وولى نظر البيمارستان المنصوري
وغيره وتوفي سنة ٦٩٧ هـ .

٢ - محمد بن علي^(٢) بن محمد بن محمد بن علي بن عثمان الشيخ
شمس الدين أبو عبدالله بن الفاضل نور الدين أبي الحسن البدرشي

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردى ج ٢ ص ٤٠٨ مخطوط

(٢) التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ص ٥٨

ثم القاهري المولود بالقاهرة سنة ٧٨٨ هـ اختص بجاني بك الصوفي
وباشر البيمارستان في أيامه وعلا كلامه وعظم أمره ، مات يوم
الاثنين في ١٧ شوال سنة ٨٤٦ هـ .

٣ - محمود بن محمد ^(١) بن علي بن عبد الله قاضي القضاة جمال
الدين ابو الثناء القيصري الرومي الأصل العجمي الحنفي ، قاضي
قضاة الديار المصرية وناظر جيوشها وشيخ الشيخونية ، باشر عدة
وظائف كالتدريس في الصرغتمشية وغيرها والخطابة بمدرسة
السلطان برقوق ونظر البيمارستان المنصوري توفي ليلة الأحد
في ٧ ربيع الأول سنة ٧٩٩ هـ .

٤ - علي بهاء عبد الله بن محمد الامير علاء الدين بن الطبلاوي ^(٢)
نسبة إلى قرية بالمنوفية بالوجه البحري تسمى طبلاه ، نشأ بالقاهرة
من جملة العوام إلى أن مات عمه بهاء الدين الطبلاوي وكان
تاجراً بقيسارية جهار كس بالقاهرة وله مال فورثه بنو عمه علي
هذا وغيره ، فلما صار متمولاً سعى إلى أن صار مشدً القصر
السلطاني بقلعة الجبل ، ثم ولي شدً البيمارستان المنصوري ، ولا
يزال يتقرب عند الملك الظاهر برقوق حتى أدخله في غالب أشغاله

(١) المنهل الصافي لابن تغري بردي

(٢) المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٠٧

وصار له كلمة في الدولة ثم غضب عليه السلطان لأمر صدرت
منه ثم نفي إلى الكرك وقتل بغزة سنة ٨٠٢ هـ.

٥ - محمد بن أحمد بن عبد الملك القاضي شمس الدين الدميري^(١)

المالكي ولي حاسبة القاهرة في الأيام الأشرفية شعبان بن حسين ثم
ولي بعد ذلك غير مرة ، وولي نظر الأحباس ونظر البيمارستان
المنصوري وقضاء العسكر على مذهب الإمام مالك رضى الله
عنه . ولم يزل ينتقل في الوظائف إلى أن توفي يوم الاثنين ٩
رمضان سنة ٨١٣ هـ .

٦ - علي بن مفتح القاضي نور الدين^(٢) ناظر البيمارستان

المنصوري ووكيل بيت المال بالأطباق بالقلة وعد من رؤساء
الناس وتوفي يوم الجمعة ١٢ ذي الحجة سنة ٨٤١ هـ .

٧ - محمد بن محمد بن محمد بدر الدين بن شمس الدين الدميري^(٣)

ثم القاهري ، كان جده ناظر البيمارستان وولي الحاسبة واستمر
هذا في مشاركة المارستان ، مات في رمضان سنة ٨٤٦ هـ .

٨ - محمد بن محمد بدر الدين العباسي المعروف بالعجمي^(٤)

(١) المنهل الصافي

(٢) المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٥٠

(٣) التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ص ٦٠

(٤) التبر المسبوك ص ٥٩

زوج أخت البدر الدميري ورفيقه في مشارفة البيمارستان مات في
شوال سنة ٨٤٦ هـ

٩ - في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٠ استقر
المولوي السفطي^(١) في نظر البيمارستان المنصوري بعد عزل المحبي
ابن الأشقر ولبس الخلعة لذلك ، وفي يوم الخميس خامس ربيع
الآخر انتقض الأمر وألبس المحبي خلعة الاستمرار في اليوم
المذكور .

١٠ - في يوم الأربعاء سلخ شهر ذي الحجة ٨٥١ هـ طلع
القاضي الشافعي^(٢) إلى السلطان بأربعة عشر ألف دينار من
حاصل البيمارستان ، فعرضها عليه فشكره على ذلك ، وغفل عن
كونه لم يعمل فيه بمراد الواقف بل حَجَرَ في تنزيل المرضى
وغيره وأمر بمسح دهاليزه وكنسه وعدم التمكين من المشي فيه
بالنعال حتى أنشدني الشيخ أبو عبد الله الراعي لنفسه :

مرستانكم بشكو الخلاء وما به من الكنس والمسح الذي ليس ينفع
وناظره إذ جار في حكمه له فيمنعه المرضى ومع ذا يجمع
بتعميره قفراً مضيعاً فياله خلياً من المرضى ولكن مرقع

(١) التبر المسبوك ص ١٤٤

(٢) التبر المسبوك ص ١٨٧

أولونه مأوى الكلاب لتعجبوا ولا رمد فيها ولا متوجع
وبلدتنا مملوءة من مريضنا فلا عينه تهمني ولا القلب يخشع
يمشي مريض العين بالباب حافياً فوق بلاط صار للعين يقلع
فنسأل ربي أن يفرج كربنا ويرحم مرضانا وذو الجور يرفع^(١)

١١ - في يوم الاثنين ٣ جمادى الآخرة سنة ٨٥٤ هـ خلع على
الشرفي الأنصاري باستقراره في نظر البيمارستان والخانقاه الصلاحية
سعيد السعداء والجوالي والكسوة وو كالة بيت المال.^(٢)

١٢ - محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج القاضي ولي
الدين^(٣) السفطي المولود سنة ٧٩٠ هـ قرره السلطان في نظر
البيمارستان المنصوري سنة ٨٤٩ هـ فازداد وجهة وعزا واجتهد في
عمارته وعمارة أوقافه والحث على تنمية مستأجراته وسائر جهاته
حتى الأحكار وما نسب إليه من الآثار مع التضييق على مباشريه
والتحري في المريض المنزل فيه بحيث زاد على الحد وقل من المرضى
فيه العدد ، وتحامى الناس المحي إليه بأنفسهم أو بمرضاتهم ، فصار
بذلك مكنوساً ممسوحاً . ومنع الناس من المشي فيه إلا حفاة

(١) هذا الشعر ركيك للغاية ولا يكاد يكون شعراً ولكنه

صورة صحيحة لذلك العصر

(٢) التبر المسبوك ص ٣١٩

(٣) التبر المسبوك ص ٣٣٥ والضوء اللامع للسخاوي

- ١٢٩ -

وحجر في كل ما أثرت إليه غاية التحجير فاجتمع في الوقف بسبب هذا كله من الأموال ما يفوق الوصف وفيه نوع شبه بما سلكه الشمس محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميري في المارستان أيضاً وإن لم يبلغ حد صاحب الترجمة ولا كاد وقد تعرض لصنيعه في ذلك أبو عبدالله الراعي في نظمه كما سيأتي

١٣ - في شهر صفر من سنة ٩٠١ هـ خلع الأتابكي تمتاز^(١) وقرر في نظر البيمارستان المنصوري ، فتوجه إلى هناك في موكب حافل وسلطان العصر في ذلك الوقت الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري .

١٤ - في شوال سنة ٩٠٨ هـ خلع على معين الدين شمس^(٢) وقرر في وكالة بيت المال ونظر البيمارستان المنصوري فعظم أمره جداً .

١٥ - في سنة ٩٢٣ هـ في حكم السلطان سليم المعروف بابن عثمان^(٣) خلع المقر السيفي ملك الأمراء خاير بك بن بلباس نائب السلطنة بالديار المصرية علي الزيني بركات بن موسى وقرره

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ج ٢ ص ٢٩٢

(٢) بدائع الزهور لابن إياس ج ٤ ص ٥٠

(٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٣٥

مدير المملكة وناظر الحسبة الشريفة وناظر البيهارستان المنصوري
الخ . . .

الثقة بالبيهارستان المنصوري

للدلالة على ما كان للبيهارستان المنصوري من الثقة في نفوس
الناس نذكر بعض الذين عولجوا به من أكابر العلماء ومشاهير
الوقت منهم :

١ - عثمان بن علي بن عثمان بن إسماعيل بن يوسف قاضي القضاة
فخر الدين المعروف بابن خطيب جبرين قاضي حلب مولده في ربيع
الآخر سنة ٦٦٢ هـ بالحسينية بالقاهرة مرض بالبيهارستان المنصوري
ومات به سنة ٧٣٨ هـ ^(١) .

٢ - زين الدين أبو يحيى زكريا الأنصاري رأس القضاء
الشافعي توفي سنة ٩٢٦ هـ بالبيهارستان بالقاهرة .
ونكتفي بهذين الاسمين خشية الاطالة .

وقفية السلطان قلاوون على البيهارستان المنصوري

من الوثائق التاريخية الثمينة التي قل أن يجود الزمان بمثلها
لطول العهد واضطراب الأحوال وتغير الدول ، الوقفية التي أوقفها
السلطان الملك المنصور قلاوون على تربته ومدرسته وبيهارستانه فإنها

(١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي

من أوثق المصادر التي يستعان بها في تحقيق أحوال ذلك الزمان الذي وضعت فيه ، ومعرفة ما بلغته مصر فيه من الرقي والمدنية . ولقد كانت هذه الوقفية في حكم الشيء المفقود فإن المؤرخ عبد الرحمن حسن الجبرتي المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٥ م قد ذكر ضمن حوادث كتابه : أن وقفية السلطان قلاوون قد احترقت في داخل خزانة كتب البهارستان ، وأن الأمير عبد الرحمن كتمخدا عندما أراد تجديد البهارستان في سنة ١١٩٠ هـ وحبس بعض الأموال عليه لم يجد كتاب وقفه .

ومن حسن الاتفاق أنه في المدة التي تولى فيها المرحوم إبراهيم باشا نقيب إدارة ديوان الاوقاف (من ديسمبر سنة ١٢ إلى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٣) عثر في محفوظات الديوان على وقفية السلطان قلاوون ، وطلب الديوان من العلامة المرحوم أحمد زكي باشا قراءة الوقفية ، فانتهاز الفرصة واستنسخ لنفسه منها نسخة للخزانة الزكية ، ولم يسبق لأحد ما قبل ذلك رؤية هذه الوقفية أو معرفة ما فيها . وقد تفضل الأستاذ المرحوم أحمد زكي باشا فأعارنيها ضمن ما أعارني من نفائس خزائنه .

وهذه الوقفية هي أربع وقفيات معاً الثلاث الأوليات منتهت في عهد قلاوون نفسه في ثلاث سنين متتالية وهي سنوات ٦٨٤ و٦٨٥

٦٨٦ هـ والرابعة عملت في عهد الأمير عبد الرحمن كتحدا من
أمراء المالك الذين حكموا مصر في العهد العثماني وذلك في سنة
١١٩٠ هـ وذلك طبقاً لما ذكر في وقفية الأمير كتحدا فقد جاء
فيها في السطر ٩٩ ما يلي : «

التي من جملة كتب الأوقاف المذكورة الثلاثة كتب الرق الغزال
الملصقة المؤرخ أحدهم (كذا) في ١٣ من شهر ذي الحجة الحرام
ختم سنة ٦٨٤ والثاني مؤرخ في ١٢ شهر صفر الخير ، والضم
والإلحاق الشرعي الملحق بذيله المؤرخ في حادي عشر شهر صفر
١١٠٠ كور كلاهما سنة ٦٨٥ ، والثالث مؤرخ في ٢٤ شهر رجب
الفردي الحرام سنة ٦٨٦ هذا ما دلت عليه كتب الأوقاف المذكورة
على الحكم المعين والمشروح بأعاليه «

وسنأتي على ديباجة الوقفية ثم على الشروط الخاصة بالبيمارستان
وحده دون الخاص منها بالتربة أو المدرسة أو القبة أو المسجد ثم نتبع
ذلك بذكر وقفية الأمير كتحدا لما احتوت عليه من الأمور
العظيمة الهامة للإنسانية .

ديانة وفية السلطان الملك المنصور قلاوون

هذا كتاب وقف صحيح شرعي ، وحبس صريح مرضي ، أمر
بتسطيره وإنشائه وتحريره ، ولانا وسيدنا السلطان الأعظم السيد الأجل
الملك المنصور العالم العادل ، الكافي الكامل ، المؤيد المظفر ، الهمام
غيث الأنام ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قانع
الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والتمردين ، محيي العدل في العالمين ،
منصف المظلومين من الظالمين ، ملك البحرين خدام الحرمين الشريفين ،
أبو المظفر قلاوون الصالحى قسيم أمير المؤمنين سلطان الديار المصرية
والبلاد الشامية والأقاليم والقلاع والحصون ، خلد الله ملكه وجعل
الأرض بأسرها ملكه ، وجدد له في كل يوم نصراً وملكه بساط
الأرض برأً وبحراً . وأشهد على نفسه الشريفة — صانها من كل
مخدور ، وبلغها ما توهمه في سائر الأوقات والدهور — بما تضمنه هذا
المكتوب واشتمل عليه ونسب فيه الإشهاد إليه . وهو أنه — خلد
الله ملكه وسلطانه ، وأفاض على كافة الرعايا عدله وإحسانه — وقف وحبس
وسبيل وحرّم وأبّد وتصدق بجميع ما هو له — خلد الله ملكه — وفي
يده وملكه وتصرفه وهو جميع الربع الكامل المعروف بالعلمي أرضاً
وبناء الذي هو بالقاهرة المحروسة بالقرب من قيسارية جهاركس
الخ ما وقفه من أملاكه وتراثه ندعه

ونبدأ بشروط الواقف قال :

أما بعد

فلأن أحق ما انتهزت فرص أجره العزائم ، وأحرزت مواهب

سطر بزه الغنائم ، وأجدر ما تنبه لاغتنام ثوابه كل نائم ، وأولى ما
٣٣ توجه إليه كل متوجه وقام إليه كل قائم ، ما عادت بالخيرات
عوائده ، وزادت في

٣٤ المسرات زوائده ، واستمرت على الآباء فوائده ، واستقرت على التقوى

٣٥ بتطاول الآمال قواعده ، وهي الأوقاف العميم برها ، المقيم أجرها ،

٣٦ الجسيم وفرها ، الكريم ذخرها ، فهي الحسنات التي هي أثمان

٣٧ الجنان ، والقربات التي فيها رضوان الرحمن ، والصدقات التي هي مهوور

٣٨ الحور الحسان ، والنفقات التي هي بحور الأجور لا المولود والمرجان

٤٢ ولا يخفى ما فيها من إدخال السرور على المريض الفقير ، وإيصال الجبور

٤٣ إلى قلبه الكسير ، وإغنائه بأبوابه ومداواته ، الذي لا يعبر عن وفور

٤٤ أجرها بتعبير ، فطوبى لمن عامل مولاة العزيز الغفار ، وراقبه

٤٥ مراقبة العالم بسره ونجواه في الإيراد والإصدار ، وأقرضه أحسن

القروض

٤٦ على حسب الإمكان والاقتدار . وانتبه الفرصة بالاستباق

٤٧ وأحرز باغتنام أجرها قصب السباق ، فساعد الفقير المسلم على

٤٨ إزالة آله ، ومداواة سقمه مساعدة تنجيه غداً من عذاب ربه الخلاق

٤٩ ورجاء أن تكون له بها عند الله الرتبة العظمى ، والقربة التي

لا يخاف بأجرها

٥٠ ظالماً ولا هضماً ، والحسنة التي لا تبقي لذنبه غمماً .

٥١ ولما علم بذلك مولانا السيد الأجل

٥٢ السلطان الملك المنصور العالم العادل

٨٣ فتقدم أمره الشريف ، العالي المنيف ، إلى ولي دولته ،

وغذي نعمته

- ٨٤ والمتشرف بخدمته ، والمخصوص في هذا الوقف بوكالته ، الجنداب
- ٨٥ العالي الآسري الأجل الأوحدي الكبير المؤيدي المجاهدي المقدمي
العضدي
- ٨٦ النصري العزي عز الدين ، عز الإسلام ذخراً الأنام ، مقدم الجيوش
نصرة المجاهدين
- ٨٧ عضد الملوك والساطين أبي سعيد أيبك بن عبد الله الملكي الصالح
النجمي المعروف
- ٨٨ بالأفهم أمير جاندار الملكي المنصوري السيفي أدام الله نعمته ،
أن يقف عنه
- ٨٩ خلد الله ملكه ويحبس ويسبّل جميع ما هو جار في ملك مولانا
السلطان الملك المنصور
- ٩٥ جميع أراضي البستان
- ٩٦ الذي ذلك بظاهر القاهرة
- ٩٧ خارج بابي الشريعة والفتوح غربي الجامع الظاهري المستجد العام
- ٩٨ بذكر الله

- ٢٦٠ على مانص مولانا السلطان المنصور الموقوف عنه بإذنه المذكور
خلد الله مملكته على بيانه
- ٢٦١ وذكر تعيينه ذكراً مصداقاً خبره لعيانه ، وشرح مصادره شرحاً
يبقى على الأبد وترادف زمانه ؟
- ٢٦٢ وبين شروطه بياناً لا ينقضي بانقضاء أوانه ، من مصالح البيارستان
المبارك المنصوري المستجد

- ٢٦٣ إنشاؤه، والبديع بناؤه، والمعدوم في الآفاق مثاله، والمشهور في الأقطار
- ٢٦٤ حسن وصفه وجماله، لقد أعجز شمم الملوك الأول، وحوى كل وصف جميل واكتمل
- ٢٦٥ وحديث عنه العيان والخبر، ودل على علو الهمة فيه كالسيف دل على التأثير بالأثر؛
- ٢٦٦ من أكمال تكون فيه معدة للسبيل، وأشربة تحلو كالسبيل، وأطباء تحضره في
- ٢٦٧ البكرة والأصيل، وغير ذلك مما يشفي السقيم ويبري العليل، وفروش وأوان،
- ٢٦٨ وقومة وخدّام ومطعوم ومشروب ومشحوم مستعراً أبداً على الدوام وسيأتى بيان ذلك
- ٢٦٩ فيه مفصلاً مبيناً، ومشروحاً معيناً. وهذا المارستان المذكور بالقاهرة المحروسة بين القصرين
- ٢٧٠ بخط المدارس الكاملية والصالحية والظاهرية، رحم الله واقفها على ينة السالك من المدرسة
- ٢٧١ الكاملية إلى باب الزهومة وفنادق الطواشي شمس الخواص مسرور رحمه الله، وفندق الحجر والفاكهة
- ٢٧٢ والمارير بين والسقطيين والشرابيين وغير ذلك، وإلى بسرة السالك من ذلك إلى المدرسة الكاملية والجامعي الأصغر والأثور
- ٢٧٣ ويتوصل إلى هذا المارستان المذكور من الباب الكبير المبني بالرخام المفصوص، المقال لباب ٢٧٤ التربة الصالحية النجحية رحم الله واقفها المدخول منه إلى الدهليز المستطيل السلوك منه إلى القبة المباركة التي

سطر

٢٧٥ على يمنة الداخل فيه وإلى المدرسة التي هي بالعلم الشريف معظمة

٢٩١ وهذا المارستان هو الذي وقفه مولانا السلطان الملك

المنصور الموكل الموقوف عنه خلد الله ملكه

٢٩٣ بمارستان لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثريين

والفقراء المحتاجين

٢٩٤ بالقاهرة ومصر وضواحيها من المقيمين بها والواردين اليها من البلاد

والأعمال على اختلاف

٢٩٥ أجناسهم وأوصافهم وتباين أمراضهم وأوصافهم ، من أمراض

الأجسام قلت أو كثرت

٢٩٦ اتفقت أو اختلفت ، وأمراض الحواس خفيت أو ظهرت ، واختلال

العقول التي حفظها أعظم

٢٩٧ المقاصد والأغراض ، وأول ما يجب الإقبال عليه دون الانحراف

عنه والإعراض ، وغير ذلك مما تدعو

٢٩٨ حاجة الإنسان إلى صلاحه وإصلاحه بالأدوية والعقاقير المتعارفة

عند أهل صناعة الطب

٢٩٩ والانشغال فيه بعلم الطب والاشتغال به ، بدخلونه جموعاً ووجدانا

وشيوخا وشباناً ، وبلغاء

٣٠٠ وصبياناً ، وحرماً وولدانا ، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء

لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم

٣٠١ ويصرف ما هو معد فيه للحدادة ، ويفرق للبعيد والقريب ،

والأهلي والغريب ، والقوي والضعيف ،

سطر

٣٠٢ والدني والشربف ، والعلوي والحقير ، والغني والفقير ، والمأمور والأمر ، والأعشى والبصير .

٣٠٣ والمفضول والفاضل ، والمشهور والخليل والرفيع والوضيع ، والمترف والصعلوك ،

٣٠٤ والمليك والمعلوك ، من غير اشتراط لعوض من الأعواض ، ولا تعريض بإنكار على ذلك

٣٠٥ ولا اعتراض ، بل لمحض فضل الله وطوله الجسيم ، وأجره الكريم وبره العميم ، لينتفع بذلك

٣٠٩ فقبل هذا الوكيل المذكور هذا التوكيل قبولاً صحيحاً سائغاً

٣١٠ شرعياً ، ووقف بأذن مولانا السلطان الملك المنصور الموكل المذكور خلد الله مملكته ، ، وحبس عنه

٣١٤ المارستان المستجد المنصوري المحدود أعلاه ، وعلى من يقوم بمصالح المرضى به من الأطباء والكحالين

٣١٥ والجراحين وطباخي الشراب والمزاور والطعوم وصانعي المعاجين والأكحال والأدوية والمهيلات

٣١٦ المفردة والمركبة ، وعلى القومة والفراشين والخزان والأمناء والمباشرين وغيرهم ممن جرت عادة أمثالهم بذلك .

٣١٧ وعلى مايقوم بمداواة المرضى من الأطعمة والأشربة والأكحال والشفافات والمعاجين والمارام

٣١٨ والأدهان والشربات ، والأدوية المركبة ، والمفردة ، والفرش والقذور والآلات المعدة للانتفاع

سطر

٣١٩ بها في مثله . وسباني ذكر ذلك مفصلاً فيه مبيناً ومشروحاً معيناً
على أن الناظر في هذا الوقف

٣٢٠ والمتولي عليه يؤجر العقار من هذا الوقف المذكور وما شاء
منه بنفسه أو بنائيه مدة ثلاث سنين

٣٢١ فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ويؤجر الأراضي مدة ثلاث سنين
فما دونها بأجرة المثل فما فوقها

٣٢٢ ولا بدخل عقداً على عقد ولا يؤجره لمتشرد ولا لمتعزز ، ولا
لمن تخشى سطوته ، ولا لمن ينسى الوقف

٣٢٣ في يده ، ويبدأ من ذلك بعارة ما يجب عمارته في الوقف
والبيارستان ، المذكور ذلك فيه من إصلاح وترميم

٣٢٤ أو بناء هديم ، على وجه لا ضرر فيه ولا ضرار ولا إجحاف بأحد
في جد ولا إصرار ، وبتخير

٣٢٥ الناظر في تحصيل ريع هذا الوقف وحسن الحال على حسب
الامكان ويطلب ذلك

٣٢٦ حيث كان في كل جهة ومكان ، بحيث لا يغرط ولا يفرط
ولا يخرج في سلوكه عن السنين المتوسطة

٣٢٧ ولا يهمل حقاً معيناً ولا يغفل عن أمر يكون صلاحه بينا ،
لتكون هذه الصدقة طيبة مقبولة

٣٢٨ وهذا السعي يرجو مولانا السلطان الملك المنصور — خلد الله
ملكه — به من ربه قبوله

٣٢٩ فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الأخبار الصحيحة
المنقولة : « إذا مات العبد انقطع عمله

٣٣٠ إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينفع به أو ولد صالح يدعو له « ثم ما فضل بعد ذلك

٣٣١ صرف منه الناظر ما يرى صرفه لمن يتولى إنجاز ذلك واستخراج
٣٣٢ أجرته وعمارته وصرف ريعه في وجوهه المشتركة فيه وتفرقة أئمرته وأدوخته من شد

٣٣٣ وناظر ومشارف ومشاهد وكاتب وخازن ، ويصرف لكل منهم من ريع هذا الوقف

٣٣٤ أجرة مثله عن تصرفه في ذلك وفعله ، ولا يولي الناظر في هذا الوقف يهوديا ولا

٣٣٥ نصرانيا ولا يمكنه من مباشرة شيء من هذا الوقف بل يكون المتولي مسلما ظاهرا الأمانة

٣٣٦ عارفا بأنواع الكتابة ، كافيا فيما يتولاه موصوفا بدينه ودرأيته وخبرته
٣٣٧ ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ، ثمن ما تدعو

٣٣٨ حاجة المرضى إليه ، من سرر حديد أو خشب على ما يراه مصلحته ولحف محشوة قطناً وطراربع محشوة

٣٣٩ بالقطن أيضا ، وملاحف قطن ومخاد طرح أو آدم محشوة على ما يراه ويؤدى إليه اجتهاده وهو مخير بين

٣٤٠ أن يفصل كل نوع من ذلك ويصرف أجرة خياطته وعمله وثمان حشوه وبين أن يشتري ذلك

٣٤١ معمولا مكملا فيجعل لكل مريض من الفرش والسرر على حسب حاله وما يقتضيه مرضه عاملا في

مسطر

۳۴۲ حق کل منهم بتقوی الله و طاعته باذلا جهده و غایة نصیحتہ ، فہم رعیتہ و کل مسئول عن

٣٤٣ رعيته ويصرف الناظر في هذا الوقف

٣٤٤ ثمن سكر يصنعه أشربة مختلفة الأنواع ، ومعاجين و ثمن ما يحتاج إليه لأجل ذلك من الفواكه

٣٤٥ الخماير، رسم الأشربة وثن ما يحتاج إليه من أصناف الأدوية
والمعاجين والعقاقير والمرام

٣٤٦ الأكلحال والشيافات والذرورات والأدهان والسفوفات والدرباقات والأقراص

٣٤٧ وغير ذلك يصنع كل صنف في وقته وأوانه ، ويدخره تحت يده
في أوعية معدة له ، فإذا

٣٤٨ فرغ استعمل مثله من ربع هذا الوقف ولا يصرف من ذلك لأحد شيئاً إلا بقدر حاجته إليه

٣٤٩ ولا يزيد عليها ، وذلك بحسب الزمان وما تدعو الحاجة إليه بحسب
الفصول وأوقات الاستعمال

٣٥٠ وبقدم في ذلك الأُحوج فالأُحوج من المرضى والمحتاجين والضعفاء والمنقطعين والفقراء

٣٥١ والمساكين ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف

٣٥٢ ماتدعو حاجة المرضى إليه من مشحوم في كل يوم ، وزبادي
فخار برسم أغذيتهم وأقداح

۳۵۳ زجاج و غرار برسم اشربتہم و کبزان و اباریق فخر و قصاري فخر

سطر

٣٥٤ وزيت اللوقود عليهم ، وبماء من بحر النيل المبارك برسم شربهم وأغذيتهم
٣٥٥ و لأجل تغذية أغذيتهم عند صرفها عليهم وفي ثمن سراوح
خوص لأجل استعمالهم إياها في الحر

٣٥٦ ويصرف الناظر ثمن ذلك من ربيع هذا الوقف في غير إصراف ولا
إجحاف ولا زيادة على

٣٥٧ ما يحتاج إليه كل ذلك بحسب ما تدعو الحاجة لزيادة الأجر والثواب

٣٥٨ ويصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين مسلمين موصوفين

٣٥٩ بالديانة والأمانة يكون أحدهما خازناً للخرن حاصل التفرقة ، يتولى
تفرقة الأشربة والأكحال والأعشاب

٣٦٠ والمعاجين والأدهان والشفافات ، المأذون له في صرف ذلك من
المباشرين ، ويكون الآخر أميناً

٣٦١ يتسلم صبيحة كل يوم وعشيتة أفداح الشراب المختصة بالمرضى
والمختلين من الرجال والنساء

٣٦٢ المقيمين بهذا المارستان ، ويفرق ذلك عليهم ويباشرون شرب كل منهم
لما وصف له من ذلك .

٣٦٣ ويباشرون المطبخ بهذا المارستان وما يطبخ به للمرضى من مزاور
ودجاج وفراريج ولحم وغير ذلك ،

٣٦٤ ويجعل لكل مريض ما طبخ له في كل يوم في زبديّة منفردة له من
غير مشاركة مع مريض آخر ويغطيها

٣٦٥ ويوصلها إلى المريض إلى أن يتكامل إ طعامهم ويستوفي كل منهم
غذاه وعشاءه وما وصف له

سطر

٣٦٦ بكورة وعشية . ويصرف الناظر لكل منها من ربع هذا الوقف

ما يرى صرفه إليه من غير حيف

٣٦٧ ولا شطط . وللناظر الشهادة عليهما في العدة إذا لم يكفيا ما اشترط

عليهما مباشرته ويصرف

٣٦٨ له أجرة مثله من ربع هذا الوقف ويصرف الناظر

٣٦٩ من ربع هذا الوقف لمن ينصبه بهذا المارستان من الأطباء المسلمين

الطبايعين والكحاليين والجراحيين

٣٧٠ بحسب ما يقتضيه الزمان وحاجة المرضى وهو مخير في العدة وتقدير

الجامكيات ما لم يكن في ذلك

٣٧١ حيف ولا شطط يباشرون المرضى والمختلين الرجال والنساء بهذا

المارستان مجتمعين ومتناوبين

٣٧٢ باتفاقهم على التناوب ، أو باذن الناظر في التناوب ، ويسألون عن

أحوالهم وما

٣٧٣ يتجدد لكل منهم من زيادة مرض أو نقص ويكتبون بما يصلح

لكل مريض من شراب وغذاء وغيره ،

٣٧٤ في دستور ورق ليصرف على حكمه ، ويلتزمون المبيت في كل ليلة

بالبمارستان مجتمعين أو متناوبين

٣٧٥ ويجلس الأطباء الكحالون لمداواة أعين الرمداء (١) بهذا المارستان

ولمداواة من يرد إليهم به

(١) لم نجد هذا الجمع في كتب اللغة فأبقيناه على حاله كما فعلنا في

غيره من الأغلاط والكلمات العامة الواردة في نصوص الوقف أو غيرها

من النقول .

- ٣٧٦ من المسلمين بحيث لا يرد أحد من المسلمين الرمداء من مداواة عينيه بمكة كل يوم ويباشرون المداواة
- ٣٧٧ ويتلفون فيها ويرفون بالرمداء في ملاطفهم وإن كان بينهم من به قروح أو أمراض - في عينه تقتضي
- ٣٧٨ مراجعة الكحال للطبيب الطبائي ، راجعه وأحضره معه وباشر معه من غير انفراد عنه ويراجعه في
- ٣٧٩ أحوال برئه وشفائه ويصرف الناظر في
- ٣٨٠ هذا الوقف لمن ينصبه شيخاً للاشتغال عليه بعلم الطب على اختلافه يجلس بالمسطة الكبرى المعينة له
- ٣٨١ في كتاب الوقف المشار إليه للاشتغال بعلم الطب على اختلاف أوضاعه في الأوقات التي يعينها له
- ٣٨٢ الناظر ما يرى صرفه إليه وليكن جملة أطباء البيارستان المبارك من غير زيادة عن العدد
- ٣٨٣ ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف للقومة والفرشين
- ٣٨٤ الرجال والنساء بهذا البيارستان ما يرى صرفه إلى كل بحسب عمله على أن كلاً منهم يقوم بخدمة المرضى
- ٣٨٥ والمختلين الرجال والنساء بهذا البيارستان وبغسل ثيابهم وتنظيف أماكنتهم وإصلاح شوؤنهم
- ٣٨٦ والقيام بمصالحهم على ما يراه من العدة والتقارير بحيث لا يزيد في العدة ولا في المقادير على الحاجة إليه
- ٣٨٧ في ذلك بحسب الزمان والمكان ويصرف الناظر

سطر

٣٨٨ ماتدعو الحاجة إليه في تكفين من يموت بهذا المارستان من المرضى
والمختلين الرجال والنساء ، فيصرف

٣٨٩ ما يحتاج إليه برسم غسله وثن كفته وحنوطه وأجرة غاسله وحافر
قبره ومواراته في قبره على السنة

٣٩٠ النبوية والحالة المرضية ، ومن كان مريضاً في بيته وهو فقير كان
لناظر أن يصرّف إليه ما يحتاج إليه

٣٩١ من حاصل هذا المارستان من الأشربة والأدوية والمعاجين وغيرها
مع عدم التضييق في الصرف

٣٩٢ على من هو مقيم به ، فإن مات بين أهله صرف إليه الناظر

٣٩٣ في موته بتجهيزه وتغسيله وتكفينه وحمله إلى مدفنه ومواراته في
قبره ما يليق بين أهله . وليس لناظر

٣٩٤ في هذا الوقف أن ينزل بهذا المارستان من المرضى ولا من المختلين
ولا من الأطباء ولا من المباشرين

٣٩٥ ولا من أرباب الوظائف بهذا المارستان يهودياً ولا نصرانياً فإن
فعل شيئاً من ذلك أو أذن فيه

٣٩٦ ففعله مردود وإذنه فيه غير معمول به ، وقد باء بسخطه وإثمه .
ومن حصل له الشفا والعافية

٣٩٧ ممن هو مقيم بهذا المارستان المبارك صرف الناظر إليه من ربح هذا
الوقف المذكور كسوة مثله

٣٩٨ على العادة ، بحسب الحال من غير زيادة تقتضي التضييق على
المرضى والقيام بمصالحهم ، كل ذلك على ما

- ٣٩٩ يراه الناظر وبؤدي إليه اجتهاده بحسب ما تدعو إليه الحاجة ويحصل منه مزيد الأجور لمولانا
- ٤٠٠ السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين ، أعز الله به الدين وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين
- ٤٠١ فإن نقص ربع الوقف المذكور عن استيعاب المصارف المذكورة أعلاه ، قدم الناظر صرف
- ٤٠٢ الأثم فالأثم من ذلك ، من الأطعمة والأشربة والأدوية والسفوفات والمعاجين ومداواة
- ٤٠٣ الرمد ، وتقديم الأحموج فالأحموج بحسب ما تقتضيه المصلحة وزيادة الأجور والثواب .
- ٤٠٤ وعلى الناظر في هذا الوقت أن يراعي تقوى الله سبحانه وتعالى سرّاً وجهراً ، ولا يقدم صاحب جاه على
- ٤٠٥ ضعيف ولا قوياً على ما هو أضعف منه ولا متأهلاً على غريب ، بل يقدم في الصرف إليه
- ٤٠٦ زيادة الأجور والثواب والتقرب إلى رب الأرباب ، فإن تعذر الصرف والعياذ بالله تعالى
- ٤٠٧ إلى الجهات المذكورة أو إلى شيء منها كان ذلك مصروفاً إلى الفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا
- ٤٠٨ وحيث ما وجدوا وجعل هذا الجنب العالي الأميري
- ٤٠٩ العزي الوكيل الوكيل الواقف بإذن موكله مولانا السيد الأجل السلطان الملك المنصور

سطر

٤١٢ ثم من بعده رزقه الله أطول الأعمار وملكه سائر النواحي
والأقطار للأمثل فالأمثل

٤١٣ من أولاده وأولاد أولاده وإن سفلوا ثم للأمثل فالأمثل من عتقاء
مولانا السلطان

٤١٤ الملك المنصور المسمى أعز الله أنصاره وإذا انقضوا كان النظار
في ذلك لحاكم المسلمين الشافعي

٤١٥ المذهب بالقاهرة ومصر المحروسة ، ثم من بعده لمن يوجد من
حكام المسلمين يوم ذلك على اختلاف مذاهبهم

٤٢٤ وصار جميع ما وصف وحدد بعاليه وفقاً محرماً بجرمات الله
الأكيدة التي هي أجمع للتحريم ، فلا يحل

٤٢٥ لأحد يوم من بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه الكريم صائر
من سلطان أو وزير ، أو مشير أو قاضي

٤٢٦ أو محتسب أو وكيل بيت مال ، أو أمير أو آسر ، نقض هذا
الوقف ولا نقض شيء منه ولا تعطيله ولا فسخه

٤٢٧ ولا تحويله ولا السعي في إبطال شيء منه ولا الاعتراض إليه ولا
إخراجه عن سبيله

٤٢٨ فمن فعل ذلك أو أعان عليه أو سعى فيه

٤٣٧ وقعت

٤٣٨ الشهادة عليه بعد قراءته بتاريخ اليوم المبارك يوم الثلاثاء الثاني
عشر من شهر صفر المبارك

سطر

٤٣٩ من شهور سنة خمس وثمانين وستمائة ، الله بقضيتها بخير وحسبنا الله

ونعم الوكيل

الشهود (وهم ثمانية)

وبذلك أشهد وبذلك أشهد

يوسف بن سليمان محمد بن محمد محمد بن عبد العزيز بن أحمد

ابن عمر بن اللهب ؟

وبذلك أشهد وبذلك أشهد

محمد بن محمد بن عبد العزيز بن رشيق عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن الشافعي

اسماعيل بن الحسن الانصاري محمد بن محمد بن محمد البكري الحسيني

علي بن عبد العزيز بن علي

وقفية الأمير عبد الرحمن كنفخرا

هي إعلام شرعي صادر من مجلس الشرع الشريف إلى الأمير
عبد الرحمن كنفخدا بتثبيتته ناظراً على وقف السلطان المنصور
قلاوون وهو الذي ذكر الجبرتي أنه جدد عمارة المارستان المنصوري
وأراد أن يحتاط بمجهاة وقفه . ومن هذا الإعلام تعلم تمام العلم
الحال التي كان عليها المارستان في ذلك العصر من نظام وترتيب
في الإدارة والعلاج ، وهو من دواعي الاغتراب لمصر ، وها هو ذا
الإعلام^(١)

(١) أنبتناه بالحرف ولم نصلح من لغته شيئاً

- سيد الملوك والسلاطين إسكندر صاحب
 ١٠ القرآن مولانا السلطان الملك المنصور أبو المظفر قلاوون الصالح
 قسيم أمير المؤمنين
 وسلطان الديار المصرية ، كان تغمده الله بالرحمة والرضوان
 وأسكنه أعلى فداديس الجنان وقف وحبس وسبيل
 ١١ وأبد وأكد وخلد وتصدق بجميع القبة العظمى وجميع المدرسة
 المباركة وجميع البيمارستان بصدر الدهليز الجامع لذلك ، ومكتب
 السبيل علو باب القيسارية المستجدة والصهرنج بداخل
 ١٢ البيمارستان المرقوم ، وما يتبع ذلك من الأواوين والقاعات والأروقة
 والخللوي والطباق وبيوت المختلن من الرجال والنساء ، وأواوين
 الضعفاء والمرضى ، وفسافي المياه وبيوت الأخلية وغير ذلك
 ١٥ وجميع الأماكن والحوانيت والحواصل والخزائن والربوعة والطباق
 والعقارات الكائنة بمصر المحروسة بالخط المذكور
 ١٦ والأطيان التابعة لذلك ، المرصد ذلك جميعه على مصالح القبة
 والمدرسة والبيمارستان والمكتب والصهرنج المذكورين أعلاه ،
 المشمول ذلك جميعه وما ألحق به من قبل مولانا السلطان
 الأشرف برسباي والمرحومة جانم
 ١٧ عتيقة الجمالي يوسف زوجة بشتك الداوادر الخازندار مولانا السلطان
 المومى إليه ، وما أنجز لجهة وقف مولانا السلطان المومى إليه من
 الأوقاف التابعة لذلك على الحاكم المعين باستئجار الوقف بنظر وتحدث
 ١٨ فخر الأكابر والأعيان الجناب المكرم الأمير عبد الرحمن كنتخدا
 ابن المرحوم الأمير حسن كنتخدا طائفة مستحفظان القزاز دغلي

- بمصر كان بموجب تقريره في ذلك من قبل مولانا شيخ الإسلام
المشار إليه أعلاه المؤرخ في شهر
- ١٩ ذي الحجة الحرام ختام سنة أربع وسبعين ومائة وألف (١١٧٤)
المرتب على الفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف من حضرة
الوزير المعظم والدستور المكرم والمشير المفخم مولانا أحمد باشا
محافظ الديار المصرية
- ٢٠ دامت سعاداته السنية المؤرخ في شهر ذي الحجة المذكور سنة
١١٧٤ المذكورة ، وفقاً صحيحاً شرعياً على ما بين فيه : فأما القبة
المذكورة فإنه وقف رواقها
- ٢٣ وأما الخزان التي بالقبة المذكورة فإنه وقفها لحفظ
الكتب
- ٢٥ وأما المدرسة المباركة فإنه وقفها على الفقهاء والمنفقهة
على مذاهب الأئمة الأربعة
- ٣٢ وأما البيارستان المذكور المستجد من قبل مولانا
السلطان المشار إليه
- ٣٤ فإنه وقف ذلك بيارستانا لادواة مرضى المسلمين
الرجال والنساء والأغنياء والفقراء بالقاهرة ومصر وضواحيها من
المقيمين بهما والواردين إليهما من البلاد والأعمال على اختلاف
أجناسهم وأوصافهم وسائر أمراضهم من أمراض الأجسام قلت
أو كثرت اتفقت أو اختلفت ، وأمراض الحواس خفت أو ظهرت
٣٦ واختلال العقول التي حفظها أعظم المقاصد والأغراض ، وأول

- ما يجب الإقبال على ذوى الانحراف عنه والأعراض ، وغير ذلك
 مما تدعو حاجة الإنسان إلى صلاحه وإصلاحه بالأدوية والعقاقير
 ٣٧ المتعارفة عن أهل صناعة الطب والاشتغال فيه بعلم الطب والاشتغال
 به ، ويدخلونه جموعاً ووجدانا وشيوخا وشبابا وبلاغاً وصبياناً
 وحرماً وولدانا تقيم المرضى الفقراء من الرجال
 ٣٨ والنساء لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم ويصرف ما هو معين فيه
 للمداواة ويفرق على البعيد والقريب ، والأهل والغريب والقوي
 والضعيف ، والدني والشريف ، والحقير والغني والفقير
 ٣٩ والمأمور والامير ، والأعشى والبصير ، والمفضول والفاضل ، والمشهور
 والخليل ، والرفيع والوضيع ، والمترف والصعلوك ، والمليك والمملوك
 من غير اشتراط لعوض من الأعراض ، ولا تعريض بانكار
 ٤٠ على ذلك ولا اعتراض ، بل لحض فضل الله العظيم على أن تكون
 ٤١ المسطبة الكبرى التي بالبيمارستان المرقوم ، مرصدة ، لجلوس مدرّس
 من الحكماء الأطباء عارفاً بالطب وأوضاعه متبحراً في فضله لكثرة
 عمله وإطلاعه عالماً بأسباب الأمراض وعلاجاتها ، وجلوس المشتغلين
 ٤٢ بعلم الطب على اختلافه . وتكون المسطبة المقابلة لها مرصدة
 لجلوس المستخدمين المباشرين لإدارة البيمارستان المرقوم وتكون
 القاعة التي على يمين باب الدخول للبيمارستان المرقوم مرصدة
 ٤٣ لحفظ ما يفرق من حواصل البيمارستان المذكور من أشربة وأكحال
 وأدوية مفردة ومركبة ومعاجين وأدهان ودرياقات وبرام وشيافات

- وغير ذلك . وتكون القاعة المتوصل إليها من الباب الثالث
- ٤٤ مرصدة لإقامة الرمداء من الرجال الفقراء أو لمن يرى الناظر إقامته بها من المرضى . ويكون المخزن الكبير المتوصل إليه من الباب السادس مرصداً لحفظ الأعشاب ، وتكون القاعة المتوصل إليها من الباب
- ٤٥ السابع يرسم إقامة المرضى الفقراء الرجال المسهولين ، وتكون المسطبة الكبرى المتوصل إليها من الدهليز الذي بأوله باب المطبخ يرسم إقامة المجروحات والمكسورات من النساء ، وتكون القاعات الثلاث
- ٤٦ الباقيات من البيارستان المذكور المتوصل إلى ذلك من الدهليز المتوصل منه إلى المطبخ المرصد لطبخ الأشرطة وإلى المخزنين بجوار المرصدين لحفظ حواصل المطبخ مرصدان يرسم إقامة المريضات الفقيرات
- ٤٧ من النساء وعلو ذلك يرسم إقامة من يخدمهن من النساء وبأقي بيوت قاعة البيارستان المرقوم . مرصدة لحواصل البيارستان المرقوم ولإقامة من يرى الناظر إقامته بها من المرضى الفقراء الرجال
- ٤٨ والنساء وتكون القاعة المرصدة لإقامة المختلين من الرجال يرسم إقامة كل من يرد إليها من المختلين الرجال وكذلك القاعة المجاورة لها فإنها مرصدة يرسم المختلات من النساء ، وأذن مولانا
- ٤٩ السلطان المشار إليه أعلاه في الإنشاء على سطح بيوت المختلين من الرجال والنساء مساكن يرسم القومة والخدام بالبيارستان المرقوم . وتكون أوابين قاعة البيارستان المرقوم يرسم

- ٥٠ إقامة المرضى الفقراء الرجال دون النساء على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وعلى الأطباء المرتبين بالبيمارستان المرقوم والكحالين والجرائحين مباشرة المرضى بالبيمارستان الرجال والنساء مريضاً بعد
- ٥١ مريض بحيث يستوعبون جميع المرضى بالمباشرة في كل يوم بكرة وعشية ، وعلى كل من القومة والفراشين بالبيمارستان المرقوم أن يتعاهد المرضى ويقوم بما يحتاج إليه من غسل ثيابه وتنظيف مكانه وإصلاح شأنه وحك رجليه والقيام بمصالحه ، والاهتمام بشرابه وغذائه وترتيب المشعوم له على العادة بحسب ما تدعو الحاجة إليه . ولا يشرك مريضاً مع مريض آخر في شراب ولا في غذا وبقي الله سبحانه وتعالى في خدمتهم وبرايق ربه جل جلاله في ملاظفتهم
- ٥٢ ويبتهد في إتمامه عندهم
- ٦٩ ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف المذكور على مصالح البيمارستان المرقوم من أ كحال تكون فيه معدة للسبيل وأشربة تحلو كالسلسبيل ، وأطباء تحضره في البكرة والأصيل ، وغير ذلك مما يشفي السقيم ويبري العليل وفروش وأوان وقومة وخدام ومطعم ومشروب ومشعوم مستحراً أبداً على الدوام
- ٧١ وعلى من يقوم لمصالح المرضى به من الأطباء والكحالين والجرائحين وطباخي الشراب والطعوم وصانعي المعاجين والأ كحال والأشربة والمسهلات المفردة والركبة ، وعلى القومة والفراشين والخزان والأمناء والمباشرين وغيرهم من عادة أمثالهم في ذلك ، وعلى من يقوم بمداواة المرضى من الاطعمة والأشربة والأ كحال

- ٧٣ والشيافات والمعاجين والمراهم والأدهان والشربات والأدوية المركبة والمفردة والفرش والقذور والآلات المعدة للائتفاع بها في مثله ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف
- ٧٤ المذكور ثمن ما تدعو حاجة المرضى إليه من سرير حديد أو خشب على ما يراه مصاحته ولحف محشوة قطناً وطراريج محشوة بالقطن أيضاً وملاحف قطن ومخاد وطرح أو آدم محشوة على ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده وهو مخير بين أن يفصل كل نوع من ذلك ويصرف أجره خياطته وعمله وثمان حشوه وبين أن يشتري ذلك معمولاً مكلاً ويجعل لكل مريض من الفرش والمر
- ٧٥ على حسب حاله وما يقتضيه مرضه عاملاً في حق كل منهم بتقوى الله ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف
- ٧٦ المذكور ثمن سكر يصنعه أشربة مختلفة الأنواع ومعاجين وثمان ما يحتاج إليه لأجل ذلك من الفواكه والخمائر برسم الأشربة وثمان ما يحتاج إليه من أصناف الأدوية والعقاقير والمعاجين
- ٧٨ والمرام والأكحال والشيافات والذرورات والأدهان والسفوفات والدرىافات والأقراص وغير ذلك ما يصنع كل صنف في وقته ويدخره تحت يده في أوعية معدة له فإذا
- ٧٩ فرغ استعمل مثله من ربيع هذا الوقف ولا يصرف من ذلك لأحد شيئاً إلا بقدر حاجته إليه ويقدم
- ٨٠ من ذلك الأوج فالأوج من المرضى والمحتاجين والضعفاء والمنقطعين والفقراء والمساكين . . . ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف المذكور ما تدعو حاجة المرضى إليه من مشحوم في كل يوم

- ٨١ وزبادي فخار برسم أغذيتهم وأقداح زجاج برسم أشربتهم وكيزان وأباريق فخار وشيرج وقناديل وزيت للوقود عليهم ، وماء من بحر النيل المبارك برسم شربهم ومكبات خوص
- ٨٢ لأجل أغذية أغذيتهم عند صرفها عليهم ، وفي ثمن صراوح خوص لأجل استعمالهم إياها في الحر وغير ذلك
- ٨٣ ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف المذكور لرجلين أحدهما خازن بمخزن حاصل التفرقة بغرف الأئمة وشربه والآخر كحال
- ٨٤ والأعشاب ، والمعاجين والأدهان والشيافات ، والآخر يتسلم صبيحة كل يوم وعشيتة أقداح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين من الرجال والنساء ويفرق عليهم ذلك ويباشرون
- ٨٥ شرب كل منهم لما وصف له من ذلك ويباشرون البيمارستان وما يطبخ به للمرضى من فراور ودجاج وفراريج ولحم وغير ذلك ويعمل لكل مريض ما يطبخ له في كل يوم في زبدية منفردة
- ٨٦ من غير مشاركتهم مع مريض آخر ويغطيها ويوصلها له إلى أن يتكامل إ طعامهم ويستوفي كل منهم غذاء وعشاء وما وصف له بكرة وعشية
- ٨٧ وللناظر أن ينصب من الأطباء
- ٨٨ المسلمين الطبائعيين والكحاليين والجرائحين بحسب ما تقتضيه الزيادة وحاجة المرضى ، وهو مخير في العدة وتقدير الجامكيات بالتوقيف في ذلك ، يباشرون المرضى والمختلين مجتمعين
- ٨٩ أو متناوبين باتفاقهم على التناوب ، ويسألون عن أحوالهم وما يتجدد لكل منهم من زيادة مرض ويكتبون ما يصلح لكل مريض

- من شراب وغذا وغير ذلك في دستور ورق ليصرف
 ٩٠ على حكمه ويلتزمون المبيت في كل ليلة بالبيارستان وتجلس الأطباء
 الكحالون لمداواة أعين الرمداء بالبيارستان ومن يرد إليهم
 ويتلطفون بهم [وإن احتاجوا لأطباء من
 ٩١ الأطباءعين إلى مراجعة الكحال يراجعوه ويحضروه مباشرة معهم] (١)
 ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف المذكور للقومة والفراشين
 الرجال والنساء في نظير القيام بهم وتغسيل ثيابهم
 ٩٢ ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف المذكور
 ما تدعو الحاجة إليه من تكفين من يموت من المرضى
 ٩٣ والمختارين وما يحتاج إليه برسم غسله وتكفينه وحنوطه وأجرة
 غسله وحافر قبره ومواراته في قبره على السنة النبوية
 ومن كان مريضا في بيته وهو فقير
 ٩٤ كان للناظر أن يصرف ما يحتاج إليه من حاصل هذا البيارستان
 والأشربة والأدوية والمعاجين وغيرها منع عدم التضيق في الصرف
 على من هو مقيم به ، ومن حصل له الشفاء والعافية
 ٩٥ ممن هو مقيم به بصرف له كسوة مثله على العادة بحسب الحال
 ٩٦ ذلك جميعه معين
 ٩٨ ومبين ومفصل ومشروح بكتب الأوقاف الصحيحة الشرعية
 ٩٩ من جملة كتب الأوقاف المذكورة (الثلاثة
 كتب الرق الغزال الملصق المؤرخ أحدهم) (٢) في ثالث وعشرين

(١) ، (٢) كذا في الاصل

سطر

شهر ذي الحجة الحرام سنة ٦٨٤ والثاني

١٠٠ مؤرخ في ثاني عشر شهر صفر الخير . . . سنة ٦٨٥ والثالث مؤرخ

١٠١ في رابع وعشرين شهر رجب الفرد سنة ٦٨٦ هذا مادلت

كتب الأوقاف

١٠٢ من المرتبات والخيرات على الوجه المسطور طلب الأمير عبد الرحمن

كتبخدا الناظر

١١٠ وقع التحرير في اليوم المبارك الموافق لثامن شهر

محرم الحرام افتتاح سنة ١١٧٥ من هجرة من له كمال العز ومنريد

الشرف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .



الأطباء الذين عملوا بالبيمارستان المنصوري

على طول العصور

الأطباء الذين عملوا بالبيمارستان المنصوري من عهد إنشائه إلى يومنا هذا كثيرون ، فإن هذا البيمارستان لم ينقطع يوماً عن تأدية الوظيفة التي أنشئ من أجلها وهي علاج المرضى ، غير أن استقصاء جميعهم غير ميسور لأن أسماءهم ضاعت مع الزمن ، وإن القليل منهم من ترجم في كتاب ، والتراجم الموجودة مشتتة في بطون الكتب على اختلاف أنواعها من كتب أدب وتاريخ وتراجم عامة أو خاصة . وسنشر في هذا الفصل بعض الذين وقعت لنا تراجمهم والكتب المنقولة عنها مرتبة بحسب الزمن ، حتى يلم القارئ بشيء من أحوال البيمارستان على طول سنيه ، ومن أحوال الطب والأطباء في تلك العصور فمنهم :

١ - أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات شهاب الدين الصفدي^(١) الطبيب . ولد سنة ٦٦١ ثم قدم إلى صفد ونشأ بها ثم انتقل إلى القاهرة وخدم في جملة أطباء السلطان والبيمارستان المنصوري . وكان بارعاً في الطب وله قدرة على وصف الشجرات توفي سنة ٧٣٧ هـ .

(١) المنهل الصافي والوافي بالوفيات والدرر الكامنة

٢ - الشبغ ركن الدين بن القوبع هو ركن الدين أبو عبد الله

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد
الجليل الجعفري التونسي : ولد بتونس سنة ٦٦٤ في رمضان وأخذ
عن جماعة وصار يجيد كل ما يعرفه من أصول وحديث وفقه
وأدب ولغة ونحو وعروض وأسماء رجال وشعر يحفظه عن
العرب والمولدين والمتأخرين وطب ، وحكمة ومعرفة الخطوط .
قدم مصر في سنة ٦٩٠ وتولى نيابة الحكم للقاضي المالكي
بالقاهرة مدة ثم تركها تدينياً منه وقال . « يتعذر فيها براءة
الذمة » وكان يدرس في المنكتمرية بالقاهرة ويدرس الطب
بالبهارستان المنصوري . ينام أول الليل ثم يستيق وقد
أخذ راحته ويتناول كتاب الشفاء لابن سينا ينظر فيه لا
يكاد يخل بذلك . وكان حسن التودد إلى الناس وكان يتصدق
سراً توفي بالقاهرة في تاسع ذي الحجة سنة ٧٣٨ عن أربع
وسبعين سنة ^(١) .

٣ - محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين أبو عبد الله ^(٢)

السنجاري الأصل المعري المعروف بابن الأكفاني : ولد بسنجار

(١) الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي والبداية والنهاية لابن كثير

حوادث سنة ٧٣٨

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

وتعلم الطب ومهر في معرفة الجواهر والعقاقير حتى رتب بالبيمارستان وألزم الناظر ألا يشتري شيئاً ، إلا بعد عرضه عليه توفي سنة ٧٤٩ ومن مؤلفاته : إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد (طبع بمصر) ونخب الذخائر في معرفة الجواهر ، واللباب في الحساب ، وغنية المبيب في غيبة الطبيب ، ونهاية القصد في صناعة الفصد .

٤ - عمر بن منصور بن عبد الله سراج الدين البهادري ^(١)

القاهري الحنفي ولد سنة ٧٦٢ واشتغل بالفقه والعربية والطب واستقر في تدريس البيمارستان وجامع ابن طولون في الطب ومات يوم السبت غرة شوال سنة ٨٢٤ هـ .

٥ - محمد بن اسماعيل بن إبراهيم أبو الوفاء ^(٢) القاهري الطبيب ويعرف بوفاء : ولد بعد سنة ٨٣٠ بالقاهرة ونشأ بها وتدرّب بالطب وصار من ذوي النوب بالبيمارستان وصار يشار إليه بالبراعة والمثانة .

٦ - نقى الدين الكرمانى بجى بن محمود بن يوسف بن العلامة شمس الدين الكرمانى ^(٣) البغدادي ولد في رجب سنة ٧٦٢ سمع عن أبيه وغيره ، ونشأ ببغداد وتفقّه وبرع وشارك في عدة علوم والتجأ إلى الأمير شيخ الحمودي وجعله إمامه في الصلاة . ولما

(١) الضوء اللامع والمنهل الصافي

(٢) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع

(٣) المنهل الصافي

تسلطن الأمير شيخ الحمودي في سنة ٨١٥ هـ جعله من خواصه وولاه
نظر البيمارستان المنصوري بالقاهرة ومات بالطاعون يوم الخميس
٨ جمادى الآخرة سنة ٨٣٣ وله مصنفات من ذلك مصنف في الطب
وشرح مسلم وشرح البخاري واختصر الروض الأنف .

٧ - محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن عبد الواحد بن
صغير^(١) الشمس أبو عبد الله القاهري الحنبلي الطبيب والد الكحل
محمد ويعرف بابن صغير ، تميز في الطب وعالج وتدرّب به جماعة
وله في الطب كتاب اسمه الزبد وكان أحد الأطباء بالبيمارستان
وبخدمة السلطان مات سنة ٨٣٩ عن ٨٤ سنة .

٨ - عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن طريف الشيخ تاج الدين
ابن الشيخ شمس الدين الشاوي القاهري^(٢) ولد سنة ٧٦٦ بالقاهرة
وسمع دروسه في الفقه والميقات ، على جماعة من العلماء وفي الكحل
على السراج البلاذري ، وبرع في الميقات وباشر العمل به في عدة
أماكن كالمنصورية وجامع الحاكم ، وكذا خدم بالكحل في
البيمارستان المنصوري وكان إنساناً خيراً ثقةً محباً للطلبة ذا ثروة
من وظائفه وغيرها ينتفع بالقليل منها ويصرف باقيه في وجوه الخير
مات يوم الجمعة ١٣ شوال سنة ٨٥١ وصلي عليه بجامع الحاكم .

(١) الضوء اللامع

(٢) التبر المسبوك في ذيل السلوك ص ١٩٤

٩ - محمد بن عبد الوهاب بن محمد الصدر بن البهاء السبكي^(١)
الأصل القاهري المتطبب ولد قريباً من سنة ٧٧٣ هـ وحفظ القرآن
وانحوسم غانى الطب والكحل وخدم بالبيمارستان مات في جمادى
الأولى سنة ٨٦٦ هـ وقد شاخ وضعف بصره .

١٠ - محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن عمر بن
خالد بن عبد المحسن^(٢) بن نشوان الشرفي العالي بن الصدر أبي البركات
بن قاضي طيبة البدر أبي إسحاق الخزومي ولد سنة ٧٩٣ هـ بالقاهرة
ونشأ بها ودرس بالبيمارستان المنصوري وجامع ابن طولون مات
سنة ٨٧٣ هـ .

١١ - محمد بن محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن عبد الواحد
ابن محمد بن صغير^(٣) الكحال بن الشمس بن العلاء القاهري الطبيب
حفيد رئيس الأطباء ويعرف كسلفه بابن صغير ؛ حفظ القرآن
وقرأ النحو وعانى الطب وأخذ فيه عن أبيه والعز بن جماعة .
واستقر في نوبة البيمارستان وله كتاب (تشریح الأعضاء) و (الزبد)
في الطب مات في صفر سنة ٨٩١ هـ وهو ابن ٩٦ سنة .

١٢ - محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب الشمس التفهني^(٤) ثم

(١) الضوء اللامع

(٢) الضوء اللامع

(٣) الضوء اللامع

(٤) الضوء اللامع

القاهري الكحال كان أبوه خيراً من أهل القرآن ، فنشأه وتدريب
في الطب والكحل ومهر فيها وصارت له نوبة في البيمارستان
ومولده سنة ٨١٥ ومات في ذي الحجة سنة ٨٩٦ هـ .

١٣ - محمد بن محمد ولي الدين ابن الشيخ العالم محب الدين
المحرق ^(١) المباشر بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة وتوفي بها في
يوم الخميس ختام ربيع الأول سنة ٩٠٩

١٤ - الشيخ محمد شمس الدين القوصوني : رئيس الأطباء بالقاهرة
وطبيب السلطان الغوري والطبيب بدار الشفاء توفي في ربيع
الأول سنة ٩١٧

١٥ - علي بن محمد بن محمد بن علي الجراح بدار الشفاء توفي
سنة ١٠١١ هـ .

١٦ - شهاب الدين ابن الصائغ ^(٢) وهو أحمد بن سراج الدين
الملقب شهاب الدين ، مات عن مشيخة الطب بدار الشفاء
المنصوري ورياسة الأطباء ، وكانت ولادته سنة ٨٤٥ هـ وتوفي سنة
١٠٣٦ هـ ولم يخلف إلا بنقاً تولت مكانه مشيخة الطب .

١٧ - مدين ^(٣) بن عبد الرحمن القوصوني المصري الطبيب

(١) الكواكب السائرة ج ١ ص ١٩٩

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

(٣) خلاصة الأثر للمحيي

رئيس الأطباء بدار الشفاء بمصر : أخذ العلوم عن الشهاب أحمد بن أحمد المبتولي الشافعي والشيخ عبد الواحد البرجي والطب عن الشيخ داود ، ولي مشيخة الطب بمصر بعد السري أحمد الشهير بابن الصائغ وألف التأليف النافعة منها : (ريجان الألباء وريجان الشباب في مراتب الآداب) وكتاب (قاموس الأطباء وناموس الألباء في المفردات) وفي خزانة كتبي نسخة منه وله غير ذلك قال صاحب خلاصة الأثر : إنه في سنة ١٠٤٤ هـ كان موجوداً بين الأحياء .

١٨ - فخر بن علي بن الخطاب المعروف بالحاج باشا ^(١) : كان من ولاية آيدين من الروم وارتحل إلى القاهرة وقرأ على أكمل الدين ومبارك شاه المنطقي ثم عرض له مرض شديد فاضطره إلى الاشتغال بالطب فمهر فيه وفوض إليه ييهارستان مصر فدبره أحسن تدبير وصنف كتاب (الشفا) في الطب ومختصراً فيه بالتركية سماه (التسهيل) . وصنف قبل اشتغاله بالطب حواشي على (شرح المطالع) للقطب الرازي على تصوراتهِ وتصديقاتهِ وشفاء الأسقام وتوفي سنة ١١٠٠ هـ .

١٩ - علي بن جبريل ^(٢) المتطبب شيخ دار الشفاء بالمارستان

(١) القواعد البهية في تراجم الحنفية وكتاب الشقائق النعمانية

(٢) عجائب الآثار لعبد الرحمن الجبرتي ج ١ ص ٢١٦

المنصوري رئيس الرؤساء ، أتقن فن الطب وشارك في غيره من الفنون ، كان أحد جلساء الأمير رضوان كتحدا الجلفي ونديمه وأنبسه وحكيمه ، وكان أحد من منحت له يمين ذلك الأمير بالألوف ومنها بيت على بركة الأزبكية ذورونق بديع غريب زجاجي النواحي والأرجاء توفي سنة ١١٧٢ هـ .

٢٠ - الشريف السيد قاسم بن محمد التونسي ^(١) كان إماماً في الفنون وله يد طويلة في العلوم الخارجة مثل الطب والحرف وكان معه وظيفة تدريس الطب بالبيهارستان المنصوري وتولى مشيخة رواق المغاربة بالأزهر مرتين وكان له باع في النظم والنثر توفي سنة ١١٩٣ هـ ١٧٩٧ م بعد أن تعلل كثيراً .

المارستان المنصوري

في نظامه العصري

بعد الشريف السيد قاسم التونسي لم أعثر على طبيب آخر تولى العلاج في المارستان المنصوري ، والظاهر أن أمر المارستان كان مهملاً من العلاج في الفترة بين وفاة التونسي سنة ١٧٩٧ م وهو العام السابق على الحملة الفرنسية ، من سنة ١٧٩٩ م إلى سنة ١٨٠١ . قال المسيو جومار أحد علماء الحملة : « إن هذا البناء

(١) عجائب الآثار للجبرتي ج ٢ ص ٥٤

الذي كان فيما غبر من الأيام ملجأ مفتوحاً من الشدائد قد
 اضمحلت حالته بعد ذلك وزالت عنه السعادة الأولى التي كان
 يرفل في حلالها ، أو بعبارة أخرى كاد لا يبقى منه غير ظله
 بسبب ظلم الترك والماليك وإهمالهم ولا سيما تبديد أمواله . ثم
 بلغ غاية اضمحلاله في سنة ١٨٥٦ م وهجره المرضى ونقلت منه المجانين
 إلى بولاق ، وأجرت قاعاته ومراقفه ، كأنه وكالة لمخازن الصناع
 وتجار النحاس ، وظل كذلك إلى سنة ١٨٧٩ أي نحو ثمانين عاماً
 إلى أن تولى المرحوم الدكتور حسين عوف بك أمر العلاج فيه
 فانتقل بذلك إلى العصر الجديد في العلاج ، وتولى بعده في العلاج
 بالمارستان غيره من الأطباء العصريين ، إلى أن صحت عزيمة
 مصلحة الأوقاف في ذلك الزمن على تجديد بناء المارستان المنصوري
 في الحوش الواسع المتخلف عن المارستان القديم . فابتدأت في البناء
 وتشييد المارستان الجديد في عام ١٩١٢ م وقدر له من النفقات ٨٤٠٠
 جنيهاً مصرياً ثم رتب عليها ستمائة جنيه فبلغ ما أنفق على تجديد
 البناء تسعة آلاف من الجنيهات وصرف نحو ستمائة جنيهاً ثمناً
 للأدوات والآلات اللازمة . وتم بناؤه وابتدأ العلاج فيه في ١٥
 إبريل سنة ١٩١٥ حيث كانت الحرب العالمية مشتعلة الأوار في
 ذلك الزمن ، فلم يحتفل بافتتاحه كما جرت العادة بذلك .

ولا تزيد أوقاف مارستان قلاوون في الوقت الحاضر على الحمام المجاور للمارستان وبعض دكاكين في الصاغة المجاورة . ويبلغ ريع هذه الأوقاف نحو ألفي جنيه تقريباً ويصرف من هذا الريع على مدرسة النحاسين والمسجد والتربة والمارستان وتسدد وزارة الأوقاف النقص في النفقات من الأوقاف الخيرية الأخرى . ففي تاريخ ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣١٤ هـ الموافق ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ م صدرت إرادة سنية من الخديوي عباس باشا الثاني بناء على فتوى شرعية تقضي بتوحيد حسابات جميع الأوقاف الخيرية وجعلها كلها حساباً واحداً إيراداً ومصرفاً ، تنصرف فيه وزارة الأوقاف بحسب ماتراه من أعمال الخير ، فلا تقتيد بإيراد كل وقف ومصرفه على حدته إذ كان غرض الواقفين عمل الخير ، وذلك ابتداء من شهر يناير سنة ١٨٩٧ م .

والعلاج في مستشفى قلاوون الآن خاص بأمراض العيون وفيه قسمان قسم للعلاج الخارجي تفحص فيه المرضى وتعالج ثم تنصرف إلى منازلها ، وقسم داخلي فيه نحو تسعين سريراً يقيم فيها المرضى للعلاج حتى يشفوا من أدوائهم . وفيه من الأطباء نحو ستة وصيدلاني وكتبة وممرضون وممرضات وطباخ وغسالون وسائر مايلزم من الخدم وكان جملة ما ينفق عليه في سنة ١٩٢٧ نحو ٦٢٣١ جنينها مصرياً .

الأطباء المعصبون الذين نولوا العلاج

في مارستان قلاوون

إن أول من عانى العلاج في بیمارستان قلاوون من الأطباء المعصبين بعد الفترة الكبيرة بعد السيد قاسم بن محمد التونسي هم :

١ - الدكتور حسين عوف بك : تخرج من مدرسة القاهرة

ثم اختير للسفر إلى بلاد النمسا سنة ١٨٤٥م حيث أتقن علم الرمد وعاد منها سنة ١٨٤٦م وعين أستاذاً للرمد بمدرسة الطب سنة ١٨٤٨م وكان برتبة (الصاغ قول اغامي) وذلك في عهد سعيد باشا والي مصر . وفي سنة ١٨٦٧ أنعم عليه بالوسام المجيدي الرابع . وظل أستاذاً إلى أن أُحيل على المعاش سنة ١٨٧٩ وخلفه ابنه أستاذاً بمدرسة الطب وقد كان مساعداً له في عمله فيها وبعد إحالته على المعاش تولى العلاج في مارستان قلاوون وتوفي سنة ١٨٨٣م

٢ - الدكتور محمد عوف باشا : هو ابن الدكتور حسين بك

عوف السابق ، تعلم بمدارس مصر ثم دخل مدرسة القصر العيني وأُرسل بعد ذلك إلى فرنسا في بعثة طبية سنة ١٨٦٢م لإتقان أمراض العيون ، وعاد منها سنة ١٨٧٠م فعين بمدرسة الطب طبيباً مساعداً لوالده في الكحالة ، ولما أُحيل والده على المعاش ، عُين في مكانه أستاذاً وطبيباً للرمد في مدرسة الطب ومستشفى القصر العيني وذلك في ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٩ واستمر في وظيفته نحو ثلاثين

علماً ثم أُحيل على المعاش وأنعم عليه الخديوي عباس باشا برتبة
الميرميران (باشا) في سنة ١٩٠٢ ثم تولى العلاج في مارستان قلاوون
بعد ذلك وتوفي سنة ١٩٠٨ م.

٣ - الدكتور سعد سامع بك : ولد بالإسكندرية سنة ١٨٥١
وتعلم الطب بالقاهرة وتخرج سنة ١٨٧١ وخدم طبيباً بالجيش المصري
وتنقل بين وظائفه والوظائف المدنية إلى سنة ١٨٨٦ ثم سافر إلى
باريس لاعتقان فن الكحالة وفي سنة ١٨٩٥ في عهد الخديوي عباس
باشا الثاني عين طبيباً كحالاً بمارستان قلاوون ومفتشاً صحياً في
ديوان الأوقاف معاً . وفي سنة ١٨٩٨ أنعم عليه بالرتبة الثانية
ويلقب صاحبها بلقب بك وأحيل في سنة ١٩١١ على المعاش وتوفي
في ٢٧ فبراير سنة ١٩١٧ ودفن بالقاهرة وله جملة مؤلفات منها :

١ - مرشد الطبيب للعلاج المجيب طبع ١٣١٦ هـ - ١٨٩٩ م

٢ - رسالة بالفرنسية طبعت في باريس سنة ١٨٩٠ عنوانها :

Nouvelle étude sur la photoposopie

٣ - رسالة في الالتهاب الملتهجي الغشائي الكاذب طبعت

سنة ١٣١٢ م

٤ - تقرير بالفرنسية عنوانه Rapport sur l'ophtalmologie

Egyptienne et les granulations en Egypte Le Caire ; 902

قدمه إلى المؤتمر الطبي الرمدي المنعقد في القاهرة في ١٩ - ٢٣
ديسمبر سنة ١٩٠٢ م .

٤ - الدكتور محمد شاكر بك : تعلم علومه في مصر ثم أتم علومه
في فرنسا وعين أول الأمر طبيباً بالخاصة الخديوية وفي يناير سنة
١٩١٢ نقل إلى مارستان قلاوون عالج فيه الرمد إلى سنة ١٩١٥
حيث أحيل على المعاش .

٥ - الدكتور محمد طاهر بك : ولد بدمياط ونشأ بها وتعلم
الطب بمدرسة القصر العيني وتخرج سنة ١٩٠٤ وعين طبيباً بمستشفيات
الرمد المتنقلة التابعة لوقفية السير أرنست كاسل . وفي سنة ١٩٠٦
عين طبيباً مساعداً للرمد في مستشفى القصر العيني وفي سنة ١٩٠٩
انتقل إلى مصلحة الصحة مفتشاً لمستشفيات الرمد . وفي سنة ١٩١٤
ألحق بوزارة الأوقاف وعين رئيساً لمستشفى قلاوون إلى سنة
١٩١٨ ثم عين مدرساً للرمد بمدرسة الطب في يونيو سنة ١٩١٢ ثم
استقال في السنة نفسها .

٦ - الدكتور سالم هندوي بك : ولد بسنجلف من أعمال
إقليم المنوفية ونشأ بالقاهرة ، وحصل على إجازة الطب في سنة ١٩١٠
وعمل في المستشفى العباسي الذي أنشأه الخديوي عباس باشا طبيباً
للرمد . وفي سنة ١٩١٨ عين مديراً وكحالاً لبيمارستان قلاوون
ولا يزال يعمل فيه إلى الآن .

١٠ — البهارستان المؤيدي

قال تقي الدين المقرئزي^(١) : « هذا المارستان فوق الصوة
تجاه طبلخاناه قلعة الجبل^(٢) حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان
ابن حسين^(٣) التي هدمها الناصر فرج بن برقوق وبابه هو حيث كان
باب المدرسة إلا أنه ضيق عما كان أنشأه الملك المؤيد شيخ^(٤)
في مدة أولها جمادى الآخرة سنة ٨٢١ وأخرها رجب سنة ٨٢٣
ونزل فيه المرضى في نصف شعبان وعملت مصارفه من جملة أوقاف

(١) الخطط والآثار ج ٢ ص ٤٠٨ طبع بولاق .

(٢) السكة الموصلة إلى المارستان لا تزال تسمى إلى اليوم حارة
المارستان على يسار السالك من القلعة إلى شارع باب الوزير .

(٣) ابتداء الملك الأشرف حسين بن محمد بن فلاوون بعمارة مدرسته
التي أنشأها بالصوة في النصف الأوسط من صفر سنة ٧٧٧ هـ (المنهل الصافي)

(٤) هو السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمدي الظاهري
الجرکسي الأصل ولد قريبا من سنة ٧٧٠ هـ وكان قدومه للقاهرة سنة ٧٨٣

هـ وهو ابن ١٢ سنة اشتراه الخواجه محمود شاد البزدي تاجر الماليك فنسب
محموديا لذلك وقدمه للملك الظاهر برقوق وهو حينئذ أتابك العساكر

فأعتقه ونشأ ذكيا وجعله الإمام المستعين بالله رئيسا لشوراه وفي ٨ ربيع
الأول سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) ولاه الخليفة نيابة الملك وأشركه في

سلطنته ولقبه بالملك المؤيد ثم خلع الخليفة ونفاه بالاسكندرية في سنة
٨١٨ هـ وأقام أخاه خليفة ولقبه المعتضد بالله وفي الحرم سنة ٨٢٤ توفي

الملك المؤيد وكان يحب العلماء ويكرم مشواهم وقد أناف على الحسين

الجامع المؤيدي المجاور لباب زويلة ، فلما مات المؤيد في ثامن
الحرم سنة ٨٢٤ تعطل ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين في
ربيع الأول منها . وصار منزلاً للرسل الواردين من البلاد إلى
السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وإمام ومؤذن وبواب
وقومسة وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٥ فاستمر
جامعاً نصرف معالم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع
المؤيدي .

وقد ذكر تقي الدين المقرئ في هذا المارستان في كتاب
آخر من كتبه ^(١) بالنص الآتي : في شهر ربيع الآخر سنة
٨٢٥ هـ في سلطنة السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر
برسبائي الدماقي الظاهري الجرکسي عمل المارستان المؤيدي الذي
بالصوّة تحت القلعة جامعاً تقام فيه الجمعة والجماعة ، وكان المؤيد
قد جعل هذا الموضع مارستاناً ونزل به المرضى . فلما مات لم
يوجد في كتاب الوقف المؤيدي له جهة مصرف فأخرجت
المرضى منه وأغلق وصار منزلاً للرسل الواردين من ملوك الشرق
فبقي حانة خمار برسم شرب المسكرات وضرب التناير وعمل
الفواحش ومع ذلك تربط به الخيول فكان هذا منذ مات

(١) السلوك في معرفة دول الملوك ج ٤ ص ٤١٦ مخطوط

المؤيد إلى هذا الوقت (توفي المقريري سنة ١٨٤٥ هـ) فظهره الله من تلك الأرجاس وجعله محل عبادة ولقد تخرب هذا المارستان وامتدت إليه الأيدي بالهدم والبناء حتى ضاعت معالمه وظل مجهولاً ومطموساً بين العمارات والمساكن قروناً عديدة لا يعرف مكانه ولا يعرف عنه شيء حتى قبض الله له لجنة حفظ الآثار العربية^(١) فزارت مكانه وكتبت عنه تقريراً في سنة ١٨٩٤ باعتباره أثراً يستحق العناية والحفظ كغيره من الآثار ، ولم يكن يرى فيه سوى أنه بناء أثري بجانب مسجد الحاج أحمد أبي غالية من الجهة القبليّة في حارة السكري بشارع الحجر . وكان الجدار الجنوبي أو القبلي لمسجد أبي غالية هو الوجهة البحرية من هذا البناء الأثري . وكان في هذا الجدار بعض النقوش والمقرنصات وفيه باب صغير تحت بوابة فخمة البناء لا تزال موجودة كاملة ويبعد عن ذلك بضع خطوات بعض جدران هذا الأثر القديمة وفيها بعض النوافذ .

وقد تبين للجنة أن مسجد أبي غالية يستند جداره القبلي على تلك البوابة الفخمة للمارستان المؤيدي ويحجبها عن الأنظار حجاً تاماً فقررت اللجنة لكشف هذا الأثر إزالة المسجد

(٢) مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية أعمال سنة ١٨٩٤ م ص ١١٤

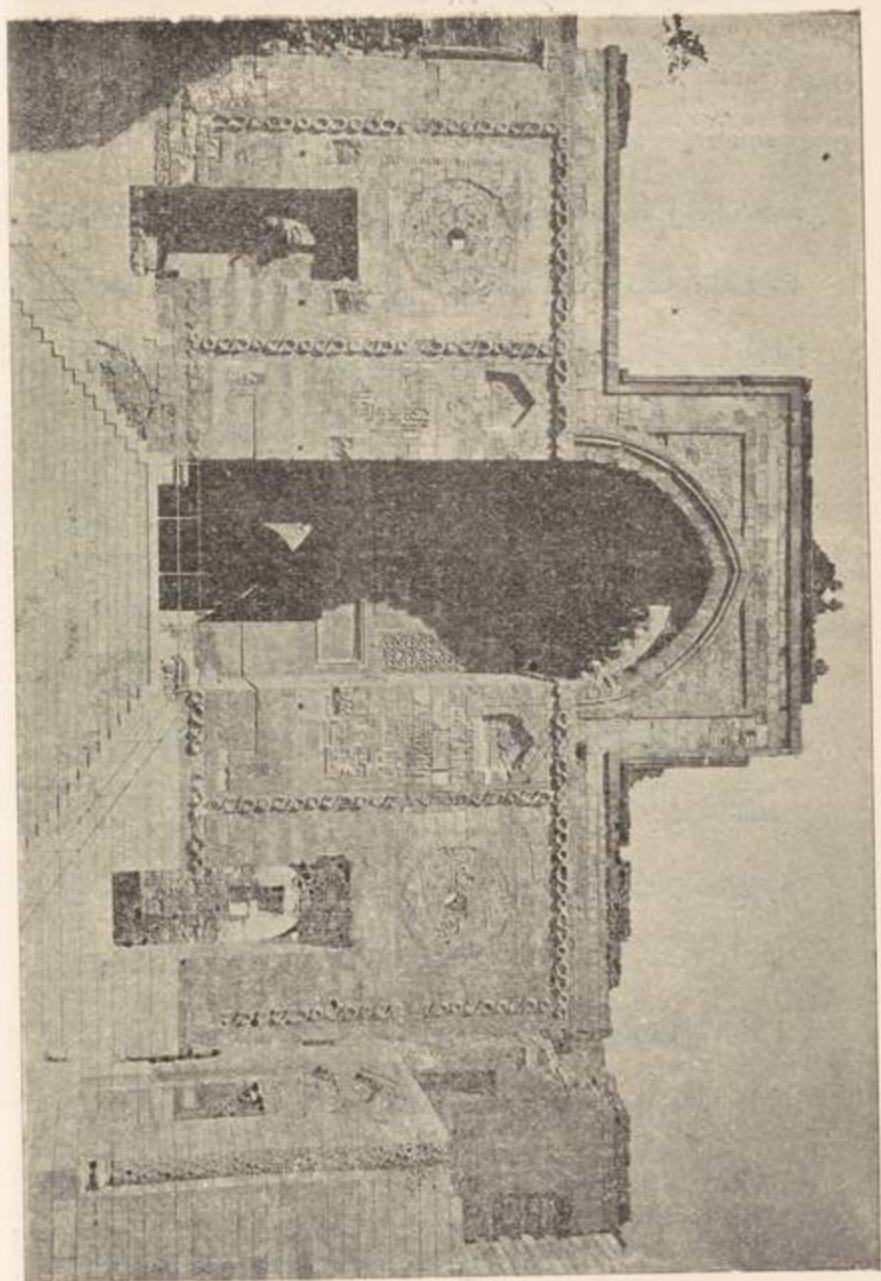
المسجد فظهرت واجهة البيمارستان بجمالها وفخامتها ورونقها وما فيها من بديع النقوش والزخرفة وعنيت اللجنة بإرجاع البيمارستان إلى حالته الأصلية بقدر ما تسمح به حال الموجود من آثاره .
والانتظر - نظراً لصعوبات قضائية شرعية بالنسبة لإزالة مسجد الحاج أحمد أبي غالية - تحويل المارستان بعد ترميمه وإصلاحه إلى مسجد أو مصلى وذلك تحقيقاً لتمسك المحكمة الشرعية بإعادة بناء مسجد أبي غالية .

وقف البيمارستان المؤيدي

لما أنشأ الملك المؤيد شيخ المحمودي الجامع العامر الرحب بباب زويلة وأنشأ خانقاه للصوفية والبيمارستان للعرضي والصهاريج للسقاية ، أوقف على ذلك كله أوقافاً جمّة من عقار وطين وكتاب وقفه المذكور في الخطط التوفيقية ^(١) لعلّي مبارك باشا بالتفصيل الوافي فاختصرناها وأثبتنا هنا منها ما يخص البيمارستان فقط وهنا بعض ما اخترناه منها :

..... ومن هذه الأوقاف الكبيرة
العظيمة برتب طبيباً طبائعيًا وكحلاً وجراثمياً و . . الخ ولكل
منهم ثلاثون نصفاً في الشهر وجعل النظر عليه لنفسه ثم للأرشد

(١) الخطط التوفيقية لعلّي مبارك اشاج ٥ ص ١٢٥



شكل ٧ - الرواقية والباب للجارستان الرومي

فالأرشد من ذريته الذكور خاصة لكن بالاشتراك مع من
 يكون داوداراً كبيراً ومع كاتب السر مجتمعين غير منفردين ،
 فإن تعذر لذريته كان النظر للداودار وكاتب السر معاً ويصرف
 لكل منهما خمسمائة نصف شهرياً وإن تعذر فلحاً كم المسلمين
 بالديار المصرية .

وتاريخ الحجة رابع جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣ هـ (١٤٢٠ م)



بیمارستانات العراق والجزيرة

بیمارستانات بغداد

١ — بیمارستان الرشید

أمر هرون الرشید خامس خلفاء بني العباس والذي تولى الخلافة سنة ١٧١ هـ (٧٨٦ م) جبریل بن بختیشوع^(١) أن ينشئ بیمارستاناً في بغداد فأنشأه ورشح لرياسته ماسويه الخوزي من أطباء بیمارستان جنديسابور وتولى جبریل رعايته .

٢ — بیمارستان البرامكة

جاء في كتاب الفهرست^(٢) : أن من نقلة الهند والنبط ابن دهني الهندي وكان إليه بیمارستان البرامكة ونقل إلى العربي من اللسان الهندي وجاء فيه أيضاً عن كتاب أنه تفسير ابن دهني صاحب بیمارستان فيفهم من ذلك أنه كان للبرامكة في بغداد بیمارستان وكان ابن دهني طبيباً له .

(١) تاريخ الحكماء لابن القفطي ص ٣٨٣ طبع لبيسيك وعيون الأنباء ج ١ ص ١٧٤

(٢) كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٤٥

٣ - بیمارستان أبي الحسن علي بن عيسى

في سنة ^(١) ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) اتخذ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح ^(٢) البيهارستان بالحريرية ^(٣) وأنفق عليه من ماله وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطيبه وهو أحد النقلة المجيدين وكان منقطعاً إليه .

(١) عيون الأنباء ج ١ ص ٢٧٤

(٢) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الكاتب الوزير ، وزر للمقتدر والقاهر وحدث عن أحمد بن شعيب النسائي والحسن بن محمد الزعفراني وحמיד بن الربيع وروى عنه ابن عيسى والطبراني وأبو طاهر الهذلي وكان صدوقاً ديناً خيراً صالحاً عالماً من خيار الوزراء وكان كثير البر والمعروف والصلاة والصيام ومجالسة العلماء . قال الصولي ما أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبه علي بن عيسى في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه وصدقائه ومهراته . كان دخل علي بن عيسى من ضياعه في كل سنة نيفاً وثمانين ألف دينار ينفق نصفها على الفقراء والضعفاء ونصفها على نفسه وعياله وأصحابه ، وقف وقوقاً كثيرة من ضياع السلطان وأفرد لها ديواناً سماه ديوان البر جعل حاصله لإصلاح الثغور وللحرمين الشريفين وكان يجاس رد المظالم من الفجر إلى العصر واقتصر على أقل الطعام وأخشن الملابس توفي يوم الجمعة من شهر ذي الحجة سنة ٣٣٤ هـ وقيل سنة ٣٣٥ وله مؤلفات عظيمة مثل : كتاب جامع الدماء وكتاب معاني القرآن وتفسيره ، وكتاب الكتاب ، وسياسة المملكة ، وصيرة الخلفاء .

(٣) الحربية محلة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة أحمد بن حنبل ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور

٤ — بیمارستان بدر^(١) غلام المعتضد

قال ثابت^(٢) بن سنان بن ثابت بن قرة في بیمارستان بدر ما يأتي: كانت النفقة على بیمارستان الذي لبدر غلام المعتضد بالخرم^(٣) من ارتفاع وقف سجاح أم المتوكل على الله . وكان الوقف في يد أبي الصقر وهب بن محمد الكلوزاني وكان قسط من ارتفاع هذا الوقف يصرف إلى بني هاشم ، وقسط إلى نفقة بیمارستان وكان أبو الصقر برّوح على بني هاشم ما لهم ويؤخر ما يصرف إلى نفقة بیمارستان ويضيقه فكتب والدي (أي والد ثابت وهو

(١) بدر أبو النجم مولى المعتضد بالله المعروف بالحمّامي (نسبة إلى الطير) ويسمى بدر الكبير وكان أبو بدر اسمه خير من ممالك الموفق ثم تقدم بدر عند المعتضد بالله وولي الإمارة في بلدان جليّة وتولى الأعمال بمصر مع ابن طولون إلى أن فسد أمر ابن طولون وقتل فقدم بدر ببغداد وأقام بها مدة ثم ولاء السلطان بلاد فارس كلها وأقام هناك مدة إلى أن توفي في شهر ربيع الأول سنة ٣١١ هـ وذكر أبو نعيم أنه كان عبداً صالحاً حدث وروى عنه وقام بالأمر بعده ابنه محمد وقيل إن من أكبر مناقب بدر أنه كان من أكبر السعاة في الحسين بن منصور الخلاج حتى قتل وكان كثير المال كريماً سخياً كثير المروءة .

(٢) كتاب عيون الأنباء ج ١ ص ٢٢١

(٣) الخرم محلة كانت ببغداد وهو منسوب إلى مخرم بن يزيد ابن شريح بن مخرم بن مالك كان ينزله أيام نزول العرب السواد في بلاد الإسلام قبل أن تعمّر بغداد وهي بين الرصافة ونهر المعلى .

سنان بن ثابت بن قرّة) إلى أبي الحسن علي بن عيسى بن الجراح
يشكوا إليه هذه الحال ويعرفه مالحق المرضى من الضرر بذلك
وقصور مايقام لهم من الفحم والموئن والدثار وغير ذلك عن مقدار
حاجتهم؛ فوقع على ظهر رقعته إلى أبي الصقر توقيعاً نسخته : « أنت
أكرمك الله تقف على ماذكره وهو غليظ جداً والكلام فيه
معك خاصة فيما يقع منك يلزمك وما أحسبك تسلم من الإثم فيه
وقد حكيت عني في الهاشميين قولاً لست أذكره وكيف تصرفت
الأحوال في زيادة المال أو نقصانه ووفوره أو قصوره ولا بد من
تعديل الحال فيه بين أن تؤخذ منه وتجعل للبيمارستان قسطاً بل
هو أحق بالتقدم على غيره لضعف من يلجأ إليه وعظيم النفع به
فعرفني أكرمك الله ما النكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف
نفقة المارستان هذه الشهور المتابعة وفي هذا الوقت خاصة مع
الشتاء واشتداد البرد . فاحتلّ بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى
يدفأ من في البيمارستان من المرضى والمعرورين بالدثار والكسوة
والفحم ويقام لهم القوت ويفصل لهم العلاج والخدمة ، وأجني بما
يكون منك في ذلك وأنفذ لي عملاً يدلني على حاجتك واعنُ بأمر
المارستان فضل عناية إن شاء الله . »

٥ — بیمارستان السيدة

في أول المحرم^(١) سنة ٣٠٦ هـ فتح أبو سعيد سنان بن ثابت
بیمارستان السيدة^(٢) أم المقتدر ، وقد اتخذهُ بسوق يحيى^(٣) على نهر

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢٢

(٢) السيدة أم المقتدر هي شَغَب جارية المعتضد أم أمير المؤمنين
جعفر المقتدر بالله الخليفة ، الملقبة بالسيدة كان دخل أملاكها في كل سنة
ألف ألف دينار ، وكانت تتصدق بها وتخرج من عندها مثلها على الحجيج
في أشربة وأزواد وأطباء يَكُونُونَ معهم وتسهرل الطرقات والموارد ،
وكانت في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ السكينة أيام خلافة ولدها ، فلما قتل
كانت مريضة بالاستسقاء فزاد مرضها وجزعت لقتله جزعا شديداً ولما
استقر أمر الخلافة لابن زوجها المعتضد وهو القاهر وقد كانت حضنته
حين توفيت أمه وخلصته من ابنها ، وكان مؤنس الخادم قد بايعه ولم
يتم ذلك عاقبها القاهر عقوبة عظيمة جداً ليقررها على الأموال التي في
يدها ، فلم يجد لها شيئاً سوى ثيابها ومصاغها وحليها في صناديق لها قيمتها مائة
ألف وثلاثون ألف دينار وجميع ما كان يدخلها تتصدق به ووقفت شيئاً
كثيراً وأخرجت إلى دار ابن ياقوت فأقامت بعد ابنها سبعة أشهر
وثمانية أيام ثم ماتت في جمادى الأولى سنة ٣٢١ ودفنت بالرصافة وكانت
صالحة دينة

(٣) سوق يحيى ببغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ودار المملكة
التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة
منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي كانت إقطاعاً له من الرشيد ثم صارت
بعد البرامكة لأُم جعفر ثم خربت بعد ورود السلجوقيين إلى بغداد
فلم يبق منها أثر البتة .

دجلة وجلس فيه ورتب ببغداد المتطيين وقبل المرضى . وكانت
 النفقة عليه في كل شهر ستائة دينار على يدي يوسف بن يحيى المنجم
 لأن سنان لم يدخل يده في شيء من نفقات البيارستان ^(١) وقال ابن
 تغري بردي ^(٢) : كان مبلغ النفقة عليه في العام سبعة آلاف دينار .
 ٦ — البيارستان المقتدري ^(٣)

في سنة ٣٠٦ هـ أشار سنان بن ثابت بن قرّة ^(٤) على الخليفة المقتدر
 بالله أن يتخذ بيارستاناً ينسب إليه فأمره باتخاذ فأتخذه له
 في باب الشام ^(٥) وسماه البيارستان المقتدري وأنفق عليه من ماله في
 كل شهر مائتي دينار ^(٦) .

(١) ابن القفطي ص ١٩٥ طبع ليبزيج .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٠٣ طبع ليدن .

(٣) نسبة للخليفة المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل
 على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد مولده في ليلة الجمعة اثنان بقين من رمضان
 سنة ٢٣٢ وأمه أم ولد اسمها شغب . بوبع بالخلافة يوم الأحد ١٤ ذي
 القعدة سنة ٢٤٥ وقد كان كريماً جواداً له عقل جيد وفهم وافر وكان
 كثير التنفل بالصلاة والصوم والعبادة ولكنه كان موثراً لشهوته
 مطيعاً لحظياته كثير التلون والولاية والعزل وما زال كذلك
 حتى قتل عند باب الشاميه لليلتين بقيتا من شوال سنة ٢٧٠

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢٢ هـ

(٥) باب الشام محلة بالجانب الغربي من بغداد .

(٦) ابن القفطي ص ١٩٤ طبع ليبزيج .

الأطباء الذين خدموا البيمارستان المقتدر

١ - يوسف الواسطي^(١) الطبيب كان ملازماً لبيمارستان

المقتدر وقرأ عليه جبريل بن بختيشوع .

٢ - جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع كان عالماً فاضلاً متقناً

لصناعة الطب كان من أطباء المقتدر ولازم البيمارستان والعلم
والدرس أقام ببغداد ثلاثين سنة ثم دخل إلى ميّاً فارقين عند
الأمير 'مهمّد الدولة وتوفي يوم الجمعة ثامن رجب سنة ٣٩٦ وكان
عمره ٨٥ سنة .

٧ - بيمارستان ابن الفرات

قال أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة^(٢) - في
سنة ٣١٣ قلدي الوزير الخاقاني^(٣) البيمارستان الذي اتخذ ابن
الفرات^(٤) المفضل بنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار .

(١) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٤٤

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢٤

(٣) هو أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المقتدر
استوزره المقتدر بعد قبضه على ابن الفرات .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات وزير المقتدر وزر
له ثلاث دفعات الثالثة سنة ٣١١ وبنو الفرات من صريغين من أعمال دُجَيل -

٨ — بیمارستان الأمير أبي الحسن يحكم

قال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة لما مات الراضي بالله استدعى الأمير أبو الحسن يحكم^(١) والذي سناناً وسأله أن ينحدر إلى واسط ثم أمره بعمل بواسط في وقت المجاعة^(٢) دار ضيافة وبغداد بیمارستاناً^(٣) يعالج فيه الفقراء ويعملون ، وأنفق في ذلك جملة ، وورف الرعية وأرفقها^(٤) وأكرم سناناً غاية الإكرام .

— وهم من أجل الناس فضلاً وكان هذا أبو الحسن علي بن الفرات من أجل الناس وأعظمهم كرمًا وجوداً وكانت أيامه مواسم للناس حدث عنه أنه قال : ما رأيت أحداً يباني من أرباب الحوائج إلا كان اهتمامي بالإحسان إليه أشد من اهتمامه . وله حكايات تدل على الحكمة والتعقل والحلم وما زال ابن الفرات ينتقل في الوزارة إلى المرة الثالثة فقبض عليه وقتل وذلك سنة ٣١٢ هـ .

(١) هو يحكم التركي الذي تولى إمرة الأمراء ببغداد قبل بني بويه وكان عاقلاً يفهم العربية ولا يتكلم بها بقول أخاف أن أخطئ وأخطأ من الرئيس قبيح وكان مع ذلك يحب العلم وأهله ، كان كثير الأموال والصدقات ابتداءً بعمل للمارستان ببغداد فلم يتم فجده عضد الدولة بن بويه وكان يدخر أموالاً كثيرة وكانت وفاته لسبع بقين من رجب سنة ٣٢٩ هـ وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام .

(٢) ابن القفطي ص ١٩٣

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٣٤

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢٤

٩ — بیمارستان معز الدولة بن بويه

في سنة ٣٥٥ هـ ^(١) ابتدأ معز الدولة بن بويه ^(٢) في بناء
مارستان وأرصد له أوقافاً . وفي المرآة (لسبط بن الجوزي) :
أنه في سنة ٣٥٥ أسر معز الدولة أن يبني موضع السجن
المعروف بالجديد ببغداد مارستاناً وأمر أن يوقف عليه الأوقاف
وأن يكون مغلّ الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف
دينار فمات قبل أن يتم .

(١) عقد الجمان للعيني حوادث سنة ٣٥٥ وعيون التواريخ لمحمد شاکر

الکتابي

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن أبي شجاع بويه بن قناخسر و بن تمام
ابن كوهي الخ من ولد يزدجرد بن شهریار آخر ملوك الفرس ويلقب معز
الدولة وهو عم عضد الدولة وأحد ملوك الديلم . وكان صاحب العراق
والأهواز وكان يقال له الأقطع لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض
أصابع اليمنى اثر حرب . دخل بغداد من طريق الأهواز متعلّكاً يوم
السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ في خلافة
المستكفي وكانت مدة ملكه العراق إحدى وعشرين سنة وأحد عشر
شهرًا وتوفي يوم الاثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ٣٥٦ هـ ببغداد ودفن في
مشهد بني له في مقابر قریش ومولده سنة ٣٠٣ هـ وكان عمره يوم توفي ٥٣
سنة ولما توفي ملك . موضعه ولده عز الدولة أبو النصر بخنّيار .

١٠ — البيمارستان العضدي

في صفر من سنة ٣٧٢ هـ فتح البيمارستان العضدي ^(١) الذي أنشأه عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من بغداد ، ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزّان ، ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيء كثير ومن كل ما يحتاج إليه . قال عبيد الله بن جبريل ^(٢) إنه لما عمّر عضد الدولة ^(٣) البيمارستان

(١) البداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الإسلام للذهبي

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٠

(٣) عضد الدولة هو أبو شجاع قنابخسرو بن ركن الدولة أبو علي

الحسن بن بويه الديلمي أحد ملوك الديلم صاحب العراق وملك بغداد . وهو أول من تسمى شاهنشاه ومعناه ملك الملوك ولم يبلغ أحد من ملوك الديلم ما بلغه عضد الدولة من سعة الملك والاستيلاء على الملوك وممالكهم . وهو أول من خطب له ببغداد مع الخليفة وكان ذا همة وصرامة وعزم وقد جرى له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لأحد ممن كان قبله واجتهد في عمارة بغداد والطرق وأجرى النفقات والصدقات على المجاورين بالحرمين وأهل البيوتات ، وحفر الأنهار وبني للمارستان العضدي وكان عاقلاً فاضلاً شديداً الهيبة وكان يحب العلم والفضيلة وقد امتدحه الشعراء بمدائح هائلة كالمتنبي وغيره فمن قول المتنبي فيه :

هي الغرض الأقصى ورويتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلاق

وقال أبو بكر أحمد الأَرَجاني :

لقيته فرأيت الناس في رجل والدر في ساعة والأرض في دار —

الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد كان من الذين جمعهم فيه من كل موضع وأمر الراتب منه أربعة وعشرون طبيباً وكان من جملتهم أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس وكان دأبه أن يدرس فيه الطب لأنه كان محبوباً ، وكان منهم أبو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان ، وأبو يعقوب الأهوازي وأبو عيسى بقمي ونظيف النفس الرومي وبنو حسون وجماعة طبائعيون . قال عبيد الله وكان والدي جبريل قد أضعده على عضد الدولة من شيراز ، ورتب في جملة الطبائعين في البهارستان وفي جملة الأطباء الخواص ، قال : فكان في البهارستان مع هؤلاء من الكحالين الفضلاء أبو النصر الدحني ومن الجرائحين أبو الخير وأبو الحسن بن تفاح وجماعة ومن المجبرين المشار إليهم أبو الصلت . قال ابن خلكان ^(١) :

— وقد ذكر أن له شعراً فمن قوله :

ليس شرب الكأس إلا في مطر وغناء من جوارى في السحر
إلى أن قال :

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر
فيقال إنه مذ قال (غلاب القدر) لم يفلح بعدها . ثم كانت وفاته بعد ذلك في شوال سنة ٣٧٢ بعلية الصرع عن سبع أو ثمان وأربعين سنة وحمل إلى مشهد علي فدفن فيه وكان فيه تشيع .

(١) وفيات الأعيان ترجمة عضد الدولة

«والبيمارستان العضدي ببغداد هو في الجانب الغربي وغرم عليه مالا عظيماً وليس في الدنيا مثل ترتيبه وفرغ من بنائه سنة ٣٦٨ هـ ٩٧٨ م ، وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه .»
وقال جمال الدين بن القفطي : « لما عمر عضد الدولة قنّاً خسرو البيمارستان ببغداد جمع إليه الأطباء من كل موضع فاجتمع فيه أربعة وعشرون طبيباً وابن مندويه الأصفهاني واحد منهم وفي سنة ٤٠٨ ^(١) توفي الحاجب الكبير الشبامسي أبو نصر مولى شرف الدولة بن بهاء الدولة ولقبه بهاء الدولة بن بويه بالسعيد وكان كثير الصدقة والأوقاف على وجوه القربان فمن ذلك أنه وقف ضياعاً على المارستان وكانت تغل شيئاً كثيراً من الزرع والثمار والخراج . وقال العيني ^(٢) :

« استهلت سنة ٤٤٩ هـ والخليفة القائم بأمر الله والسلطان طغرل بك ، في هذا الوقت نظر عميد الملك في المارستان العضدي وكان قد خلا من دواء وشراب وكان المرضى على وجه الأرض فوجد عند رأس المريض بصلة يشمها ، وعطش بعضهم فقام بنفسه إلى حيث الماء فوجد فيه حمأة ودوداً . وكان أبو الحسين بن المهدي ويعرف بابن العريق قد عرف أن يهودياً يعرف بالهاروني استولى

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٨٨٦ حوادث هذه السنة .

(٢) عقد الجمان حوادث سنة ٤٤٩ هـ

عليه وأكل أوقافه ، فاستخلصها من المتغلبين عليها وشرع في
 العمارة وخلص المارستان من أيدي الطامعين فهاب المتغلبين بخمسة
 آلاف طابق وقيل بعشرة آلاف ، وكان على بابه سوق فيه مائة
 دكان قد دثرت فأعادها وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير
 التي يعز وجودها شيئاً كثيراً ، وأقام الفرش واللحف للمرضى ،
 والأرايح الطبية والأسرة والثلج والمستخدمين والأطباء والفراشين .
 وكان فيه ثمانية وعشرون طبيباً ونساء طباحات وبوابون وحراس ،
 والحمام ، والبستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار والبقول والسفن
 على مائه تنقل الضعفاء والفقراء ، والأطباء يتناولونهم بكرة
 وعشية ويبيتون عندهم بالنوبة . وكان فيه عدة جباب (جمع جب)
 وهو الخاية) فيها السكر الطبرزد والأبلوج واللوز والمشمش
 والخشخاش وسائر الحبوب والبراني الصينية فيها العقاقير وأربع
 قواصر فيها الإهليلج الأصفر والكلبي والهندي وأربع قواصر
 تمر هندي وزنجبيل وعود وند ومسك وعنبر والراوند الصيني في
 البراني والترياق الفاروقي وجميع الأفاويه وصناديق فيها أكفان
 وقدور كبار وصغار وآلات وأربعة وعشرون فراشاً . وذكر
 ابن صابي أشياء ما يوجد في دور الخلفاء مثلها .

وفي سنة ^(١) ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) في رمضان كان الزمان ربيعاً فتوالى الأمطار في ديار بكر والجزيرة والموصل فدامت أربعين يوماً ، فما رأينا الشمس فيها غير مرتين (هذا قول ابن الأثير) كل مرة مقدار لحظة ، وخربت المساكن وغيرها وكثر الهدم ومات تحته كثير من الناس ، وزادت دجلة زيادة عظيمة وكان أكثرها ببغداد فإنها زادت على كل زيادة تقدمت منذ بنيت بغداد بذراع وكسر ، وخاف الناس الغرق وفارقوا البلد وأقاموا على شاطئ دجلة خوفاً من انفتاح القورج (بمعنى السور أو السد) وغيره ، وكانوا كلما انفتح موضع بادروا بسده ونبع الماء في البلايع وخرب كثير من الدور ، ودخل الماء إلى المارستان العضدي ودخلت السفن من الشبايك التي له فإنها كانت قد تقلعت ، فمن الله على الناس بنقص الماء بعد أن أشرفوا على الغرق وفي يوم ٣ صفر ^(٢) سنة ٥٨٠ هـ (١٧ مايو سنة ١١٨٤ م) دخل أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير ببغداد سائحاً ونزل في محلة منها ، وكل محلة منها مدينة مستقلة . ومعلوم أن محلاتها كلها في الجانب الغربي من نهر دجلة أما الجانب الشرقي فكانت عمارته محدثة قال : وبين الشارع ومحلة

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٥٦٩

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٢٥ طبع ليدن

باب البصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان
 الشهير ببغداد وهو على دجلة ، وتنقده الأطباء كل يوم اثنين
 وخميس ويطالعون أحوال المرضى به ، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون
 إليه وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية وجميع مرافق
 المساكن الملوكية والماء يدخل إليه من دجلة . ومن الحوادث
 التاريخية العظيمة التي لها اتصال بهذا المارستان صلب محمد بن محمد
 ابن بَقِيَّة وزير عز الدولة قتله عضد الدولة بن بويه لما ملك بغداد
 بعد أخيه ، لما كان يبلغه عنه من الأمور القبيحة ثم صلبه بحضرة
 المارستان العضدي وذلك يوم الجمعة لست خلت من شوال سنة ٣٦٧
 وورثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري بقصيدة مشهورة
 لم يرث مصلوب بأحسن منها وأولها ^(١)

علَّوْ في الحياة وفي الممات بحقٍ أنت إحدى المعجزات
 كأنَّ الناس حولك حين قاموا وفود نَدَاكَ أيام الصلوات
 كأنَّك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة
 مددت يديك نحوهم احتفاءً كمدَّهما إليهم بالهبات
 ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات
 أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأَكفان ثوب السافيات

(١) الوافي بالوفيات للصالح الصفدي ج ١ ص ١٠١ طبع اسطنبول

لِعِظْمِكَ فِي النَفُوسِ تَبَيَّتْ تُرَعِي بِحِفْظِ وَحِرَاسِ ثَقَاتٍ
وَتَشْعَلُ عِنْدَكَ النِّيرانَ لَيْلًا كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ الْخ
كَتَبَهَا الشَّاعِرُ الْمَذْكُورُ وَرَمَى بِهَا نَسْغًا فِي شَوَارِعِ بَغْدَادِ
فَتَدَاوَلَهَا الْأَدْبَاءُ إِلَى أَنْ وَصَلَ خَبَرُهَا إِلَى عِضْدِ الدَّوْلَةِ وَأُنْشِدَتْ بَيْنَ
يَدَيْهِ فَتَعْنَى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَصْلُوبُ .

الْأَطْبَاءُ الَّذِينَ عَمَلُوا بِالْبِيَارِستانِ الْعِضْدِيِّ

الْأَطْبَاءُ الَّذِينَ عَمَلُوا بِالْبِيَارِستانِ الْعِضْدِيِّ كَثِيرُونَ نَذَكُرُ مِنْهُمْ :

١ - مِيرِيلُ بْنُ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ مَخْبُشُوعَ : تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْبِيَارِستانِ
الْمُقْتَدِرِيِّ .

٢ - أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَكْسَ : نَقَلَ كِتَابًا كَثِيرَةً إِلَى
الْعَرَبِيِّ ثُمَّ كَفَّ بَصْرَهُ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَحَاوِلُ صِنَاعَةَ الطَّبِّ تَوَفَّى
سَنَةَ ٣٩٤ هـ .

٣ - أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ كَشْكِرَابَا : كَانَ طَبِيبًا مَشْهُورًا بِبَغْدَادِ
وَكَانَ فِي خِدْمَةِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَلَمَّا بَنَى عِضْدُ الدَّوْلَةِ
الْبِيَارِستانَ اسْتَعْدَمَهُ فِيهِ .

٤ - أَبُو يَعْقُوبَ الْاَهْوَازِي : كَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْأَطْبَاءِ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ
عِضْدُ الدَّوْلَةِ فِي الْبِيَارِستانِ الَّذِي أَنْشَأَهُ بِبَغْدَادِ وَجَعَلَهُ مِنْ جَمَلَةِ
الْمُرْتَبِينَ فِيهِ لِلطَّبِّ .

٥ - أبو عيسى بقیة : كان ضمن الأطباء الذين اختارهم عضد

الدولة للعمل في البيمارستان .

٦ - تطیف النفس الرومي : كان خبيراً باللغات و كان ينقل

عن اليوناني إلى العربي و كان يعد من الفضلاء في صناعة الطب

استخدمه عضد الدولة في بيمارستانه و كان يتطير به .

٧ - أبو الجبر الجرائسي : خبير قيم مشهور الصناعة ممن اختارهم

عضد الدولة .

٨ - أبو الحسن بن نفاع : جراح مشهور اختاره عضد الدولة

للبيمارستان .

٩ - الصلت : من المجبرين المشهورين الذين اختارهم عضد الدولة

١٠ - أبو نصر الرمزي : من الكحالين .

١١ - بنو منون : من الأطباء الذين اختارهم عضد الدولة

للبيمارستان عند إنشائه .

١٢ - عبد الرميم بن علي المرزبان : أبو أحمد الطبيب المرزباني

كان من أهل أصبهان عالماً فاضلاً بعلم الشريعة وعلم الطبيعة ، تقدم

في الدولة البويهية و كان قاضياً بتستر و خوزستان و كان إليه

أمر البيمارستان بمدينة السلام ولم يزل على ذلك إلى أن توفي

بتستر في جمادى الأولى سنة ٣٩٦ هـ .

١٣ - أبو الفرج بن الطيب هو الفيلسوف الإمام العالم أبو الفرج عبدالله بن الطيب اعتنى بشرح كتب كثيرة من كتب أرسطوطاليس في المنطق ، وكتب جالينوس في الطب وكان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي ويعالج المرضى فيه ، وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا وتلمذ له جماعة سادوا وأفادوا كالمختار بن الحسن المعروف بابن بطلان وابن بدروج والهروي وبنو حيون وعلي بن عيسى وأبو الحسن البصري وغيرهم وتوفي سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ م) .

١٤ - أبو الحسن بن سنان بن ثابت بن قرّة الصابي : من البيت المشهور في الطب وهم آل سنان ، وكان ساعور البيمارستان ببغداد وكان في حدود سنة ٤٣٩ هـ ، ولم يكن بالمقصر في صناعة الطب عن مرتبة أسلافه من آبائه وأجداده ونسبائه .

١٥ - هارون بن صاعد بن هرون الصابي الطبيب أبو نصر : كان مقدم الأطباء وساعورهم في البيمارستان العضدي توفي ليلة الخميس الثالث من رمضان سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) .

١٦ - أبو الحسن علي بن هبة الله بن الحسن : من الأطباء المتميزين في صناعة الطب ، كان في أيام المقتدي بأمر الله وخدمه بصناعة الطب وخدم ولده المستظهر بالله وكان يتولى

مداواة المرضى في البيمارستان العضدي . ولد ليلة السبت في ٢٣
جمادى الآخرة سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ م) وتوفي ليلة الاحد سادس
ربيع الأول سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م)

١٧ - امين الدولة بن التلميذ هو موفق الملك أمين الدولة أبو
الحسن هبة الله ابن أبي العلي صاعد بن إبراهيم بن التلميذ : كان
والده أبو العلي صاعد طبيباً مشهوراً وكان جده لأمه الحكيم
معتمد الملك أبو الفرج يحيى بن التلميذ ، فلما توفي نسب إليه .
خدم الخلفاء من بني العباس وارتفعت مكانته لديهم وانتهت إليه
رياسة الصناعة ببغداد ، وكان ساعور البيمارستان العضدي إلى
حين وفاته ، وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي ومتبحراً في
اللغة العربية ، عُمر طويلاً وكان يحضر عند المقتفي كل أسبوع
مرة فيجلسه لكبر سنه . وتوفي في صفر سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م)
وله من العمر ٩٤ سنة .

١٨ - جمال الدين بن أثيري هو أبو الغنائم سعيد بن هبة الله
بن أثيري : من الأطباء المشهورين ببغداد وكان ساعوراً
لبيمارستان العضدي ومتقدماً في أيام الإمام المقتفي لأمر الله .

١٩ - ابن المارستانية هو أبو بكر عبد الله بن أبي الفرج
علي بن نصر بن حمزة عرف بابن المارستانية : كان فاضلاً في
صناعة الطب وسمع شيئاً من الحديث وكان عنده تمييز وأدب

وتولى نظر البيمارستان العضدي . توفي في ذي الحجة سنة ٥٩٩ هـ بموضع يقال له جرخ بند ودفن هناك .

٢٠ - أبو علي بهم أبي الفهر مسيحي بن العطار النصراني النيلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ وهو ابن مسيحي بن أبي البقاء : تقدم في زمن أبيه بسمعته وجاهه وجعل ساعورا للبيمارستان . وكان قليل التحفظ في أمر دينه ودنياه ، وكان جاه أبيه يستره فلما مات أبوه سنة ٦٠٨ زال من كان يحترمه لأجله .

١١ - بيمارستان محمد بن علي بن خلف ببغداد

قال الذهبي ^(١) إن محمد بن علي بن خلف الوزير فخر الملك أبو غالب الصيرفي ^(٢) أنشأ بيمارستاناً ببغداد قل أن عمل مثله .

(١) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة ٤٠١ - ٤١٦ هـ

(٢) هو محمد بن علي بن خلف الوزير فخر الملك أبو غالب بن الصيرفي ولي وزارة بغداد في أيام القادر بالله فعمر البلاد ونشر العدل والإحسان ولد بواسط في ربيع الاول سنة ٣٥٤ هـ وكان أبوه صيرفياً بدبوان واسط فنشأ في دبوان وتنقلت به الأحوال حتى ولي الوزارة ، وناب لبهاء الدولة بفارس ثم ولي وزارة العراق سنة ٤٠١ فلم يزل حاكماً عليها حتى قتلته مخدمه سلطان الدولة بن السلطان لبهاء الدولة بن عضد الدولة بنواحي الأهواز في سنة ٤٠٢ هـ وكان طلق الوجه جواداً جمع بين الحلم والكرم وجمع بين الكتابة والكفاءة وكبر المحبة .

١٢ — بیمارستان واسط

في سنة ٤١٣ هـ ^(١) أنشأ مؤيد الملك أبو علي الحسن بن الحسن الرُّخَّجِي ^(٢) وزير شرف الدولة بن بهاء الدولة مدبر دولة الخليفة القادر بالله في العراق جميعه ، بیمارستاناً بواسط وأكثر فيه من الأدوية والأشربة والعقاقير ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه ووقف عليه الوقوف الكثيرة .

١٣ — بیمارستان الفارقي بميافارقين

قال ابن أبي أصيبعة ^(٣) : إن زاهد العلماء هو الذي بنى بیمارستان ميافارقين ^(٤) وحدثني الشيخ سديد الدين بن رقيقة الطبيب : أن سبب بناء بیمارستان ميافارقين ، هو أن نصير الدولة بن مروان

(١) عقد الجمان للعيني حوادث سنة ٤١٣ هـ و ٤٣٠ هـ و عيون التواريخ

لمحمد بن شاکر الکتبي والبداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٤١٣ هـ

(٢) هو مؤيد الملك أبو علي الحسن بن الحسن الرُّخَّجِي كان شرف

الدولة بن بهاء الدولة قد استوزره في سنة ٤١٣ هـ وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء واستمر في الوزارة سنتين ثم عزل وكان عظيم الجاه في زمان عطلته ومات سنة ٤٣٠ هـ وقد قارب الثمانين .

(٣) طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٥٣

(٤) ميافارقين أشهر مدينة بديار بكر واسمها فارسي أطلقه بعض

أكاسرة الفرس وأصلها رومية واسمها بالرومية Martyropolis

صاحب ديار بكر في أيام الخليفة القائم بأمر الله (تولى الخلافة سنة ٤٢٢ هـ) لما كان بميفارقين مرضت ابنة له وكان يرثي لها كثيراً ، فألى على نفسه أنها متى برئت أن يتصدق بوزنها دراهم فلما عالجها زاهد العلماء وصلحت ، أشار على نصير الدولة أن يجعل جملة هذه الدراهم التي يتصدق بها تكون في بناء بیمارستان يفتفع به الناس ويكون له بذلك أجر عظيم وسمعة حسنة . قال : فأمر ببناء المارستان وأنفق عليه أموالاً كثيرة ووقف له أملاً كما تقوم بكفايته وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج إليه شيئاً كثيراً جداً ، فجاء لامزيد عليه في الجودة وكان مقرراً في هذا بیمارستان مجلس للعلم يجيب فيه زاهد العلماء على المسائل والجوابات .

١٤ — بیمارستان باب مُحَوَّل

ذكر العيني ^(١) في حوادث سنة ٤٤٩ هـ أنه كان مارستان في باب مُحَوَّل ولكنه دثر فلا عين ولا أثر ، وباب محول محلة كبيرة كانت منفردة بجانب الكرخ يبعداد وكانت متصلة بالكرخ أولاً .

(١) كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان حوادث سنة ٤٤٩ هـ .

١٥ - بیمارستان الموصل

قال ابن كثير^(١) في سنة ٥٧٢ هـ بنى الأمير مجاهد الدين قايماز^(٢) نائب قلعة الموصل جامعاً (الجامع المجاهدي) حسناً ورباطاً ومدرسة ومارستاناً متجاورات بظاهر مدينة الموصل على دجلة . وأوقف عليه الأوقاف . وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات : أن الحسن بن علي ابن سعيد بن عبد الله علم الدين أبو علي الشافلي كان يحب الحديث فكان في كنف جمال الدين بن محمد بن علي بن أبي منصور وزير الموصل ، كثير الأفضال عليه فولاه بیمارستان بالموصل وبعد وفاته وفد على نور الدين الشهيد فأكرمه إلى أن مات سنة ٥٧٢ هـ وفي سنة ٥٨٠ هـ زار الموصل أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير^(٣) الرحالة

(١) البداية والنهاية حوادث سنة ٥٧٢

(٢) الأمير مجاهد الدين قايماز أبو منصور الرومي الزبي الخادم الأبيض كان لزين الدين صاحب أربل ، فأعتقه وأمره . انتقل إلى الموصل سنة ٥٧١ هـ وفوض إليه صاحب الموصل غازي بن مودود أمورها وامتدت أيامه ، فلما وصلت السلطنة إلى أرسلان شاه قبض على قيازشاه وسجنه إلى أن مات في السجن سنة ٥٩٥ هـ وكان دينا صالحا يتصدق كل يوم خارجا عن الرواتب بمائة دينار وكان يصوم في السنة ستة شهور ومدحه ابن التعاويذي وغيره من الشعراء وبنى بالموصل الجامع والمدرسة والرباط والمارستان (تاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب لابن العماد والبدایة والنهاية)

(٣) الرحلة ص ٢٣٥ طبع ليدن

المغربي فذكر أن أحد أمراء بلدة الموصل وكان يعرف بمجاهد الدين بنى جامعاً على شط دجلة وأمامه مارستان حفيّل من بناء مجاهد الدين المذكور وحوالي سنة ٧٢٨ هـ دخل الرحالة ابن بطوطة مدينة الموصل فوجد بها مارستاناً أمام مسجدّها الجامع .

١٦ — بیمارستان حرّان^(١)

ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبیر^(٢) الرحالة المغربي في رحلته إلى المشرق حوالي سنة ٥٨٠ هـ أن ببلدة حرّان مدرسة وبیمارستاناً .

١٧ — بیمارستان الرّقة^(٣)

لم نعرف عن هذا البیمارستان شيئاً سوى ما ذكره ابن أبي أصيبعة من أن الحكيم بدر الدين ابن قاضي بعلبك خدم بالرّقة

(١) حران مدينة عظيمة قصبة ديار مضر بينها وبين الرّها يوم وبينها وبين الرّقة بومان وهي على طريق الموصل والشام والروم وكانت منازل الصابئة وينسب إليها جماعة من أهل العلم فتحت في أيام عمر بن الخطاب وهي الآن بولاية حلب .

(٢) الرحلة ص ٢٤٧ طبع ليدن .

(٣) الرقة مدينة مشهورة من بلاد الجزيرة على الفرات بالقرب من حران بينها وبين حران ثلاثة أيام لانتها من جانب الفرات الشرقي وهي وحران تقعان شرقي حلب .

في البيمارستان الذي بها وصنف مقالة حسنة في مزاج الرقة وأحوال
أهويتها وما يغلب عليها وأقام بها سنين .

١٨ — بيمارستان نصيبين

قال ابن بطوطة الرحالة المغربي ^(١) زرنا مدينة نصيبين حوالى
سنة ٧٢٠ هـ وهي مدينة عتيقة متوسطة قد خرب أكثرها وهي بسيط
أفيح . فيه المياه الجارية والبساتين الملتفة والأشجار المنتظمة والفواكه
الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذي لانظير له في العطاراة والطيب
ويدور بها نهر يعطف عليها انعطاف السوار ، منبعه من عيون في
جبل قريب منها ، وينقسم انقساماً فيتخلل بساتينها . ويدخل منه
نهر إلى المدينة فيجري في شوارعها ودونها ويخترق صحن مسجدها
الأعظم وينصب في صهريجين أحدهما وسط الصحن والآخر عند
الباب الشرقي وبهذه المدينة مارستان ومدرستان وأهلها أهل
صلاح ودين .

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ج ٢ ص ١٤٠

بیمارستانات الشام

١ — بیمارستان الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي

قال الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي^(١) : إن أول من اتخذ بیمارستان بالشام للعرض الوليد بن عبد الملك وهو سادس خلفاء بني أمية تولى الخلافة سنة ٨٦ هـ - ٧٠٥ م وقال رشيد الدين ابن الوطواط^(٢) : أول من عمل بیمارستان وأجرى الصدقات على الزماني والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدام الوليد بن عبد الملك . وقال تقي الدين المقرئ^(٣) : أول من بنى بیمارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك . وهو أيضا أول من عمل دار الضيافة وذلك سنة ٨٨ هـ ٧٠٦ م وجعل في بیمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق ولم يصل إلينا أي علم أو إشارة عن المكان الذي أنشأ فيه الوليد بیمارستان .

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ٤٣١

(٢) غرر النقااض الفاضحة و غرر الخصائص الواضحة ص ٢٤٨ طبع بولاق

(٣) الخطط والآثار ج ٢ ص ٤٠٥ طبع بولاق

٢ — بیمارستان انطاكية

جاء في كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب ^(١) عن المختار بن الحسن بن بطلان : أنه هو الذي بنى بیمارستان أنطاكية وقال : وقفت على مقالة وضعها ابن بطلان في علة نقل الأطباء تدير الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدير المبرد كالفالج والقوة ، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء صنفها سنة ٤٥٥ هـ ١٠٦٣ م بأنطاكية قال في آخرها : قال المختار بن الحسن : صنف هذه المقالة لصديق لي وأنا يومئذ مكدود الجسم منقسم الفكر في جمع الآلات لبناء بیمارستان أنطاكية .

وقال جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ^(٢) في سياق كلامه عن أنطاكية ودخول ابن بطلان إليها نقلاً عن ابن بطلان نفسه : وفي البلد بیمارستان يراعي البطريرك المرضى فيه بنفسه . وكذلك قال ابن أبي أصيبعة ^(٣) عن مقالة ابن بطلان في علة نقل الأطباء : وصنف ابن بطلان هذه المقالة بأنطاكية

(١) كتاب كنوز الذهب لموفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم الشهير

بسبط ابن العجمي الحلي المتوفى سنة ٨٨٤ هـ ١٤٣٩ م وهو ذيل لتاريخ حلب

لابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ مخطوط

(٢) تاريخ الحكماء ص ٢٩٧ طبع ليبسيك

(٣) عيون الأنباء ج ١ ص ٢٤٣

سنة ٤٥٥ هـ وكان في ذلك الوقت قد أُهْلَ لبناء البيمارستان
بأنطاكية .

ابن بطلان

هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن
بطلان نصراني من أهل بغداد :

خرج من بغداد إلى مصر قصداً منه إلى مشاهدة علي بن
رضوان الطبيب ، وكان دخوله إلى القسطنطينية في مستهل جمادى
الآخرة سنة ٤٤١ هـ ١٠٤٩ م وأقام بها ثلاث سنين وذلك في
دولة المستنصر بالله الفاطمي ، وجرت بينهما مناظرة ومناظرة ،
وألف ابن بطلان كتاباً تضمن كثيراً مما وقع بينه وبين ابن
رضوان ، وسافر ابن بطلان إلى قسطنطينية وأقام بها سنة ثم
ورد أنطاكية وبنى بها البيمارستان إلى أن توفي سنة ٤٥٥ هـ
وقيل ٤٥٨ هـ .

٣ — المارستان الصغير بدمشق

ذكر ابن العماد في شذرات الذهب^(٣) : المارستان الصغير
بدمشق أقدم من المارستان النوري وكان مكانه في قبلة مطهرة
الجامع الأموي وأول من عمره بيتاً وخرب رسوم المارستان منه

(٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٠٧

أبو الفضل الأُخْناوي ، ثم ملكه بعده أخوه البرهان الأُخْناوي وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الأموي من جهة الغرب وينسب إلى أنه عمارة معاوية أو ابنه .

٤ — البيمارستان الكبير النوري

ملك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي دمشق سنة ٥٤٩ هـ ١١٥٤ م ، وكان قد أُسرَ بنفسه ^(١) في بعض الغزوات بعض ملوك الفرنج ، فاستشار الأمراء فيه : هل يقتله أو يأخذ منه ما يبذله من المال في الفداء ؛ فاختلفوا عليه ثم حسن له رأيهُ إطلاقه وأخذ الفداء . فحين جهز بَثَّ الفداء مات ببلده فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه ، وابتنى نور الدين من ذلك المال البيمارستان الذي بني بدمشق - وهو أحسن ما بني من البيمارستانات بالبلاد ومن شرطه : أنه على الفقراء والمساكين وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء إليه مستوصفاً فلا يمنع من شربه . ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شربه رحمه الله . ويقول بعض الناس : إنه لم تحمد منه النار منذ بني إلى زماننا (أي زمان ابن كثير الذي نقل عنه هذا الكلام وقد توفي سنة ٧٧٤ هـ)

(١) البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٥٦٩ مخطوط



شکل ۸ - باب بیمارستان نورالدین منقولا عن کارل ولزنجیر و کارل ورتنجیر

وقال ابن جبير ^(١) ، وقد دخل دمشق سنة ٥٨٠ : وبها مارستانان قديم وحديث والحديث أحفلها وأكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً ، وله قومة وبأيديهم الأزيمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك حسبما يليق بكل إنسان منهم ، والأطباء يسكرون إليه في كل يوم ، ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية . والمارستان الآخر على هذا الرسم لكن الاحتفال في الجديد أكثر وهذا المارستان القديم هو غربي الجامع المكرم . وللمجانين المعتقلين أيضاً ضرب من العلاج وهم في سلاسل موثوقون . وهذه المارستانات مفخر عظيم من مفاخر الإسلام . وقال ابن أبي أصيبعة ^(٢) لما أنشأ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ^(٣) البيمارستان الكبير ، جعل أمر الطب

(١) الرحلة ص ٢٨٣ طبع ليدن

(٢) عيون الأنباء ج ٢ ص ١٥٥

(٣) هو أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر الملقب بالملك العادل نور الدين ولد يوم الأحد ١٧ شوال سنة ٥١١ هـ ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وكان ملكاً عادلاً زاهداً عابداً ورعاً مائلاً إلى أهل الخير ، كثير الصدقات . قال ابن الأثير : قد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ولا -

فيه إلى أبي المجد بن أبي الحكم بن عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي ، وأطلق له جامكية وجراية ، وكان يتردد إليه ويعالج المرضى فيه ، وكان أبو المجد بن أبي الحكم يدور عليهم ويتفقد أحوالهم ويعتبر أمورهم ، وبين يديه المشارفون والقوَّام لخدمة المرضى ، فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك . ثم قال : وبعد فراغه من ذلك وطلوعه إلى القلعة وافتقاده المرضى من أعين الدولة يأتي ويجلس في الإيوان الكبير الذي بالبيمارستان ، وجميعه مفروش ، ويحضر كتب الاشتغال . وكان نور الدين رحمه الله قد وقف على هذا البيمارستان جملة كتب

— أكثر تحرياً منه للعدل ، وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف في الذي يخصه إلا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه في الغنيمة ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين . وكان عارفاً بالفقه وسمع الحديث وأسمعه طلباً للأجر . وأما عدله فإنه لم يترك في بلاده على سمعتها مكساً ولا عسراً وكان يعظم الشريعة ويقف عند أحكامها وقد حصن البلاد وبني المدارس الكثيرة والجوامع والبيمارستانات والخانات في الطرق ، والخانات في جميع البلاد ، وأوقف على الجميع الوقوف الكثيرة وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ولا يرد إليهم قولاً وكان وقوراً مهيباً مع تواضعه وبالجملية فقد كان له من المفاخر والمآثر ما يستغرق الوصف توفي يوم الأربعاء عشر شوال سنة ٥٦٩ هـ بقلعة دمشق ودفن بها في تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخواصين .

من الكتب الطبية ، وكانت في الخرسانيين الذين في صدر
 الايوان فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون
 بين يديه ، ثم تجري مباحث طبية وبقري التلاميذ ولا يزال
 معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات .
 قال جمال الدين بن تغري بردي ^(١) في سنة ٥٩٧ هـ جاءت في
 شعبان زلزلة من مصر امتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة
 الشرقية بجامع دمشق وأكثر الكلاسة والبيمارستان النوري .
 وقال خليل بن شاهين الظاهري ^(٢) بعد أن زار دمشق : وبها
 مارستان لم ير مثله في الدنيا قط ، وانفقت نكتة أحببت أن
 أذكرها : وهي أنني دخلت دمشق في سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) وكان
 بصحبتني رجل عجمي من أهل الفضل والذوق واللطافة وكان قصد
 الحج في تلك السنة فلما دخل البيمارستان المذكور ونظر ما فيه
 من المآكل والتحف واللطائف التي لا تحصى ، قصد اختبار رجال
 البيمارستان المذكور فتضاعف [تمارض] وأقام به ثلاثة أيام ،
 ورئيس الطب يتردد إليه ليختبر ضعفه فلما جس نبضه وعلم حاله
 وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٧٤

(٢) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لغرس الدين خليل بن

شاهين الظاهري طبع باريس سنة ١٨٩٤ م

والأشربة والفواكه المتنوعة . ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة
من معناها : أن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام . وهذا في غاية الحذاقة
والظرافة . وقيل إن البيارستان المذكور منذ عمر لم تنظف فيه
النار . ولما أتى بدر الدين ابن قاضي بعلبك إلى دمشق ولاء
الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود بن الملك
العادل بعد أن تملك دمشق في سنة ٦٣٥ الرياسة على جميع الأطباء
والكحاليين والجراحين ، فلم يزل مجتهداً حتى اشترى دوراً
كثيرة ملاصقة للبيارستان الكبير النوري وتعب في ذلك تعباً
كثيراً واجتهد بنفسه وماله حتى أضاف هذه الدور المشتراة إليه ،
وجعلها من جملته ، وكبر بها قاعات كانت صغيرة وبنها أحسن
البناء وشيدها وجعل الماء فيها جارياً فتكامل بها البيارستان ^(١)
وذكر ابن الوردي ^(٢) : أنه في سنة ٧٢٨ هـ جاء سيل عظيم على
عجلون (دمشق) خرب سوق التجار والمارستان والدباجة
وبعض الجامع . وذكر ابن تغري بردي ^(٣) أن شيخ الإسلام
شهاب الدين الغزي المتوفى سنة ٨٢٢ تولى نظر البيارستان النوري .

(١) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) تاريخ ابن الوردي ص ٢٩٠

(٣) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي مخطوط

وذكر السخاوي ^(١) : أن الشيخ المؤرخ تقي الدين المقرئ
 كاتب التوقيع في ديوان الإنشاء بمصر والمتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، كان
 قد دخل دمشق مراراً وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان
 الكبير النوري مع كون شرط نظره لقاضيه الشافعي ، وهذا
 يشبه بالتام نظر البيمارستان المنصوري بالقاهرة فإنه لقاضيه
 الشافعي . وقد كان للبيمارستان الكبير النوري من المكانة بحيث
 كان النظر عليه لنائب السلطنة بدمشق ^(٢) قال القلقشندي :
 ومن الوظائف الديوانية الكبيرة بدمشق نظر البيمارستان الكبير
 النوري وقد صار معدوقاً بالنائب (أي نائب السلطنة) يفوض
 التحديث فيه إلى من يختاره من أرباب الأقلام وكذلك يكون
 معه نظر الجامع الأموي بدمشق .»

ولبيان حال هذا المارستان في العصور المتأخرة وما كان عليه
 من الأهمية والمكانة ننقل هنا ما ذكره المحيي ^(٣) بصدده قال :
 «إن حسن باشا بن عبد الله الأمين المعروف بشوريزه حسن ، أحد
 صدور دمشق وأعيانها المتوفى سنة ١٠٢٧ هـ ولي وقف البيمارستان
 الكبير النوري فأقام شعائره بعد أن كانت اضمحلت وعمراً أوقافه
 وأتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه .»

(١) التبر المسبوك في ذيل السلوك ص ٢٢

(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨٤

(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحيي ج ٢ ص ٢٥

وأخبرني العالم الجليل الأستاذ محمد كرد علي بك من أعلام دمشق حالاً : أن البيمارستان الكبير النوري ظل عامراً يعالج فيه المرضى إلى سنة ١٢١٧ هـ (١٨٩٩ م) وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن العشرين حتى قامت بلدية دمشق في عهد ولاية حسين ناظم باشا والي سوريا سابقاً بإنشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي من تكية السلطان سليمان ، المطلة على المرج الأخضر ، وجمعت له الإغانات بأساليب مختلفة ، من واردات البلدية وأوقاف البيمارستان النوري لتنفق عليه ، وسمي المستشفى الحميدي نسبة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الذي بني المستشفى الجديد في عهده وهكذا خلف المستشفى الحميدي البيمارستان النوري نفسه فقد جعل مدرسة للبنات ^(١) ولا تزال واجهته على حالها وبها بعض الحجرات والنوافذ من البناء القديم وسطت الأيام على بقية البيمارستان فعفا أثرها .

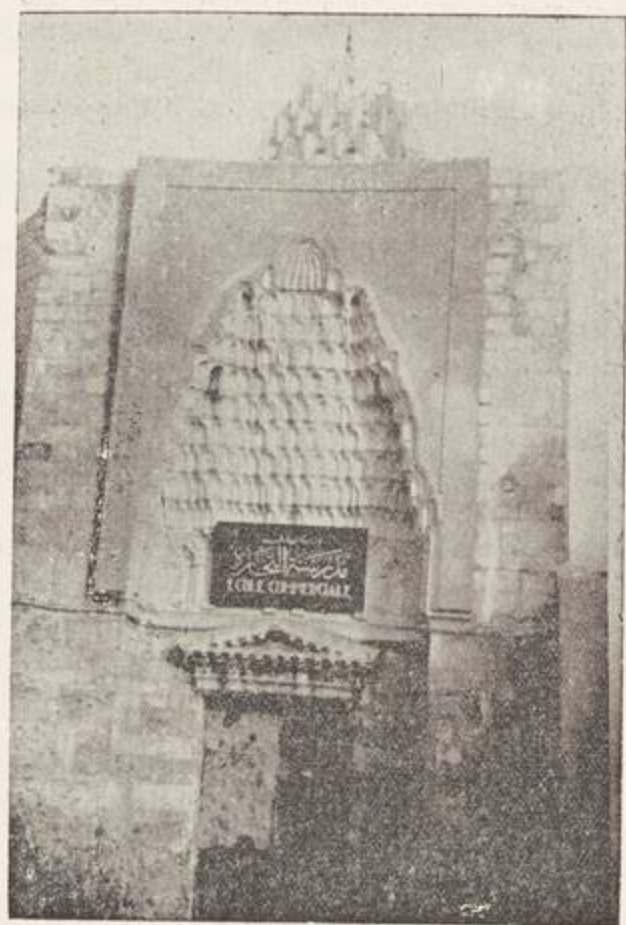
في رأس مصراعي باب البيمارستان النوري الكبير شكل ٩ مطر دقيق محفور على النحاس يمتد طولاً كشف حديثاً هذا نصه :

عز مولانا الملك العادل العالم الزاهد المجاهد الم رابط المؤيد المعظم المنصور نور الدين ركن الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين (ناصر) الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين قاتل الكفرة والمشر كين أبي القاسم محمود ابن زكي بن آقسنقر ناصر أمير المؤمنين أدام الله أيامه .

(١) ثم اتخذ سنة ١٩٣٧ داراً لمدرسة التجارة الرسمية . وممة دار الآثار الآن مبذولة في إعادة معالمة كما كانت في القديم .

وهذه صورة ما هو مكتوب على الباب الداخلي تحت القبة
الظاهرة في الشكل (٩) وفيه إشارة إلى من جدد بناءه :

بسم الله الرحمن الرحيم : «والذين ينفقون أموالهم في سبيل
الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منها ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون» «وما تقدموا لأنفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً» وقال رسول الله ﷺ :
«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينفع أو ولد
صالح يدعوله أو صدقة جارية» والمولى الشهيد السلطان الغازي في
سبيل الله نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي قدس الله روحه من
جمع الله سبحانه وتعالى لذاته وصف العالمين ، ومن شرط وقفه
الذي أشهد به على نفسه أنه وقف على البيمارستان المعروف (باسمه)
وجعله مقراً لتداوي الفقراء والمنقطعين من ضعفة المسلمين الذين
يرجى بروءهم وهو يستعدي إلى الله تعالى على من يساعد في تغيير
مصارف وقفه وإخراجها عما شرط حاكمه وتخصمه بين يديه «يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو
أن بينها وبينه أمداً بعيداً» «وجدد ما كان تهدم من بنائه وبناء
أوقفه في الأيام السلطانية العادلة المنصورية الصالحة خلد الله سلطانها
بنظر الفقير إلى الله تعالى عمر بن أبي الطيب غفر الله له ولمن أعانه
من البنائين على عمارة هذا الوقف المبارك وكان الفراغ منه في
العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر .



شكل ٩ - وجه البيارستان النوري بدمشق
ويرى أعلاه قبة المدخل رمت حديثاً على الشكل الذي كانت عليه في القديم

الاطباء الذين عملوا في البيمارستان الكبير النوري

١ - مهذب الدين النقاش : هو الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش مولده ومنشؤه ببغداد ، عالم بعلم العربية والأدب واشتغل بصناعة الطب وكان له مجلس علم للمشتغلين عليه . وتوجه إلى مصر وأقام بالقاهرة مدة ثم رجع إلى دمشق وخدم بصناعة الطب الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وكان يعانى كتابة الإنشاء وخدم في البيمارستان الكبير النوري وكانت وفاته يوم السبت ١٢ محرم سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م)

٢ - موفق الدين بن المطران : هو الحكيم العالم موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح إلياس بن جرجس المطران : كان مولده ومنشؤه بدمشق وكان أبوه أيضاً طبيباً . وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأسلم ابن المطران في أيامه . وكانت له هممة عالية في تحصيل الكتب ومات وفي خزانة كتبه ما يناهز عشرة آلاف من الكتب الطبية . وكان ابن المطران بالبيمارستان الكبير النوري بعالج المرضى المقيمين به توفي في شهر ربيع الأول سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) بدمشق .

٣ - ابن حمدان الجرائسي : كان من جملة أطباء البيمارستان الكبير النوري ومعاصراً لموفق الدين بن المطران .

٤ - أبو الفضل بن عبد الكريم المهندس : هو مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي : مولده ومنشؤه بدمشق وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة قبل أن يتحلى بمعرفة صناعة الطب ، واشتغل أيضاً بصناعة النجوم وعمل الزيج وكانت له جامكية لطبه في البيمارستان الكبير النوري وبقي فيه إلى أن توفي سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) بدمشق وعاش نحو السبعين .

٥ - موفق الدين عبد العزيز : هو الشيخ الإمام موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي : كان كثير الخير شديد الشفقة على المرضى وكان في أول الأمر فقيهاً ثم اشتغل بعد ذلك بصناعة الطب وخدم في البيمارستان الكبير النوري ، خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب وتوفي بدمشق في يوم الجمعة ٢٠ ذي القعدة سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) وعمر نحو الستين سنة .

٦ - كمال الدين الحمصي : هو أبو منصور المظفر علي بن ناصر القرشي اشتغل بصناعة الطب والأدب و كان محباً للتجارة وأكثر معيشته منها ويكره التكسب بصناعة الطب ، وبقي سنين يتردد إلى البيمارستان الكبير النوري ويعالج المرضى فيه احتساباً إلى أن توفي في يوم الثلاثاء ٩ من شعبان سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م)

٧ - رُسَيد الدين بن علي خليفته : هو أبو الحسن علي بن خليفة

ابن يونس بن أبي القاسم بن خليفة بن الخزرج مولده بحلب سنة
٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) ثم توجه إلى مصر واشتغل بصناعة الطب ،
ولازم جمال الدين بن أبي الحوافي رئيس الأطباء بمصر وملكها
العزیز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين ولازم مشاهدة المرضى
بالبیارستان . وفي سنة ٥٩٣ هـ انتقل إلى الشام وباشر المرضى في
البیارستان الكبير النوري وجعل له مجلساً لتدريس صناعة
الطب توفي يوم الاثنين في ١٧ شعبان سنة ٦١٦ هـ .

٨ - مهذب الدين عبد الرحيم بن علي : هو الشيخ الإمام العالم
مهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالدخوار
مولده ومنشؤه دمشق ، وكان أبود كحلاً مشهوراً . وخدم
مهذب الدين كحلاً بالبیارستان الكبير النوري ثم اشتغل بصناعة
الطب ثم توجه إلى الديار المصرية ، وخدم الملك العادل أبا بكر
ابن أيوب وولاه رئاسة الطب بمصر والشام . ثم أقام بدمشق
وتولى العلاج بالبیارستان الكبير النوري ثم شرع في تدريس
صناعة الطب واجتمع إليه كثير من أعيان الأطباء ووقف داره
وجعلها مدرسة للطب ووقف لها ضياعاً وعدة أما كن وتوفي ليلة
الاثنين ١٥ شهر صفر ٦٢٨ هـ ١٢٣٠ م .

٩ - مهذب الدين أحمد بن الطاهر : كان طبيباً مشهوراً في الصناعة

الطبية متقناً للعلوم الرياضية . معتنياً بالأدب مولده بدمشق ونشأ بها
وخدم بصناعة الطب البيمارستان الكبير النوري .

١٠ - ابن البوري : هو العالم شمس الدين أبو عبدالله محمد بن
عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي : أتقن الحكمة وصناعة الطب
وكان له مجلس لتدريس هذه الصناعة وخدم الملك الظاهر غياث
الدين غازي بن الملك الناصر . وأقام عنده بجلب ، ثم أتى إلى
دمشق وأقام بها يدرس الطب ويطب في البيمارستان الكبير
النوري ، وتوفي بدمشق في ٤ ذي القعدة سنة ٦٢٢ هـ وله من
العمر ٥١ سنة .

١١ - عمران الاسرايلى : هو الحكيم أُوحد الدين عمران بن
صدقة ، مولده بدمشق في سنة ٥٦١ هـ وكان أبوه طبيباً مشهوراً
وكان الملك المعظم قد أطلق له جامكية ويتردد إلى البيمارستان
الكبير النوري وتوفي في حمص في شهر جمادى الأولى سنة
٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) .

١٢ - سريد الدين بن رقيقة : هو أبو الثناء محمود بن عمر بن
محمد بن إبراهيم بن شجاع الشيباني الحانوي ويعرف بابن رقيقة
كان مولده سنة ٥٦٤ هـ بمدينة حيني ونشأ بها وكانت له معرفة بصناعة

الكحل والجراح ، وحاول كثيراً من أعمال الحديد ^(١) في مداواة أمراض العين وقدح الماء النازل في العين لجماعة وأنجب قدحه وأبصروا . وكان المقدح الذي يعاينه مجوفاً وله عطفة ليمكن في وقت القدح من امتصاص الماء ، ويكون العلاج أبلى وفي سنة ٦٣٢ هـ وصل إلى دمشق إلى السلطان الأشرف وأمر بأن يواظب على معالجة المرضى بالبيمارستان الكبير النوري وتوفي في سنة ٦٣٥ هـ وكان شاعراً مجيداً .

١٣ - جمال المحقق محمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي ^(٢) اشتغل بالفقه وبرع فيه وكان فاضلاً في الطب وقد ولي الدخوارية وعاد المرضى بالمارستان على قاعدة الأطباء ، وكان مدرسا للشافعية بالفرخشاهية ومعيداً بعدة مدارس وكان جيد الذهن مشاركاً في فنون كثيرة توفي سنة ٦٤٩ هـ .

١٤ - سعد الدين بهاء بن عبد العزيز : هو الحكيم العالم سعد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي ولد بدمشق سنة ٥٩٣ هـ (١١٨٧ م) وخدم بصناعة الطب

(١) أعمال الحديد تطابق في الاصطلاح الطبي العصري إجراءات العمليات الجراحية .

(٢) عن البداية والنهاية لابن كثير وشذرات الذهب لابن العماد وتاريخ الأعلام للذهبي

البيمارستان الكبير النوري إلى أن توفي في سنة ٦٤٤ هـ ١٢٤٦ م
بدمشق .

١٥ - رضى الديبہ الرمى : انظر ترجمته في البيمارستان

الناصرى ص ٧٩

١٦ - جمال الديبہ بن الرمى : هو جمال الدين عثمان بن يوسف

ابن حيدرة الرحبي أخو السابق ، اشتغل بصناعة الطب على والده
بدمشق وخدم بالبيمارستان الكبير النوري وبقي به سنين ولما وصل
التار إلى الشام سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) توجه إلى مصر وأقام بها
وتوفي بالقاهرة سنة ٦٥٨ هـ (١٢٥٩ م) .

١٧ - شرف الديبہ بن الرمى : هو شرف الدين أبو الحسن

علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي . ولد بدمشق سنة ٥٨٣ هـ
(١١٨٧ م) واشتغل بصناعة الطب وخدم مدة في البيمارستان
الكبير النوري ودرّس بالمدرسة الدخوارية وتوفي سنة ٦٦٧ هـ
(١٢٦٨ م) .

١٨ - شمس الدين محمد الكلي : هو الحكيم العالم أبو عبد الله

محمد بن إبراهيم بن أبي المحاسن ، كان أبوه أندلسياً وأتى إلى دمشق
ونشأ شمس الدين بدمشق وقرأ صناعة الطب وحفظ كليات القانون
حفظاً جيداً ، ولذلك قيل له الكلي . وخدم بصناعة الطب الملك

الأشرف موسى بدمشق ثم في البيمارستان الكبير النوري .

١٩ - عز الدين به السويدي : هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد كان أبوه تاجراً من السويداء بحوران ، ولد بدمشق سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) ونشأ بها واشتغل بصناعة الطب وقرأ علم الأدب وأتقن العربية وأجاد الشعر وخدم في البيمارستان الكبير النوري وفي بيمارستان باب البريد وكان مدرساً بالدخارية .

٢٠ - عماد الدين الدينوري : هو عماد الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي الخطيب تقي الدين عباس بن أحمد بن عبيد الربيعي مولده بدُنيسَر في سنة ٦٠٥ ونشأ بها واشتغل بصناعة الطب وتميز في الأدب والفقهِ خدم في البيمارستان الكبير النوري .

٢١ - بدر الدين به قاضي بعلبك : هو الحكيم العالم بدر الدين المظفر ابن القاضي الإمام مجد الدين عبد الرحمن بن إبراهيم نشأ بدمشق واشتغل بصناعة الطب وخدم في البيمارستان الذي بالرقّة . وصنف مقالة في مزاج الرقّة وأحوال أهويتها . ثم أتى إلى دمشق وخدم الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مؤدود وذلك في سنة ٦٣٥ هـ . وولي رئاسة جميع الأطباء والكحالين والجراحين والبيمارستان الكبير النوري وقرأ الفقه والتفسير .

٢٢ - جمال الدين بهر عبد الله : بن عيد السيد ^(١) أسلم مع والده الذبان وكان من أطباء المارستان النوري بدمشق توفي سنة ٧٣٥ هـ ودفن في قبر أعدده لنفسه .

٢٣ - عبد الله بهر الحق ^(٢) بن إبراهيم بن محمد بن عبد الحق رئيس الجراحية جمال الدين ابن رئيس الأطباء شمس الدين القاهري ويعرف بابن عبد الحق : ولد قبل القرن ودخل في سفره مع أبيه الشام في خدمة الناصر فرج ، وتميز في صناعة الطب وباشر رئاسة الجراحية وقتاً وتقدم في أيام الأشرف إينال ولم ينفك عن ملازمة البيمارستان كل يوم مات في ربيع الأول سنة ٨٩١ هـ ودفن بتربة ابن جماعة بالقرب من الصوفية .

(١) تاريخ الاسلام لابن الوردي ج ٢ ص ٣١٠

(٢) الضوء اللامع للسخاوي

٥ - البيمارستان النوري أو العتيق بحلب

ذكر ابن القفطي^(١) أن المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان خرج من بغداد في مستهل شهر رمضان سنة ٤٤٠ هـ مصعداً ، فوصل إلى حلب فوجد فيها جامعاً وست بيع وبمارستاناً صغيراً . وروى صاحب كنوز الذهب في تاريخ حلب أن المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان هو الذي وضع البيمارستان بحلب ، وجدّد نور الدين محمود بن زنكي عمارته . وقال في الدر المنتخب^(٢) : إن البيمارستان النوري بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بحلب داخل باب أنطاكية بالقرب من سوق الهواء في محلة الجلوم الكبرى في في الزقاق المعروف الآن بزقاق البهرمة . ويقال : إن الملك العادل نور الدين تقدم إلى الأطباء أن يختاروا في حلب أصح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيمارستان بها ، فذبحوا خروفاً وقطعوه أربعة أرباع ، وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الربع الذي كان في هذا القطر ، فبنوا المارستان فيه . ووقفت عليه قرية معراتا ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان وخمسة

(١) تاريخ الحكماء ص ٣٩٥ طبع ليبسيك

(٢) انظر كتاب أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء

أفدنة من مزرعة كفر تابا وثلاث مزرعة الخالدي وطاحونا من
المطخ وثمن طاحون ظاهر باب الجنان وثمانية أفدنة من مزرعة
أبو مرايا من غراز ، وخمسة أفدنة من مزرعة الحميرة من المطخ
واثني عشر فدانا من مزرعة الغرزل من المعرة وثلاث قرية بيت
راغيل من العزيات وعشرة دكاكين بسوق الهواء وهو الآن
معروف بسوق الجمر منها ثلاثة تمام ، والباقي شركة الجامع الكبير
وأحكار ظاهر باب أنطاكية وباب الفرج وباب الجنان . ومكتوب
على البيمارستان ^(١) عند باب البهرة : بسم الله الرحمن الرحيم أمر
بعمله الملك العالم العامل المجاهد الم رابط الأعز الكامل صلاح
الدنيا والدين قسيم الدولة رضي الخلافة تابع الملوك والسلاطين ،
ناصر الحق بالبراهين ، محيي العدل في العالمين ، قانع الملحين ،
قاتل الكفرة والمشركين ، أبو القاسم محمود بن آق سنقر ناصر أمير
المؤمنين أدام الله دولته ، بتولي العبد الفقير إلى رحمة مولاه ، عقبه
ابن أسعد الموصلي وعلى بابه مكتوب ^(٢) عمره السلطان نور الدين
بتولي ابن أبي الصعاليك

(١) كتاب تحفة الأنبياء في تاريخ حلب الشهباء تأليف بشوف

الجرماني طبع بيروت سنة ١٨٨٠ ص ١٤٠

(٢) أعلام النبلاء

وفي هذا المارستان قاعة للنساء مكتوب عليها : عمر هذا
 المكان في دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب ، بقولي أبي المعالي
 محمود بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن العجمي الشافعي في شهر رمضان
 سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) وعلى إيوانه أنه عمر في أيام الأشرف
 شعبان ، وأن هذا الإيوان وقاعة النساء الصيفية أنشأها صالح سبط
 ابن التاخ ، وعلى الشباك الذي على بابه : أنه أحدث في سنة ٨٤٠ هـ
 (١٤٣٦ م) على يد الحاج محمد البيمارستاني وقاعة المنسولين كانت
 سماوية فأسقفها القاضي شهاب الدين ابن الزهري . وهو بيمارستان
 مبارك يستشفى به وهو نير شرح ومفروش من الرخام وبه بركتا
 ماء يأتي إليهما الماء الحلو من قناة حبلان .

وقال الفلقشندي ^(١) عن حلب : وبها بيهارستان حسن لعلاج
 المرضى . وقال ^(٢) : من الوظائف الديوانية نظر البيهارستان
 وقد تقدم الكلام على مدينة حلب أن بها بيهارستانين أحدهما
 يعرف بالعتيق والآخر بالجديد ولكل منهما ناظر يخصه ، وولاية
 كل منهما عن النائب بتوقيع كريم . ولعل العتيق منها هو الذي
 أنشأه نور الدين محمود بن زنكي وهو هذا ، والثاني منها هو الجديد
 هو الذي أنشأه الأمير أرغون الكاملي بحلب وسيأتي ذكره بعد .

(١) صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٧

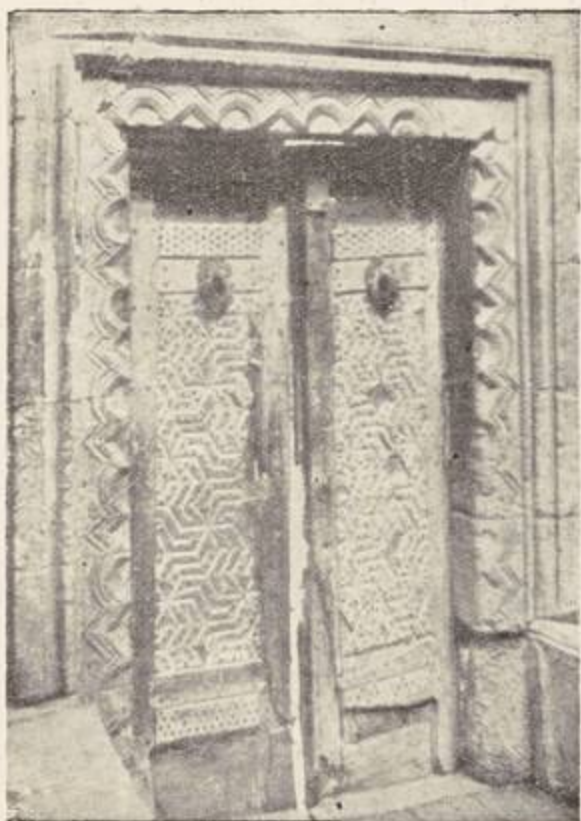
(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢٠

قال صاحب أعلام النبلاء^(١) وهو الآن خراب ولم يبق منه سوى بابه وجدران أطرافه نأوي إليه الفقراء من الغرباء . ومن الغريب أن معتمد إيطاليا أدولف صولا عمر فوق باب البيمارستان المذكور قنطرة وجعل طرفاً تحت أطراف قصر داره التي تجاه البيمارستان المذكور حفظاً للقصر وذلك منذ خمسة عشر عاماً وكان ذلك في ليلة واحدة ولم ينتطح لذلك شئزان ، غاية أن المتولي على البيمارستان رفع الأمر إلى الحكومة وإلى المجلس البلدي فلم يلتفت إليه وكأن الحادثة لم تكن . وجاء في مجلة الدراسات الإسلامية^(٢) التي تصدر بالفرنسية عن سنة ١٩٣١م عن حال البيمارستان الحاضرة أنه : أسسه نور الدين في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي وأجري فيه إصلاح في القرن الخامس عشر . وقد تغيرت معالمه بسبب تحويله إلى مساكن ومع ذلك فإنه يجب المحافظة عليه مثلاً من الآثار التي يقل مثلاًها في العالم الإسلامي .

وباب الدخول إليه (انظر الصورة ٩) لا يزال حافظاً لمصراعية

(١) أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٧ طبع بيروت سنة ١٨٨٠

(٢) Revue des études islamiques année 1931 .
cahier 1 : Inventaire des monuments musulmans
de la ville d'Alep .



شكل ١٠ - باب البيمارستان النوري بحلب

الأصليين وهو مزين بقطع مربعة من صفائح الخشب المنقوش .
وداخل البيمارستان في حالة من الإهمال لا يمكن وصفها والبوابة
منفصلة عن مكانها والواجهة مائلة إلى جهة الشارع وأول شيء
يجب عمله فيه هو أن يخلى من ساكنيه ثم يشرع في تنظيفه .
ومن عرف من الأطباء الذين خدموا بالبيمارستان النوري
بجلب عدا ابن بطلان :

١ - هاشم به محمود^(١) ابن السيد ناصر الدين السروجي
الحسيني رئيس الأطباء بالمراستان النوري بجلب توفي سنة ٩٦٤ هـ

٦ - بيمارستان باب البريد

جاء ذكر هذا البيمارستان عرضاً في ترجمة عز الدين السويدي
فإنه كان طبيباً به وبالبيمارستان الكبير النوري وباب البريد
هذا اسم لأحد أبواب جامع دمشق وهو الغربي وتجد ترجمة عز
الدين السويدي ضمن أطباء البيمارستان الكبير النوري .

٧ - بيمارستان حماة

دخل ابن جبير في رحلة إلى المشرق مدينة حماة^(٢) في
الضحى الأعلى من يوم السبت في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٨٠ هـ

(١) الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة للغزي

(٢) الرحلة ص ٢٥٥ طبع ليبسيك

وبعد أن أسهب في وصفها قال : ولها جامع أكبر من الجامع
الأسفل ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع
الصغير .

٨ — بیمارستان آخر بحلب

قال صاحب أعلام النبلاء ^(١) : على باب الجامع الكبير
الشامي بحلب بیمارستان وله بوابة عظيمة ينسب لابن خرخار والآن
قد أغلق بابها ، ثم قال : وقد رأيته .

٩ — بیمارستان القدس

رحل السلطان صلاح الدين إلى القدس في اليوم الرابع
عشر من شهر رمضان سنة ٥٨٣ هـ وأمر بتشييد أسواره وزاد في
وقف المدرسة التي عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت قبل الإسلام
تعرف بصند حنة (Sainte anne) يذكرون بها أن قبر حنة أم
مريم عليها السلام ، ثم صارت في الإسلام دار علم قبل أن
يملك الأفرنج القدس . ثم لما ملك الأفرنج القدس سنة ٤٩٢ م
أعادوها كنيسة كما كانت قبل الإسلام ، ولما فتح السلطان
صلاح الدين القدس أعادها مدرسة وفوض تدريسها إلى القاضي
بهاء الدين بن شدّاد ، وأمر بأن تجعل الكنيسة المجاورة لدار

(١) طبع بيروت سنة ١٨٨٠

الاشببتار بقرب حمامه مارستاناً للمرضى . ووقف عليها ^(١) مواضع
وشهر أدوية وعقاقير غزيرة وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف
إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع أبي تميم . وقال النويري ^(٢) :
قد عزم السلطان صلاح الدين على الحج ثم عاد إلى القدس ورتب
أحواله وعين الكنيسة التي في شارع قمامة البمارستان ونقل إليه
العقاقير والأدوية .

وأشار ابن القفطي ^(٣) إلى بمارستان القدس بقوله : إن يعقوب
ابن صقلاب النصراني أقام على حالته بالقدس في مباشرة البمارستان
إلى أن ملكه المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب
سنة ٦١٥ هـ .

وقد كتب إلي الأستاذ العالم عادل جبر بك مدير المتحف
الإسلامي ودار الكتب بالقدس الشريف ، عن هذا المارستان فقال :
إن بالقدس حارة تسمى الدباغة والمشهور المتداول على ألسنة الناس
أن البمارستان الصلاحي كان في هذه الجهة ثم أدركه الخراب كما
أدرك غيره من الآثار ثم حدثت زلزلة في سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٨ م)
فجعلته أثراً بعد عين فعميت آثاره واختلست أرضه وتصرف فيه

(١) عقد الجمان للعيني في دخول صلاح الدين للقدس

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب حوادث سنة ٥٨٨

(٣) اطلب ترجمة يعقوب بن صقلاب

الحكام وغيرهم من الناس بالبيع والهبة ، فوهب السلطان عبد الحميد
قسماً من خراباته إلى الدولة الألمانية لمناسبة زيارة ولي عهد
القدس الشريف سنة ١٨٩٦ فبنى فيه الألمان كنيسة افتتحها الإمبراطور
غليوم الثاني سنة ١٨٩٨ وقال إنهم عثروا في خراباته على حجارة
مكتوبة ناطقة باسم صلاح الدين وخلفائه من بعده .

الاطباء الذين غرروا بصناعة الطب في مارستان القدس

١ - يعقوب بن صفوان النصراني المقدسي المشرقي الملكي مولده
بالقدس الشريف ، قرأ الحكمة والطب وأقام بالقدس في مباشرة
البيمارستان إلى أن ملكه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل فنقله
إلى دمشق فاخص به وارتفعت عنده حاله وأدركه نفوس ووجع
مفاصل فأقعدته عن الحركة حتى قيل إن الملك المعظم إذا احتاج
إليه في أمر مرضه استدعاه في محفة تحمل بين الرجال ، وتوفي
يعقوب في حدود سنة ٦٢٦ هـ .

٢ - رشيد الدين الصوري : هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن
علي الصوري كان أوحد زمانه في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها
واختلاف أسمائها وصفاتها وتحقيق خواصها مولده في سنة ٥٧٣ هـ
بمدينة صور ونشأ بها ثم انتقل عنها واشتغل بصناعة الطب على الشيخ
عبد اللطيف البغدادي ، وأقام بالقدس وكان يطب في البيمارستان

الذي كان فيه وخدم الملك العادل ثم الملك المعظم عيسى ثم ولده
الملك الناصر داوود وكان له بدمشق مجلس للطب والجماعة يترددون
إليه ويستغلون بالصناعة عليه وتوفي يوم الأحد أول شهر رجب
سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) .

١٠ - بیمارستان عكا

في سنة ٥٨٣ هـ بعد أن فتح السلطان صلاح الدين بيت
المقدس^(١) واستنقذه من أيدي الصليبيين ، انصرف إلى دمشق واجتاز
في طريقه إلى عكا ولما وصل إليها نزل بقلعتها ووكل بعازتها
وتجديدها محاسنها بهاء الدين قراقوش ، ووقف دار الإشتبار نصفين
على الفقراء والفقهاء وجعل دار الأسقف مارستاناً ووقف على
ذلك كله أوقافاً دارّة وولى نظر ذلك لقاضيه جمال الدين ابن
الشيخ أبي النجيب وعاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً .



(١) عقد الجمان للعيني حوادث سنة ٥٨٤ والبداية والنهاية لابن كثير

حوادث سنة ٥٨٣ هـ

١١ - بیمارستان صفد

ذكر ابن حجر^(١) أن في صفد بیمارستاناً عمره الأمير تنكز
نائب الشام في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقال
محمد بن شاكر الكعبي^(٢) : إن الأمير الكبير سيف الدين تنكز^(٣)
نائب السلطنة بالشام عمر بصفد بیمارستان المعروف باسمه .



(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .

(٢) فوات الوفيات ج ١ ص ٩٢ طبع بولاق .

(٣) هو الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي التامري
نائب الشام جلبه إلى مصر الخواجه علاء الدين السيوامي واشتراه الأمير
لاشين ، فلما قتل لاشين صار من خاصكية السلطان . سمع تنكز إحدث
وحدث وقرأ عليه المقرئزي وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وولاه
نيابة دمشق سنة ٧١٢ هـ فأقام بها ٢٨ سنة وهو الذي عمر دمشق وأقام
شعائر المساجد بعد التتار وبني بها جامعاً وجدد بصفد بیمارستاناً مليحاً
للشفا . ثم قبض عليه الملك الناصر وأرسله إلى القاهرة سنة ٧٤١ هـ وتوفي
تنكز بجبس الاسكندرية في يوم الثلاثاء النصف من الحرم سنة ٧٤١
وقد جاوز السبعين . وفي سنة ٧٤٤ حضر تابوته من الاسكندرية إلى
دمشق ودفن في تربته بجوار جامعہ وكان ملكاً جليلاً محترماً مهاباً عفيفاً
حسن المعاشرة (المنهل الصافي والبدابة)

١٢ — بیمارستان الصالحية أو القيمري

البیمارستان قیمري أو مارستان الصالحية أنشأه وأوقفه الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن ^(١) علي بن يوسف بن أبي الفوارس ابن مؤسك القيمري الكندي : أكبر أمراء القيامرة ومن أبطالهم المذكورين وصلحاءهم المشهورين وهو ابن أخت صاحب قيمر ^(٢) كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك . ومن أكبر حسناته وقفه المارستان الذي بسفح قاسيون بالصالحية وكانت وفاته سنة ٦٥٣ هـ ودفن بالسفح في قبته التي تجاه المارستان وكان ذامال وثرورة . وفي سنة ٦٩٦ هـ في يوم السبت ^(٣) النصف من ربيع الآخر شرعت التقار في نهب الصالحية وأخربوا أماكن كثيرة ومنها المارستان بالصالحية وقال ابن العماد ^(٤) : إنه في سنة ٨٥٦ هـ توفي الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن داود الحنبلي وكان المتكلم على

(١) البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٦٥٤ وشذرات الذهب

لابن العماد ج ٣ ص ٣١٣

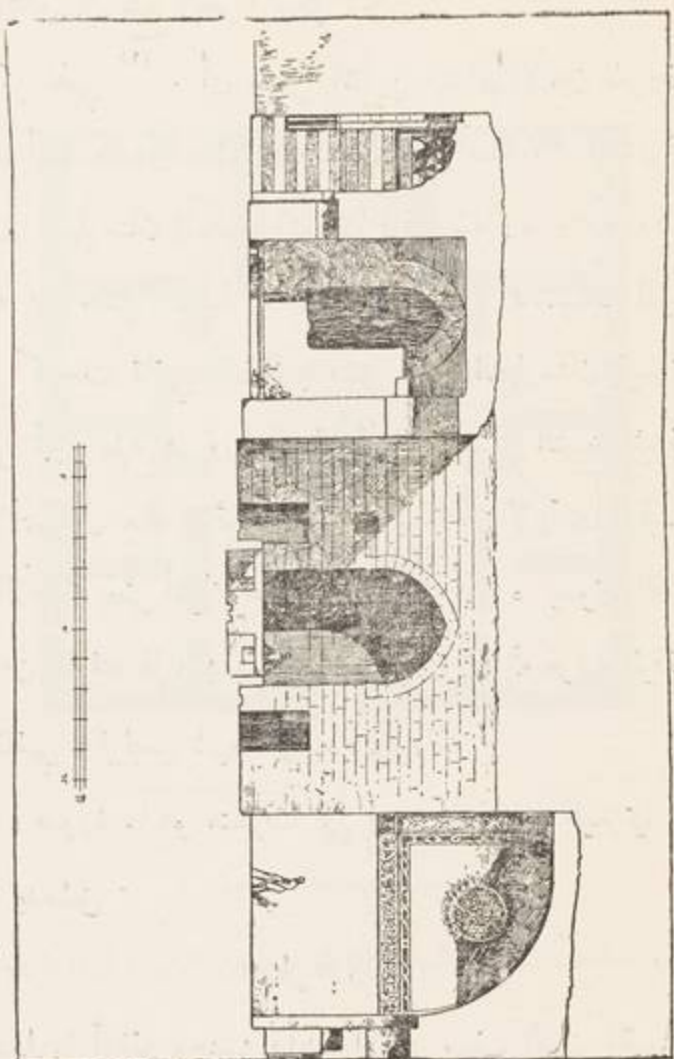
(٢) قيعر هي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ينسب إليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط وهم أكراد ويقال لصاحبها أبو الفوارس (ياقوت) .

(٣) البداية والنهاية حوادث سنة ٦٥٦

(٤) شذرات الذهب لابن العماد ج ٤ ص ٣١٤



شكل ١١ - وجه البجارسنان القيمري وتظهر فيه حجة الوقف
والعمل جار في إصلاحه وإعادة ترميمه كما كان من قبل مصلحة الآثار السورية



شكل ١٢ - البجارسنان القهري بالهامة منقولا عن كارل ونزنجير

البيمارستان القيمري ، فحصل به النفع من عمارة جهاته وعمل مصالحه
ورغب الناس في نفع الفقراء بكل ممكن .

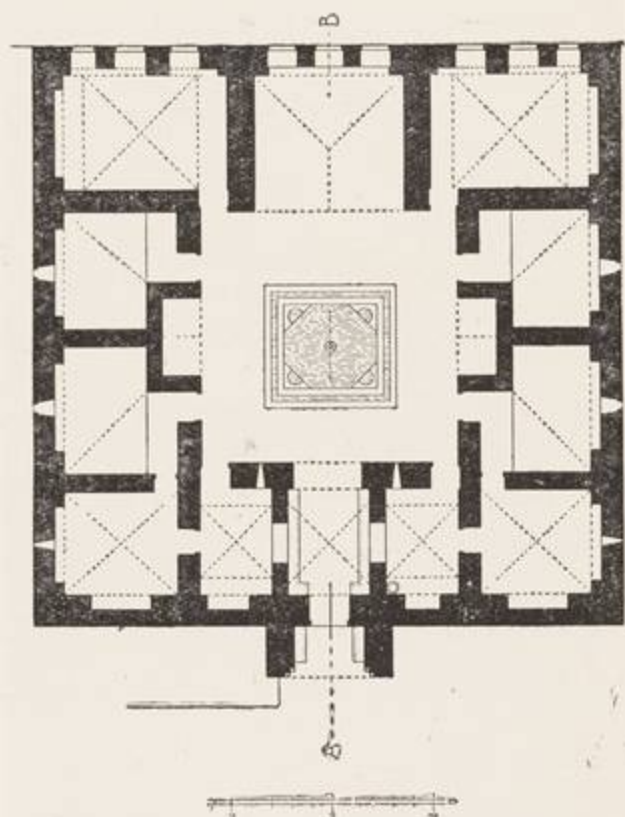
وذكر المحبي ^(١) : أن حسن باشا بن عبد الله الأمين المعروف
بشوريزه أحد صدور دمشق وأعيانها المتوفى سنة ١٠٢٧ كان قد
ولي وقف البيمارستان الكبير النوري فأقام شعائره وعمر أوقافه
وأتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه ، فاستدعاه المولى
مصطفى كوجك قاضي القضاة بدمشق لولاية البيمارستان القيمري
فأبى حتى أبرم عليه هو ورئيس الأطباء بدمشق الشيخ شرف
الدين لاضمحلال حاله ، ثم قبله على شريطة أن لا يتناول فيه
رئيس الأطباء بعض أشياء عيّن بها ولا يخالط أموره بسوى القدر
الفلافي من علوفته فإنه بسبب تجاوزه وتجاوز أمثاله خرب الوقف
فقبل القاضي ورئيس شرطه وعمره ونى وقفه .

وهذه صورة ما هو منحوت على وجه المستشفى القيمري في
الصالحية بدمشق :

السطر الاول

« هذا ما أوقفه وحبسه وأبده الأمير سيف الدين القيمري
رحمه الله تعالى على هذا البيمارستان : فمن المرج نصف قرية

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج ٢ ص ٢٥



شكل ١٣ - تخطيط أساسات البجارسن القيمري عن كارل ولزنجير و كارل وتزنجير

(البجدلية) وكذلك قريه (المسعودية) بكماها وأيضاً قرية
(المعضادية) وأيضاً من قرية (بالا) تسعة قراريط ونصف
الحصص من الأصقاع الجولانية ودير أيوب عليه السلام بكماها»

السطر الثاني

«ودير الحرير وطواحينها بكماها ودير السوج بطواحينها ..
والربع منها ومن قرية عترا الربع ومن قرية (فادا) النصف والثلث
[ومن تل] سرية ثلاث قراريط ونصف من المسقف من حصّة بن
مخشي بقيسارية قيراطين وحانوت بالفسقار مضمون برسم الشوي
و[في] صفة نوح سبعة عشر حانوت .. والحصّة من الدار ؟
ربع قيراط .»

سطر علوي مفروق

«وخان التوتة بمحد السماق بكماها وحصّة بطاحونة باب توما
أربع قراريط وخان شمالي المارستان يشتمل على بيوت جملة وقاعة
بشرقي المارستان حوانيت ومصاغ باب المارستان سبعة عشر
حانوت قاعة وحجرة وإصطبل تحتها وقف أمين الدين بدال
بالتصاعين ١٠ هـ» وتحت ذلك :

السطر الاول

«بسم الله الرحمن الرحيم . أمر ببناء هذا المارستان المبارك
العبد الفقير الراجي رحمة ربه الكريم الأمير الأجل الكبير



شكل ١٤ - البهارستان القبري من الداخل عن كارل ولزنجير و كارل وتزنجير

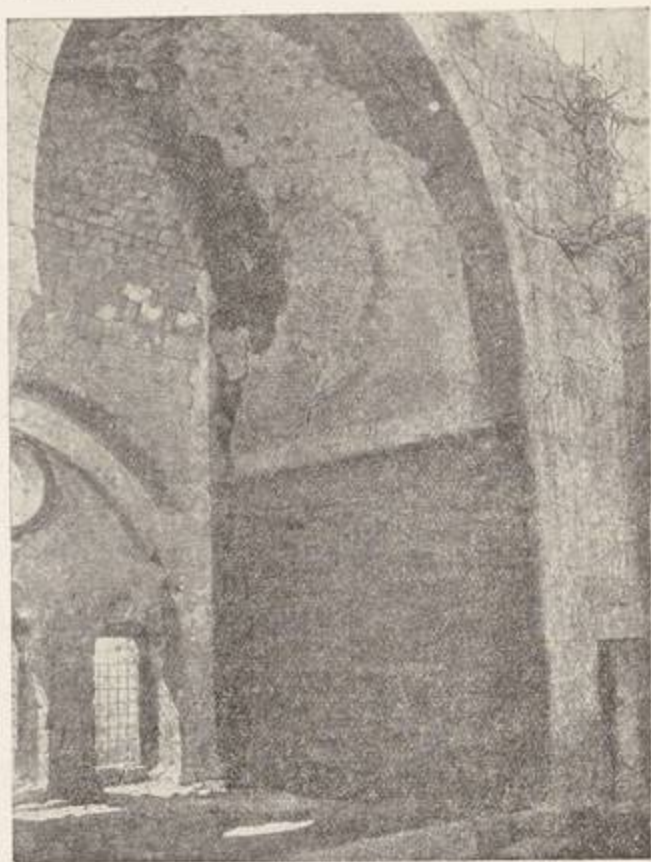
والغازي المجاهد المؤيد المظفر المنصور سيف الدين ملك الأمراء
نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين نصير أمير المؤمنين
أبو الحسن الإمام عز الدين يوسف ابن المظفر ضياء الدين أبي
الفوارس القيمري .

السطر الثاني

« طلب ثواب الله تعالى وابتغاء مرضاته يوم يجزي الله
المصدقين ولا يضيع الله أجر المحسنين في أيام مولانا السلطان
الملك الناصر صلاح الدين ابن مولانا السلطان الملك العزيز خلد
الله ملكه وسلطانه من نعمة مولانا السلطان الملك الصالح نجم
الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد قدس الله روحهما وجعل
النظر ..^(١) »

السطر الثالث

« جميع الأماكن الموقوفة على هذا المكان المبارك إلى
الأمير الكبير ناصر الدين ملك الأمراء والمقدمين مشد دار
الملوك والسلاطين ظهير أمير المؤمنين لينظر فيه ناظراً وحاكماً
بموجب الشرع العزيز ومقتضاه على ما هو مذكور في كتاب
(١) الكلمة مطموسة وظاهر أن المراد وجعل النظر عليه وعلى جميع
الأماكن .. »



شكل ١٥ - البهارستان القيحري من الداخل عن كارل ولزنجير وكارل وتزنجير

الوقف ... (١) الله منشئه وأثاب الناظر فيه وبعد ذلك جعل له
النظر (على) المدرسة وأثاب (٢) فمن يدلّه بعد ما سمعه فإنما إثمه على
الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم . ٥١ هـ

وجاء في خطط الشام ج ٦ ص ١٦٣ ما يأتي :

« قرأت في كتاب الجوامع والمدارس صورة وقف
البيمارستان القيمري فإذا فيه : هذا وقف أبي الحسن بن أبي
الفوارس القيمري على بيمارستانه في الصالحية على معالجة المرضى
والمعاجين والأشربة وأجرة الطبيب يصرف إلى الطبيب في كل
شهر : لواحد سبعون درهماً ونصف غرارة من قمح ، والأدنى ستون
درهماً ونصف غرارة قمح ، وللمشارف في كل شهر أربعون درهماً
ونصف غرارة قمح ، وللكحال في كل شهر خمسة وأربعون درهماً
ونصف غرارة قمح ، وللحوائج في كل شهر ثلاثة عشر درهماً وأربع
غرارة قمح ، وإلى ثلاثة رجال يقدم لكل من الرجال في كل شهر
ثلاثة عشر درهماً وسدس غرارة قمح وللمن يقوم بمريضات النساء
والمجنونات في كل شهر لكل واحدة عشرة دراهم وسدس غرارة
قمح ، وإلى الشراب وبائعه لعمل الأشربة والمعاجين في كل شهر
سنة وعشرون درهماً وثلاث غرارة قمح ولأمين المشارفين والمتولين

(١) الذي على الحجر كلمة تشبه : بقامن الله ولعلمها كلمة بمعنى عفا الله عن منشئه

(٢) كلمة مطبوعة قريبة من (القيم) أو (النعيم)

في الوقف إلى كل واحد في كل شهر ستون درهماً وغرارة قمح وغرارة شعير ، وللإمام في كل شهر أربعون درهماً وثلاث غرارة قمح وللعمار المرتب لعمارته في كل شهر ثلاثة عشر درهماً وسدس غرارة قمح ويكون بواباً وللحوائج في كل شهر ثمانية دراهم وسدس غرارة ، وللناظر العشر عن المغل وربع الوقف ويصرف إلى رجلين اثنين بخدمة البيمارستان عن ثمن قدور ونحاس وفرش ولحف ومخدة وفي كل شهر إلى قيمه والمؤذن بالمسجد بقرب البيمارستان خمسة وعشرون درهماً فإن فضل يصرف إلى فكاك الأسارى من الكفار وبعد ذلك عاد وقفاً على الفقراء وتاريخ الوقفية سنة ٦٥٢ وتاريخ المسجد سنة ٨٨٠ ثم ذكر القري والبساتين والحوانيت والطواحين التي وقفها على بيمارستانه .

ومن ولى النظر على البيمارستان القيمري محمد بن قباد المعروف بالسكوني الدمشقي الحنفي مفتي الشام وكانت وفاته سنة ١٠٥٣ هـ ومن خدم من الأطباء في البيمارستان القيمري بالصالحية .

١ - إبراهيم^(١) بن إسماعيل بن القاسم بن هبة الله بن المقداد القيسي كان طبيباً بالبيمارستان بالصالحية وتوفي في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

١٣ - بیمارستان الجبل

كان بقربة نَيْرَب وهي قرية على نصف فرسخ من دمشق بیمارستان يسمى بیمارستان الجبل ولم يعرف شيء عن هذا بیمارستان ، ولا عمن أنشأه والزمن الذي أنشئ فيه ، غير أن ابن شاکر الکتبي في فوات الوفیات ، والذهبي في تاریخ الإسلام قد ذکرا بعض الذين خدموا في هذا بیمارستان من الأطباء وعینا زمنهم فعلنا بذلك عصره بوجه التقريب و ذکر الذهبي في تاریخه أيضاً أن التتار لما دخلوا دمشق في سنة ٦٦٩ هـ في ١٨ جمادى الاولى أحرقوا ومعهم الکُرُج والأرمن مارستان الجبل وعدة مدارس وأما کن في غاية الحسن والكثرة

ومن الأطباء الذين خدموا في هذا بیمارستان :

١ - عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون الحکیم الخطيب الطيب البارع مجد الدين خطيب النیرَب له شعر وأدب وفضائل وكان من فضلاء الحنفية درس بالماغية وعاش خمساً وسبعين سنة وكان طبيب مارستان النیرب ، وفي تاریخ الإسلام للذهبي طبيب مارستان الجبل .

٢ - أحمد بن أبي بكر محمد بن حمزة بن منصور الطيب نجم الدين أبو العباس الحمداني ثم الدمشقي المعروف بالجلي : طبيب مارستان

الجيل ولد سنة خمس أو ست ومائة ومات في رمضان بدؤير أحمد
ولي مشاركة الجامع في هذه السنة بعد أخيه لأُم الشمس الجيلي
توفي سنة ٦٩٥ هـ .

١٤ — بیمارستان غزّة

لما توفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وتولى الملك
الصالح إسماعيل ، رسم للأمير علم الدين سنجر الجاولي الفقيه
الشافعي بناية غزّة فحضر إليها وأقام بها مدة شرع في أنائها في
عمارة الجامع بغزّة ، وعمر حماماً هائلاً ومدرسة للشافعية وعمر خاناً
للسبيل وبنى بغزّة مارستاناً ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافاً
جليلة ، وجعل النظر فيها لنواب غزّة وتوفي في ٩ رمضان سنة ٧٤٥
ودفن الأمير سنجر في تربته التي على جبل الكبش ظاهر
القاهرة^(١) .

١٥ — بیمارستان الكرك

هذا بیمارستان أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجاولي أبو سعيد
المتقدم ذكره والذي أنشأ أيضاً مارستان غزّة . ولد الأمير سنجر^(٢)

(١) أعيان العصر للصالح الصفدي ج ٣ مخطوط

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني

سنة ٦٥٣ بآمد ثم صار لأمير يقال له جاول في سلطنة الظاهر بيبرس
فنسب إليه، ثم انتقل بعده إلى بيت السلطان وأخرج في أيام
الأشرف خليل إلى الكرك ثم عمل إسماعيل صحنه الناصر محمد نيابة
عن بيبرس الجاشنكير واستنابه الناصر محمد بعد مجيئه من الكرك
سنة ٧١١ فعمّر بها قصر النيابة وهو أول من مدّنها، فبنى فيها القصر
والجامع والحمام والمدرسة للشافعية وخان السبيل والمارستان والميدان
ثم قدم إلى مصر ليكون نائباً للحوائج خاناه ثم ولي نيابة غزة
وصار من أكبر أمراء مصر وتوفي في تاسع شهر رمضان سنة ٧٤٥

١٦ — مارستان حصن الأكراد

أنشأ هذا المارستان أحد المماليك بهذا الحصن ووجد مكتوباً
على عتبة باب هذا المكان ما يأتي: ^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البيارستان المبارك العبد الفقير
إلى الله تعالى بكتّمة بن عبد الله الأشرفي نائب السلطنة المعظمة
بحصن الأكراد أثابه الله تعالى وأوقفه على مرضى المسلمين المقيمين
والواردين وذلك في شهر سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) .

(1) Max Van Berchem : materiavx pour un corpus
inscriptionum arabicarum : Syrie du nord par maritz
Sobernheim tome XXV ; memoires de l'Institut français
d'archeologie oriental .

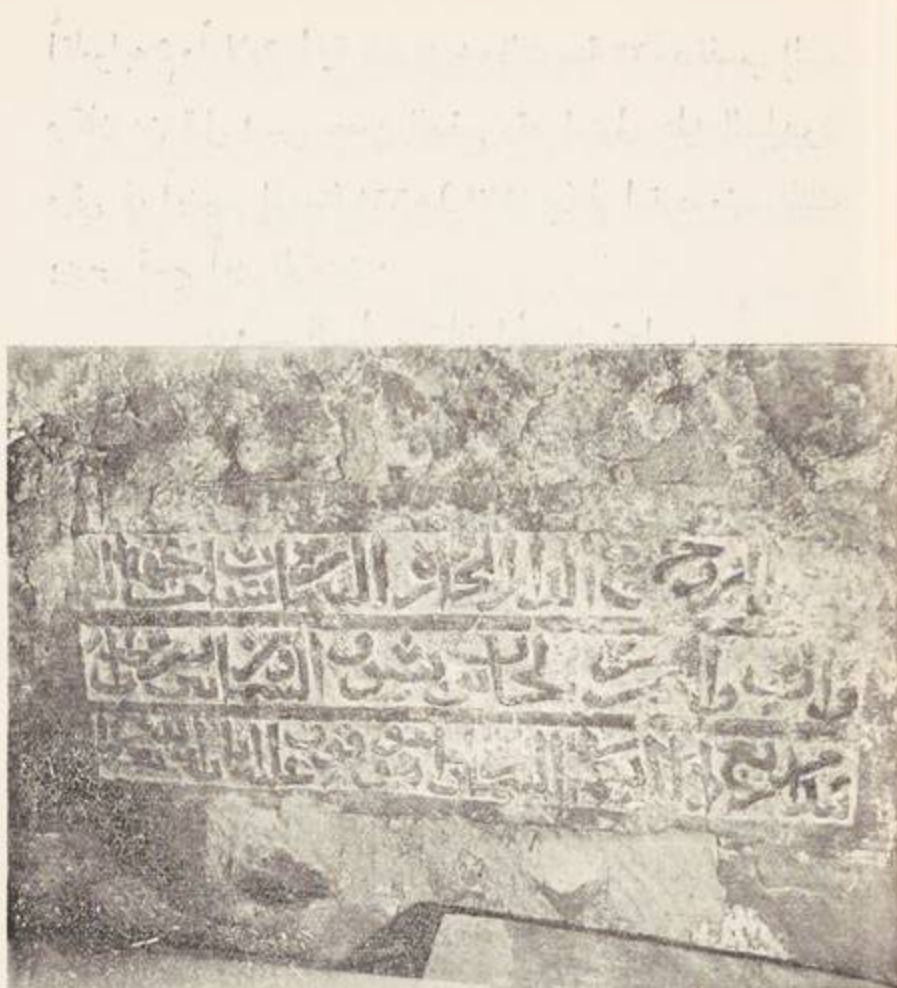
شکل ۱۶ - ما هو مکتوب علی باب بیمارستان حصن الکراد مقوله عن فان برشم



وهذا المارستان لم يبق من آثاره إلا هذه الكتابة وبعض
الأحجار المستعملة الآن في بناء بعض المنازل الصغيرة المجاورة
للبيمارستان وقد أرصد بكتمر بعض الأوقاف للصرف على هذا
المارستان . قال ناقل هذه الكتابة : وقد وجدت في بعض البيوت
المتخربة قطعة من نص وقفية بكتمر على البيمارستان وهذا نصها :
..... وبسوق البز وجميع الدار المجاورة للبيمارستان من
جهة الشمال والربع والثلث من الحانوت بسوق السمانين ومن شروطه
أن يبدأ من ريع ذلك بعمارة المارستان وما هو موقوف عليه أثابه
الله تعالى . ووجدت وقفية أخرى مكتوبة فوق حجر في جدار أحد
المنازل الصغيرة مقابلة للكتابة السابقة وهذه صورتها ونصها :

«أوقفت الحاجة مريم زوجة ابن السروري أثابها الله
تعالى على هذا الوقف المبارك أربعة عشر سهماً من البستان بقرية
السحارة (الآن خراب وتبعد بمقدار ساعة ونصف عن حصن
الأكراد)

وحصن الأكراد في السهل المسمى البقاعية بحده من الجنوب
جبل عكار وجبل لبنان ومن الشمال جبال النصيرية . وسبب تسميته
بحصن الأكراد أن أحد أمراء حمص المرداسيين وهو شبل الدولة
نصر بن مرداس صاحب حمص أسكن فيه جماعة من الأكراد الذين



شكل ١٧ - صورة وقف بهارستان حصن الأكراد منقولة عن فان بوشم

أقاموا به هم وأولادهم لحماية الطريق ، وذلك سنة ٤٢٢ هـ فنسب إليهم
وكان من قبل يسمى حصن الصفح وقد استولى عليه الصليبيون
وبقي في أيديهم إلى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧١ م) ثم استرده منهم الملك
بيبرس قسيم أمير المؤمنين .

١٧ - البيمارستان الجديد بحلب

أو بيمارستان أرغون الكاملي

أنشأ الأمير سيف الدين أرغون ^(١) الكاملي في سنة ٧٥٥
عمارة البيمارستان المنسوب إليه بحلب داخل باب قنسرين ، واجتهد
في أمره ورفل في أثواب ثوابه وأجره ، وشيد بنيانه ، ومهد
مجالسه وإيوانه ، ورفع قواعده ، وهباً بيوته ومراقده ، وأعد له
الآلات والخدم . ورتب لحفظ الصحة فيه أرباب الحكم . وأباحه
للضعيف والسقيم ، وفتح بابه للراحل والمقيم ، ورواه بالمياه الكثيرة
وأنفق عليه أموالاً غزيرة ، وأجرى عيون معلومه وجرايته ، ووقف
للقيام بمصالحه ما يزيد على كفايته . وقال في ذلك ابن كثير :

قولاً لأرغون الذي معروفه بالعرف قد أحيا النفوس والأرج
أنزلك الرحمن خير منزل رحب ورقاك إلى أعلى الدرج
بنيت داراً للنجاة وللشفا ليس بها على المريض من حرج

(١) البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٧٥٥

وتوفي الأمير أرغون الكاملي بالقدس الشريف يوم الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ٧٥٨ هـ ، ودفن بتربة أنشأها غربي المسجد بشمال . وكان قد ناب بدمشق مدة ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالاسكندرية مدة ، ثم أفرج عنه ، فقام في القدس الشريف إلى أن كانت وفاته ، وكان سلطان مصر إذ ذاك الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

وهذا البيمارستان ^(١) هو من البيمارستانات الإسلامية الموجودة إلى اليوم في سوريا ومصر التي حفظت آثارها ، فجميع نظامه بتفاصيله لا يزال سليماً وله بوابة عظيمة ذات نخاريب ، ودهليز ذو أعمدة وإيوانات ، وبهو يشتمل على خلوات للمرضى . وبوجهته شقوق وحالة القبة من الداخل رديئة . وأول شيء يجب إجراؤه إخلاؤه من ساكنيه الذين أزالوا من أخشابه القديمة الشيء الكثير ثم إصلاحه وترميمه وإصلاح بابه وتكميل ما نقص من قطعه . ومكتوب على باب البيمارستان عند باب قنسرين ^(٢) :

(١) Revue des études islamiques année 1931 .
 cahier 1 : Inventaire des monuments musulmans
 de la ville d'Alep .

(٢) كتاب تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ص ١٤٠ طبع بيروت



شکل ۱۸ - باب بیمارستان قیساریه نقلًا عن الأستاذ أحمد مهيل

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا البيمارستان الملك الناصر
مولانا السلطان الملك الصالح ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون
خلد ملكه الله والفقير إلى ربه أرغون الكاملي نائب السلطنة المعظمة
بحلب المحروسة غفر الله له وأثابه الجنة في شهر سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م)
وفي أعلام النبلاء : أن محلة هذا البيمارستان كانت بيتاً لأمير
فتوصل إليه بطريق شرعي ، ولم يغير بوابة تلك الدار عن حالها
وإنما كتب عليها وهي معمورة ، وهذا المارستان له أوقاف مبرورة
منها قرية بنش من عمل سمرمين وغيرها ، وكتاب وقفه موجود
وقد رتب فيه القراء يقرءون القرآن طرفي النهار ، وخبزاً يتصدق به
ورتب جميع له ما يحتاج إليه من أشربة وكحل ومراهم ودجاج وجميع
الملطفات ، وكان هذا المارستان بكفالة نفري برمس على أتم الوجوه
وشرط واقفه أن يكون النظر فيه لمن يكون كافل حلب ، ولما
تولى جانم الأشرفي كفالة حلب جعل إمامه متكلماً على هذا
البيمارستان ، فصنع له سحابة على إيوانه القبلي على قاعدة بيمارستان
القاهرة ، إذ في هذه السحابة منفعة للضعفاء تقيهم الحر والبرد .
ولما كان بتاريخ ربيع الأول سنة ٨٢٥ هـ اطلع مولانا المقر
الأشرف السيفي المالكي الصالح^(١) مولانا الملك الآمر عز نصره وهو

(١) هو الملك الصالح ناصر الدين محمد بن ططر من ملوك الشراكسة
وكان سلطان مصر والبلاد الشامية سنة ٨٢٥ في أيام الخليفة المعتضد بالله .

الناظر الشرعي على البيمارستان السيفي أرغون الكملي بحلب
المحروسة على ما شرط الواقف أثابه الله في كتاب وقفه فمنع من
هو بغير شرط الواقف .

ونأتي هنا على وصف مسهب لهذا البيمارستان كما ذكره
صاحب أعلام النبلاء قال :

تدخل إلى البيمارستان فتجد عن يمينك حجرة هي الآن
خربة ثم تدخل الباب الثاني فتجد عن يمينك حجرة أخرى ،
كانت هاتان الحجرتان تقعود الأطباء ووضع ما يحتاجون إليه من
الأدوية والأشربة ، ثم تجد صحناً واسعاً يحيط بطرفيه الجنوبي
والشمالي رواقان ضيقان مرفوعان على أعمدة عظيمة ، ووراءهما حجرة
صغيرة هي محل حبس المجانين فيها . ثم تدخل من الجهة الشمالية
في دهليز وبعد خطوات تجد دهليزين : الذي على اليمين يأخذ إلى
باب آخر للبيمارستان تخرج منه إلى بوابة صغيرة وهو مغلق الآن
والدهليز الذي على اليسار يأخذك إلى صحنين حولها حجرة صغيرة
وهي معدة أيضاً لحبس المجانين . وهناك يأخذك المول ويدخل قلبك
الروع للظلمة المخيمة على هذه الأمكنة ولا منافذ لها ، وروائح
العفونة والأقذار منتشرة فيها . ثم قال :

وقد بلغنا أنه كان في أطراف الصحن الخارجي وعلى أطراف



شكل ١٩ - بیمارستان ارغون الکاملی بحلب

الحوض الذي في وسطه أنواع الرياحين لينظرها المجانين ، وكانوا
يأتون بآلات الطرب وبالمغنين فيداوون المجانين بها أيضاً . وكان
أمره جارياً على الانتظام إلى أواخر القرن العاشر ، ومن ذلك
الحين أهمل أمره وزالت تلك الأوضاع منه . وكان بلاط الصحن
متوهناً جداً فاهتم جميل باشا سنة ١٣٠٢ هـ بتبليطه وتجديد حوضه
وترميمه . وكان يسكن في إيوانه الغربي رجل يقال له أبو حيدرة
هو وأسرته فكانوا يحافظون على هؤلاء المجانين ويطعمونهم ويرفعون
الأقذار من عندهم . ومنذ نحو عشر سنوات أو أزيد بقليل أخذ
من كان فيه من المجانين وكانوا نحو عشرين شخصاً إلى الاستانة
وهو آخر العهد بهم . والآن يسكنه بعض الفقراء وقد كان لبابه
حلقتان كبيرتان جميلتا الشكل من النحاس الأصفر ، قلعتا منه منذ
خمس عشرة سنة وأخذتا إلى متحف الأستانة ، ولا ندري أوصلتا
إليه أم لا ، ويعد هذا البيارستان من جملة الآثار القديمة الباقية في
حلب ، غير أنه إذا بقي مهملاً على حالته الحاضرة أدى ذلك إلى
تداعيه وخرابه . وأما واردات البيارستان من قرية بنش فإنها
حولت سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) إلى أوقاف الجامع الكبير



١٨ — البيمارستان الدَّقاني

منسوب إلى دَقَان بن تَشُّ السَّلاجُوقي أحد حكام دمشق في عصر السلاجقة قال ابن كثير^(١) : في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من صفر سنة ٧٦٤ عملت خيمة حافلة بالبيمارستان الدَّقاني جوار الجامع بدمشق بسبب تكامل تجديد قبة قريب السقف مبنياً باللبن حتى قناطره الأربع بالحجارة البلق وجعل في أعاليه قريات كبار مضيئة وفتق في قبلته إيواناً حسناً زاد في أعماقه أضعاف ما كان ويضيه بالخص الحسن الملبح وجددت فيه خزائن ومصالح وُفُرش ولحف جدد وأشياء حسنة ، فأثابه الله وأحسن جزاءه وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام ولما كانت الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ماشاهده من العمارة وأخبره عما كان حاله قبل هذه العمارة فاستجاد ذلك من صنيع الناظر وهو صاحب تقي الدين^(٢) بن مراجل وذلك في سنة ٧٦٤ هـ والسلطان بالديار المصرية والشامية والحجازية الملك

(١) البداية والنهاية حوادث سنة ٧٦٤

(٢) في يوم الثلاثاء ١٨ ذي القعدة سنة ٧٦٤ توفي صاحب تقي الدين ابن مراجل ناظر الجامع الأموي وغيره وكانت له همة وبشيب إلى أمانة وصرامة ومباشرة مشكورة ودفن بتربة أنشأها تجاه داره بالقيبات وقد جاوز الثمانين .

المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد
ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ومدبر المالك بين يديه وأتابك
العساكر الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكى ودخله السلطان يوم
الجمعة الثاني والعشرين من المحرم بعد العصر خوفاً من المطر .

١٩ - بیمارستان الرملة

٢٠ - بیمارستان نابلس

ذكر ابن حجر العسقلاني ^(١) أن محمد بن فضل الله القبطي
فخر الدين ناظر الجيش كان قد أسلم وتسمى محمداً وحج عشر
مرات وزار القدس ، وأحرم مرة من القدس إلى مكة وكانت
صدقته في كل يوم ألف درهم وبني عدة مساجد وعدة أحواض
لسقي الماء في الطرقات وله مارستان بالرملة وآخر بنابلس من
أعمال فلسطين اتصل بخدمة الناصر محمد ومات في رجب سنة ٧٣٢

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .

بیمارستانات الجزيرة العربية

١ - بیمارستان مكة

قال تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي ^(١) : وبمكة أوقاف كثيرة على جهات من القربات غالبها الآن غير معروف لتوالي الأيدي عليها . ومن المعروف منها بیمارستان المستنصري العباسي ^(٢) بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وتاريخ وقفه سنة ٦٢٨ هـ وعمرها في عصرنا الشريف حسن عجلان صاحب مكة عمارته التي هو عليها الآن ، وزاد فيه على ما كان عليه أولا إيوانين أحدهما في جهته الشمالية والآخر في جهته الغربية ، وأحدث فيه صهريجاً ورواقاً فوق الإيوانين اللذين أحدثهما وفوق الإيوان الشرقي الذي كان فيه من قبل وجدد هو عمارته ، وفوق الموضع الذي فيه الشبا كان المشرفان على المسجد الحرام وأدخل فيه البئر التي كان يستقي منها للمبضأة الصرغتمشية ووقف جميع ما بناه وما يستحق منافعه في الموضع المذكور المدة التي

(١) كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين أبي الطيب محمد ابن أحمد بن علي الحسني الفامي المكي قاضي المالكية بالحرم الشريف ص ١١٥ طبع اييزبغ (ولد بمكة سنة ٧٧٥ هـ)

(٢) هو المستنصر بالله جعفر ابن الظاهر بوبع عام ٦٢٣ هـ

يستحقها على الضعفاء والمجانين ووقف عليه منافع الدار المعروفة
 بدار الإمارة عند باب شعبة بعد عمارته لها حين تخربت بالحريق
 الذي وقع في آخر ذي القعدة من سنة ٨١٤ هـ . وذلك بعد
 استيجاره . واستيجاره للبيمارستان المذكور لتخريبها من القاضي
 الشافعي بمكة مدة مائة سنة ، وأذن له في صرف أجرة الموضعين
 في عمارتهما وكان استيجاره لذلك في شهر ربيع الأول سنة ٨١٥
 هـ وفيها شرع في عمارتهما وكان وقفه لذلك في صفر سنة ٧١٨ ووقف
 المنافع يتمشى على رأي بعض متأخري المالكية وحكم به بعض طلبة
 المالكية ليثبت أمره وإن كان بعض المعتبرين من المالكية لا
 يرى جوازه . وقال الشيخ قطب الدين النهروالي ^(١) المكي :
 وفي سنة ٨١٦ هـ عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن
 عجلان بن رُمَيْثَة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن سنة
 (٩٧٩ هـ) السيد الشريف حسن بن أبي نُجَيِّ بن بركات بن محمد
 بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعاده
 بالجانب الشمالي من المسجد الحرام البيمارستان الذي كان وقفا
 للمستنصر العباسي فخر ودفتر فاستأجره من قاضي القضاة بمكة
 يومئذ القاضي جمال الدين بن ظَهْرَة الشافعي إجارة طويلة مائة

(١) الإِعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٠٢ طبع ليبسبك سنة ١٨٧٥
 ولد الشيخ قطب الدين النهروالي بمكة سنة ٩٣٠ وتوفي سنة ٩٨٨ وقيل
 سنة ٩٩٠

عام بأربعين ألف درهم بوزن مصر ، وأذن القاضي جمال الدين السيد حسن بن عجلائ أن يصرف الأجرة المذكورة في عمارة ما تخرب من البيمارستان المذكور وأن يهدم ما يحتاج إلى الهدم ويرمم ما يحتاج إلى ترميم ، وأن ينتفع به مدة إجارته فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة ، وجدد به ما يحصل به النفع للفقراء ، وجدد به إيواءاً وصهريجاً ووقف جميع ذلك مما عمره ومما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى والمنقطعين يأوون إليه علواً وسفلاً وينتفعون بالإقامة والسكن فيه ، لا يزعمهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون إلى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم ، فإذا خلا البيمارستان من المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر على ذلك لولديه بركات وأحمد ثم من بعدهما للأرشد فالأرشد من ذرية المذكور دون الإناث من ولد الظهر لا البطن . وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي السيد رضي الدين أبو حامد محمد بن عبد الرحمن الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر مضي من صفر سنة ٨١٦ وإنما استحکم فيه المالكي لأن متأخريهم أجازوا وقف المنافع وهو خلاف رأي أبي حنيفة والشافعي . واستمر إلى أن خرب ودثر فاستبدل مراراً آخر

ذلك في أواخر دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بن سليم
خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان .

وقال الشيخ قطب الدين ^(١) : إن المدرسة الحنفية التي أنشأها
سلطان الهند السلطان أحمد شاه الكشُراني بجانب البيمارستان ،
كانت بيده هي والبيمارستان المستنصري وكذلك أوقاف السلطان
الملك المؤيد شيخ الحمودي . قال الشيخ قطب الدين : وأقرأت
فيها درساً في الطب ودرساً في الحديث . وفي أوائل القرن التاسع
الهجري أوقف الجلال محمد بن الشهاب أحمد البوني ^(٢) من أهل بونه
Bonne من أعمال تونس بالمغرب الذي سافر إلى مكة وقطن الحجاز
على البيمارستان المكي بعض الأماكن . وكان إبراهيم بن محمد
برهان الدين الكردي ^(٣) نزيل الحرمين متولياً مشيخة البيمارستان
بمكة بعد موت الشمس البلوي ، ووجد في أوقافه المكان المجاور
لأحد أبوابه اشتراه من ريعه في سنة ١٢٤٦ هـ . وأوقف محمد بن عبد
الرحمن بن محمد بن أحمد بن الجلال محمد بن الشهاب أحمد بن أحمد في
مرض موته على البيمارستان المكي بعض الأماكن ، وكان قد قدم
جده من المغرب وهو فقير جداً فقطن الحجاز وترقى ابنه بخدمة

(١) الإِعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥١ و٣٥٣

(٢) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي

(٣) الضوء اللامع

الشريف بركات بن أبي مُنيّ صاحب مكة وكان فيه خير بحث
وتوفي بمكة عام ١٠١٧ هـ ودفن بالمعلاة

٢ — بیمارستان المدينة

قال النويري ^(١) في سنة ٦٦٣ هـ جهز الملك الظاهر ركن الدين
بيبرس الصالحی ، الأخشاب والحديد والرصاص والآلات والصناع
فكانوا ثلاثة وخمسين رجلاً لإتمام عمارة الحرم الشريف النبوي
وأنفق فيه الأموال وجهز معهم المؤنة ، وندب لذلك الطواشي
شهاب الدين محسن الصالحی ورضي الدين أبابكر والأمير شهاب
الدين الغازي ابن الفضل اليعمری مشدّاً ومحيي الدين أحمد بن أبي الحسين
ابن تمام طبيباً إلى بیمارستان الذي بالمدينة ومعه أدوية وأشربة
ومعاجين ومراهم وسُكّر لأجل من يعتريه من الجماعة مرض .
وكان خروجهم من القاهرة في سابع عشر شهر رجب ووصل إلى
المدينة في ثاني شوال وقال ابن شاکر الکتبی ^(٢) تم الملك الظاهر
بيبرس عمارة حرم رسول الله ﷺ وعمل منبره وأحاط بالضريح
درازين وذّهب سقفه وبيضه وجدد بیمارستان بالمدينة ونقل إليه
سائر المعاجين والأكحال والأشربة وبعث إليه طبيباً من الديار
المصرية . وتوفي الملك الظاهر يوم الخميس ١٨ محرم سنة ٦٧٦ هـ

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب حوادث سنة ٦٦٣

(٢) فوات الوفيات ترجمة الظاهر بيبرس

بیمارستانات ایرانه

١ - بیمارستان الرّیّ

قال یاقوت فی کلامه عن مدینه الرّیّ : أنشأ المسلمون فی هذه المدینه بیمارستاناً . ولم أهدأ إلى من أنشأه . وقال ابن القفطی^(١) ذکر ابن جلیجل الأندلسی فی کتابه قال : أبو بکر محمد بن زکریا الرازی مسلم النحلة أديب طیب مارستانی دبر مارستان الرّیّ ثم مارستان بغداد .

وقال سلیمان بن حسان^(٢) : إن الرازی کان متولياً لتدبیر بیمارستان الری زماناً قبل مزاولته وتصرفه فی بیمارستان العضدی ببغداد .

ومدینه الری كانت مدینه عامرة بینها و بین قزوین علی بحر الخزر نحو سبعة وعشرين فرسخاً افتتحها المسلمون سنة ٥٢٠ هـ قال یاقوت : كانت الری مدینه عظيمة خرب أكثرها ، واتفق أني اجتزت فی خرابها فی سنة ٦١٧ هـ وأنا منهزم من القنار فرأيت حیطان خرائبها قائمة ومنابرها باقية وتزاویق الحیطان بحالها لقرب عهدا بالخراب ، إلا أنها خاویة علی عروشها وحكى الإصطخري أنها كانت أكبر من أصبهان وليس بعد بغداد بالمشرق أعمر منها .

(١) تاریخ الحکماء .

(٢) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣١٠

٢ - بیمارستان أصبهان

ذكر ابن أبي أصيبعة^(١) : أن ابن مندويه الأصبهاني من الأطباء المذكورين ببلاد العجم وكانت له أعمال مشهورة في صناعة الطب ألف رسالة إلى المتعلمين علاج المرضى ببیمارستان أصبهان ولم أقف على أكثر من ذلك .

٣ - بیمارستان شیراز

ذكر ابن نوري بردي^(٢) : أن محمود بن مسعود بن مصلح العلامة قطب الدين أبو الثناء الفارسي الشيرازي المولود بشيراز سنة ٦٢٤ هـ رتب طبيباً بالبیمارستان وهو حدث ثم سافر إلى النصير الطوسي ولازمه وقرأ عليه الهيئة والرياضي واجتمع بهولاكو وأبغا ومات سنة ٧١٠ هـ .

٤ - دار المرضى بنيسابور

ذكر العيني^(٣) : أن عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم أبا سعيد النيسابوري المعروف بالخرکوش ، نفقه وتزهد

(١) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٢٢

(٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ص ٣٥٠

(٣) عقد الجمان حوادث سنة ٤٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي من سنة

وجاور بمكة وسمع الحديث ثم انصرف إلى وطنه نيسابور فعمر
القناطر والجسور والحياض وبنى المساجد ودار المرضى ووقف عليها
الأوقاف وله خزانة كتب كبيرة موقوفة وصنف الكتب وتوفي
بنيسابور في جمادى الأولى سنة ٤٠٧ هـ وذكر ابن الملقن الأندلسي^(١)
أن الحسن بن علي بن إسحاق الوزير نظام الملك من وزراء
السلجوقية بنى بیمارستاناً بنيسابور ويقال إنه كان ينصدق في
بكرة كل يوم بألف دينار وتوفي في رمضان سنة ٤٨٥ هـ .

٥ - بیمارستان زرنج

ذكر الإصطخري^(٢) أن عمرو بن الليث الصقال بنى بزرنج
سوق عمرو ووقفه على المسجد الجامع والبيمارستان والمسجد الحرام
وغلة هذا السوق في كل يوم نحو ألف درهم ومدينة زرنج هي
قصة سجستان وأسواقها على غاية من العارة .

٦ - بیمارستان تبريز

بنى رشيد الدين فضل الله^(٣) وزير السلطان أوجايق دار
شفاء بتبريز في أوائل القرن الثامن الهجري أي نحو سنة ٧١٠ هـ
أو أزيد قليلاً .

(١) طبقات الشافعية ص ١٣٢

(٢) المسالك والممالك ص ٢٤١ طبع ليدن

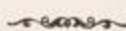
(٣) الأخبة - الإخوان التركية

٧ - بیمارستان مرو

قال ابن البيطار في مفرداته : قال عيسى بن ماسه ^(١) : أما نحن في بیمارستان مرو فإننا نستعمل الحرمل ١٠٠٠ الخ فثبت أنه كان بمرو بیمارستان ، وكان عيسى بن ماسه من المشتغلين فيه .

٨ - بیمارستان خوارزم

في أواخر سنة ٧٣٣ دخل ابن بطوطه ^(٢) خوارزم سائحاً فقال في رحلته : وبخوارزم مارستان له طبيب شامي يعرف بالصهيوني نسبة إلى صهيون من بلاد الشام ، ولم أر في الدنيا أحسن أخلاقاً من أهل خوارزم . وخوارزم هذه ولاية متسعة في شمال خراسان زارها ياقوت الحموي في سنة ٦١٦ هـ فوجد بها العمار منتشرأ وأهلها علماء فقهاء أذكاء . وقد وردها التتار سنة ٦١٨ هـ وخربوها وقتلوا أهلها وتركوها تاللاً .



(١) الجامع للمفردات ج ٢ ص ١٥

(٢) خرج ابن بطوطه سائحاً من طنجة سنة ٧٢٥ هـ وبعد رجوعه من

رحلته أملي رحلته سنة ٧٥٦ هـ

بهارستانات بهار الروم

أي الأناضول

١ — بهارستان قيسارية أو دار الشفا

دار الشفاء بقیساریة منسوبة إلى كوهي خاتون ^(١) وكان بناؤها سنة ٦٠٢ هـ وهذه الخاتون المباركة كانت ابنة قلیج أرسلان السلجوقي وهذه الدار تسمى أيضا مدرسة شفائية غياثية لأنها بنيت على وصية هذه السيدة بأمر غياث الدين كيخسرو ابن قلیج أرسلان وهو أخوها .

وعلى هذه الدار بالخط السلجوقي ما يأتي : أيام السلطان المعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن قلیج أرسلان دامت . . . اتفق بناء هذا المارستان وصية عن الملكة عصمة الدنيا والدين كوهي نسيبة ابنة قلیج أرسلان سنة ٦٠٢ هـ .

ولم يعثر على كتاب وقف هذا المارستان ، والكتابات المعمارية والتاريخية لهذا الأثر في كتاب «الكتابات القيسارية لخليل أدهم» مدير متحف الآثار القديمة بالأستانة سابقاً طبع استنبول سنة ١٣٣٤ هـ

(١) ذیل علی فضل الأخية — الفتيان التركیة فی کتاب الرحلة لابن بطوطه

تألیف م . جودت طبع استنبول سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) .

وقال الأستاذ الدكتور أحمد سهيل التركي في المؤتمر التاسع لتاريخ الطب المنعقد في بوخارست في ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٢ : إن مارستان قيسارية لا يزال موجوداً يؤدي خدمته بعد أن أُصلح على النظم الحديثة . وقيسارية مدينة عظيمة من بلاد الروم كانت تابعة لصاحب العراق واسمها القديم Caesaria وكانت عاصمة بني سلجوق ملوك الروم أولاد قليج أرسلان افتتحها ألب أرسلان سنة ١٠٦٦ م

٢ — المدرسة الشفائية بسيواس

بناها كيككاوس بن كيخسرو السلجوقي بن قليج أرسلان سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) ومكتوب عليها : أمر بعمارة هذه الدار لرضاء الله تعالى السلطان الغالب بأمر الله عز الدنيا والدين ركن الإسلام والمسلمين سلطان البر والبحر تاج آل سلجوق أبو الفتح كيككاوس بن كيخسرو برهان أمير المؤمنين سنة ٦١٤ هـ .
وكتاب الوقف محفوظ بدارالأوقاف^(١) نقل خلاصته وهي :
وقف الواقف المذكور المبرور سقاه الله تعالى شبايب الرحمة والرضوان ، وكساه جلايبب العفو والغفران : الضياع الخمس والحوانيت المائة والثمانية والأشقص السبعة والمبقة والرحى والهري

(١) الأخية الفتيان التركية تأليف م . جودت طبع استنبول سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) نقلنا الوقفية كما هي بأغلاطها اللغوية .

والإسطليل المذكورة المحدودة الموصوفة في هذا الذكر بجميع حدودها وحقوقها ومرافقها وتخومها ومصالحها ورسومها كلها أرضها وبنائها وتقضها وسمائها وعلوها وسفلها وبيوتاتها ومنازلها ومعالفها وأصايلها وأواخرها ومنابدها ومراعيها ومساكنها وأشجارها وكرومها وأفراخها وبساتينها ومستأجرها ومروجها ومقاصبها ومحاسنها ومحاطبها ومبقلها وأنهارها وسواقيها وآبارها ورياضها وغياضها وغدرانها وحياضها وعيونها ووهادها وتلالها وقيعانها وجبالها وحق شربها المعلوم وملقى ذيلها المرسوم وعامرها وغامرها وكل حق هولها داخل فيها وخارج عنها ومتصل بها ومنفصل عنها ومعروف بها ومعلوم لها ومعزى إليها ومعدود منها بأسرها وحذافيرها على «دار الشفاء» ومأوى المرضى والأعلاء التي رسم بإنشائها وأمر ببنائها الكائن موضعها ظاهر كورة سيواس حماها الله تعالى وحرسها على فوهة جادة توقات حيث عن الآفات؟ المشتملة عليها حدود أربعة: أولاً ٠٠٠ (صرفنا النظر عن ذكره اجتناباً للتطويل) وثانياً ٠٠٠٠ وثالثاً ٠٠٠٠ ورابعاً ٠٠٠٠ وقفاً مؤبداً صحيحاً شرعياً وتصدقاً سرمداً صريحاً سمعياً ونجياً مخلداً جائزاً قطعياً بتاً بتلاً فضلاً جارياً على منهج الشرع، حاوياً مقتضى الحكم، خالياً عن الموانع الفادحة، جامعاً لشرائط الصحة لاتباع هذه الأوقاف

المذكورة ، ولا يوهب ولا يرهن ولا يورث ولا يملك ولا يتلف ولا يهلك ولا يخلف لوجه من الوجوه وسبب من الأسباب بل يجري على أصلها المؤيد وتقام على شرائطها المؤكد [كذا] لا ينقصها مرور الأيام ولا ينقصها كروور الشهور والأعوام وجعل الأمير الأجل الكبير المبجل الأمير العاقل العالم العادل الكافي الكامل المظفر المؤيد المنصور المشيد؟ جمال الدين ، جلال الإسلام والمسلمين عمدة الملوك والسلطين في الممالك ، أستاذ الدار فرخ بن عبد الله الخازن الخاص دام توفيقه متولياً الأوقاف المذكورة — في هذه الوثيقة وناظراً فيها يتولى بنفسه ويستنيب من ينوبه [كذا] ويوكل إلى من يشاء ويفوض إلى من آثر واختار ويوكل فيها من أراد ويعزل عن الوكالة أنى أحب ومتى شاء لا اعتراض لأحد من الناس كائناً من كان فيها عليه ، فهو المعول عليه في تقدير واردات الأطباء الحاذقين والمترفقين الفائقين المحجرين المهذيين الغير المتحذلقين ، والكحاليين الفاضلين والجراحين المصلحين الشفيقين الرفيحين القاضين بها ، وترتيب غير التعبير؟ لتحصيل الأدوية والعقاقير وتمشية أحوال المستخدمين من الملازمين على تباين درجاتهم وتفاوت طبقاتهم ، فما أفاد الله تعالى من فوائد ريع مستغلها يصرف في عمارة الأوقاف المذكورة وبناء ما انهدم وإصلاح مرماها واستزادة

غلاتها ، فما فضل عنها يصرف إلى نفسه منها كل سنة من القراطيس
 البيض بالفضة السلطانية الرائجة ببلاد الروم في معاملات أهلها أربعة
 آلاف درهم قرطاس فضي من النقد المذكور ، النصف منها كلها
 تأكيدها ألفا قرطاس فضة من الغلة النقية ألف مد (بن براتي)
 النصف من ذلك خمسمائة مد حسب المحرر ، ويخزن الفاضل في
 خزانة دار الشفاء المذكورة إذا انفق شراء أعلى من العقارات
 ونفائس المستغلات حصلها بالمبايعة وأضافها إلى الأوقاف المذكورة
 ردماً لازيادها . وشرط الواقف المذكور على المتولي المذكور
 والناظر في أوقافه المذكورة وكل متولي بعده أن لا يؤجر شيئاً
 منها عند مسيس الحاجة في الإجارة أكثر من ثلاث سنين
 متواليات ثم لا يعقد عليه عقد إجارة أخرى حتى تنقضي هذه الإجارة
 المعقود عليها الأولى ولا يؤجر من ظالم أو طامع ولا متغلب ولا
 متعد ولا من يخشى غائلته ، فإن انطمست دار الشفاء المذكورة عياداً
 بالله واستحال استجراؤها وتعذر السكون إليها وعدم الانتفاع
 بها صارت الفوائد الحاصلة من الأوقاف المذكورة إلى فقراء
 المسلمين ومحاييج الموحدين ومساكين المسلمين . الخ .
 قال الدكتور أحمد سهيل في مؤتمر تاريخ الطب ببوخارست :
 هذا المارستان لا يزال موجوداً .

٣ — مارستان قوتلوغ توركان بايران

مآثر قوتلوغ توركان^(١) خاتون بن ملكات قره خطائية الحاكمة بايران جديرة بأن تذكر في ساحة الفتوة والكرم ، وهذه الملكة جلست على كرسي السلطنة بعد السلطان قطب الدين بايران سنة ٦٧٠ هـ وسيرتها مضبوطة في تاريخ آل سلجوق بمكتبة أيا صوفيا (رقم ٣٠١٩ ورقة ٨٨ و ٨٩) ، يذكر فيها أنها وقفت تلك الآثار مدرسة وسائر بقاع خيراز رباطات ومساجد ودار شفاء وقناطر وخانقاهات وسائر أبواب الخير .

٤ — بیمارستان أماصيه

أنشأت إيلدوز من خاتون زوجة السلطان أوجايتو دار الشفاء بمحشمة بأماصيا سنة ٧٠٨ هـ و (١٣٠٨ م) ولا تزال موجوداً .

٥ — بیمارستان ديه ركي

أنشأت توران خاتون زوجة أحمد شاه الراشمندي دار الشفاء بمدينة ديوركي في سنة ٦١٤ هـ (١٢٢٨ م) ولا تزال موجودة .

(١) ذيل على فصل الأخية الفتيان التركية تأليف م . جودت طبع

استنبول سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م)

٦ - بیمارستان محمد الفاتح

في سنة ١٤٧٠ م أنشأ السلطان محمد الفاتح مارستانا بقسطنطينية
ومن الأطباء الذين عملوا فيه :

١ - المولى محمود بن الكمال ^(١) الملقب بأخي جان المشتهر
بأخي جلبي ، كان أبوه في بلدة تبريز ثم أتى إلى بلاد الروم
ونزل قسطنطينية وعانى فيها الطب وتعين طبيباً لدار السلطنة
ورئيساً للأطباء في المارستان الذي بناه السلطان محمد خان بمدينة
القسطنطينية وتوفي سنة ٩٠٣ هـ

٧ - بیمارستان السلطان سليمان

السلطان سليمان ^(٢) ابن السلطان سليم خان عاشر سلاطين آل
عثمان والمتوفى في ٢٢ صفر سنة ٩٧٤ هـ بنى بالقسطنطينية بیمارستاناً
لمداواة المرضى وتربية المجانين بأنواع الأشربة والأطعمة والمعاجين .

٨ - بیمارستان أدرنة

أنشأ هذا المارستان أحد سلاطين آل عثمان ولم أتضح من هو
ويغلب أن يكون إنشاؤه قبل عهد السلطان سليم ولعل السلطان

(١) الشقائق النعمانية ج ٢ ص ٢٤ والسنا الباهر للشبلي

(٢) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم ج ٢ ص ٢٩٤

بايزيد الثاني هو الذي أنشأه ، ويفهم ذلك من ترجمة أحد الأطباء الذين عملوا في هذا المارستان وهو :

١- الحكيم شهاب الدين يوسف^(١) قرأ في أول عمره على علماء عصره ثم رغب في الطب وقرأ على الحكيم محي الدين ثم نصب طبيباً في مارستان أدرنة ومارستان قسطنطينية ثم جعل طبيباً للسلطان سليم خان وهو أمير على بلده طرابوزان ولما جلس السلطان سليم خان على سرير المملكة جعله طبيباً لدار السلطنة ثم جعله رئيساً للأطباء ودام على ذلك إلى أن توفي في سنة ٩٥١ هـ وكانت سنه مائة سنة أو أكثر وكان رحمه الله عالماً صالحاً عابداً سليم الطبع حلیم النفس معرضاً عن أحوال الدنيا .

٩ - بیمارستانات أخرى

ببلاد الروم (الأناضول)

وقد أنشئت في بلاد الروم بیمارستانات أخرى لم نقف على تاريخها بالشرح الكافي ونكتفي بذكر أسمائها وتواريخها وقد ذكرها الدكتور أحمد سهيل في مؤتمر تاريخ الطب ببوخارست :

١- بیمارستان قصطاموني أو بیمارستان علي فرنانه أنشئ سنة ١٢٧٢ م

ب - بیمارستان علاء الدين قيقباد بقونيه أنشئ سنة ١٢١٩ م

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية والسنا الباهر للشبلي .

- ج - دار الطب ببروسه أنشئت سنة ١٣٣٩ م
 د - بیمارستان للجذام بأدرنة أنشئ سنة ١٤٣١ م
 هـ - بیمارستان بايزيد الثاني بأدرنة أنشئ سنة ١٤٨٥ م ولعله
 بیمارستان السابق ذكره .

- و - بیمارستان خاصكى سلطان باستنبول أنشئ سنة ١٥٣٩ م
 ز - بیمارستان والده سلطان بمغيزيه أنشئ سنة ١٥٥٤ م
 ح - بیمارستان السلطان أحمد باستنبول أنشئ سنة ١٦١٦ م



بیمارستانات المغرب

١ — بیمارستان تونس

في تونس مارستان ^(١) بالقرب من سيدي محرز لا يزال موجوداً ولكنه قد تغيرت معالمه . ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي . وذكر الفقيه العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي المعروف بالزر كشي ^(٢) : أن أمير المؤمنين أبا فارس عبد العزيز بن السلطان أبي العباس ، أحمد بن أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي يحيى بن أبي بكر أحد ملوك الدولة الحفصية تولى تونس بعد وفاة والده الخليفة السلطان أبي العباس أحمد في يوم الأربعاء ثالث شعبان سنة ٧٩٦ فأخذ بالحزم في أموره وجعل في كل خطة من يصلح بها فاستقامت الأمور بتونس في أيامه كلها أحسن استقامة وأحدث في أيامه بتونس حسنات دائمة فمنها ومنها إقامة الخزانة بجوفي جامع الزيتونة وحبس ما فيها وفي غيرها من الكتب في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب

(١) Manuel d'Art musulman, par H. saladin P. 200

(٢) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٩٩ — ١٠٠ — ١٠٢

طبع تونس سنة ١٢٨٩

والتاريخ والأدبيات وغير ذلك ومنها إحداث المارستان بتونس
للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين وأوقف على ذلك
أوقافاً كثيرة تقوم به

ومن الأطباء الذين عملوا ببیمارستان تونس :

١ - محمد الشريف الحسني الزكراوي : ^(١) نسبة إلى جده أبو
زكريا الفاسي نزيل تونس وبها توفي سنة ٨٧٤ هـ وقد جاوز
الخمسين ، وكان أديباً طبيباً لبيباً ، ولي البیمارستان بتونس وأقرأ
العقليات مع مشاركة في الفقه واعتناء بالتاريخ .

٢ - بیمارستان مراکش

أو بیمارستان أمير المؤمنين المنصور أبي يوسف
قال عبد الواحد المراكشي ^(٢) في سياق كلامه عن أبي يوسف
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي من
ملوك الموحدين بالمغرب : وبني بمدينة مراکش بیمارستاناً ما أظن
أن في الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في
البلد ، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه وأتقنوا فيه من
النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح ؛ وأمر أن

(١) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع لابن حجر العسقلاني

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب

يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار والمشومات والمأكولات
وأجرى فيه مياهًا كثيرة تدور على جميع البيوت ، زيادة على أربع
برك في وسط إحداها رخام أبيض ، ثم أمر له من الفرش النفيسة
من أنواع الصوف والكتان الحرير والأديم وغيره بما يزيد عن
الوصف ويأتي فوق النعت ، وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم
برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجاً عما جلب إليه من
الأدوية ، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأحمال
وأعدّ فيه للعرض ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء
فإذا نقه المريض فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش
به ريثما يستقل ، وإن كان غنياً دفع إليه ماله وتركته وسببه ،
ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء ، بل كل من مرض بمراكش
من غريب حمل إليه وعولج إلا أن يستريح أو يموت . وكان في
كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن
أهل بيت أهل بيت ويقول : كيف حالكم ؟ وكيف القومة
عليكم ؟ إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ، لم يزل مستمراً على
هذا إلى أن مات رحمه الله في شهر صفر سنة ٥٩٥ هـ وله من العمر
٤٨ سنة ومدة ولايته ١٦ سنة وثمانية شهور .

الاطباء الذين غدموا في هذا المارستان

١ - أبو اسحاق ابراهيم الداني : كانت له عناية بالغة بصناعة الطب وأصله من بجاية ونقل إلى الحضرة ، وكان أمين البيمارستان وطيبه بالحضرة وكذلك ولداه ، وتوفي الداني في مراکش دولة المستنصر بن الناصر ^(١) .

٢ - محمد ابن فاسم ^(٢) بن أبي بكر القرشي المالقي نزيل غرناطة قال ابن الخطيب كان بارع الكتابة والنظم حسن النادرة عارفاً بالطب ، ولي النظر على البيمارستان بفاس ومات وسط سنة ٧٥٧ هـ وله ٥٤ سنة .

٣ - بيمارستان سلا

لما قدم أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الأنصاري الأندلسي من بلاد الأندلس جعل إقامته بسلا ، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي بعد أن تنقل في بلاد المغرب مثل فاس ومكناسة وشالة ، وأخذ ابن عاشر يعالج المرضى واشتهر اسمه بسيدية ابن عاشر الطبيب ، وأنشئ بالقرب من قبره مارستان وتوفي ابن عاشر سنة ٧٦٤ او سنة ٧٦٥

(١) عيون الأبناء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ٧٩

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني



شکل ۲۰ - بھارستان سیدی ابن عاشق بسلا

ودفن في التربة المسماة باسمه وقبته من أكبر القباب في كل من
سلا ورباط وفي سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٤٦ م) جدد^(١) السلطان
مولاي عبد الرحمن بناء هذا المارستان .

وسلا مدينة بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي
وقد اختارها ابن الخطيب^(٢) مقاماً له وقد وصفها في مقاماته بقوله
« العقيلة المفضلة والبطيخة الخضلة والقاعدة المؤصلة والسورة المفصلة
ذات الوسامة والنظارة والجامعة بين البداوة والحضارة معدن القطن
والكتان والمدرسة والمارستان .

٤ — بیمارستان سيدي فرج بفاس

جاء في كتاب سلوة الأنفس^(٣) : أنه بالقرب من سوق
العطارين وسوق الحنّاء بفاس ، مكان يقيم به المرضى الذين يعقوهم
مرض ، وهم المجانين ويسمى ذلك المكان سيدي فرج على أنه لم
يدفن به أي شخص كان يسمى بهذا الاسم ، وليس به قبر ، وإنما
بنى هذا المكان أحد السلاطين ليضم مرضى المسلمين الذين لاملجأ

(١) أخبرني بذلك المسيو ربنو Renaud مدير المعهد الفرنسي للتاريخ
والعلوم براكش

(٢) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ج ٢ ص ١١٣ طبع مصر

(٣) سلوة الأنفس ج ٢ ص ٢٧٦



شکل ۲۱ - بیمارستان سیدی فوج بفاس

لهم أو مأوى يأوون إليه ، وسي باب الفرج لأن المرضى كانوا
يجدون فيه ما يفرج كربهم وقد حبست عليه الجبوس التي كانت
تصرف غلتها عليه ^(١) .

وقد جلا الدكتور دومازل Dr DuMazel ^(٢) وصف هذا
البيمارستان فقال : بناؤه قديم يرجع تأسيسه إلى عهد سلاطين بني
مرين وهم في أوج عزهم وعظمتهم يعاونون على نشر العلوم وتجميل
المدن . وبني أحدهم وهو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
هذا المارستان لما تولى الملك سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) وعهد مؤسسه
إدارته إلى أشهر الأطباء وأوقف عليه الجبوس الكثيرة من
العقار للصرف عليه وحفظه ولما عظم أمر البيمارستان واتسعت أعماله
أدخل عليه السلطان أبو عنان الذي تولى الملك ٧٦٦ هـ زيادات عظيمة .
وفي سنة ٩٠٠ هـ اتخذ أهل الأندلس من المسلمين إقامتهم
في فاس ، فتولى رياسته طبيب من بني الأحمر يسمى فرج

(1) Michaux - Bellaire : description de la ville
de Fez . Paris 1907 .

(2) Publications du service de la santé et de
l'hygiène publique, editées à l'occasion de l'exposition
calomile de marseille on 1922 par Dr Du Mazel .

الخزرجي ولذلك سمي بيمارستان فرج ، فأصلح فيه وجعل الموسيقاريين
يلحنون أمام المرضى . وليس في مدخل اليمارستان شيء يستوقف
النظر وهو في سوق الحنّاء ويحيط به جدار أبيض وعليه باب عال
مغطى بالحديد شأنه كسائر أبواب المدينة مقفل على الدوام ولا
يفتح إلا قليلاً .



بیمارستان الاندلس

١ — بیمارستان غرناطة

قال الوزير لسان الدين بن الخطيب ^(١) في كلامه عن أمير المسلمين بالاندلس محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر ، الذي تولى الملك بعد وفاة أبيه في عام ٧٥٥ هـ : ومن مواقف الصدقة والإحسان من خارق جهاد النفس بناء بیمارستان الأعظم ، حسنة هذه التخوم القصوى ، ومزينة المدينة الفضلى ، لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول مع تقرير الضرورة وظهور الحاجة ، فأغرى به همة الدين ونفس التقوى فأبرزه موقف الأحداق ورحلة ^(٢) الاندلس ومدرک الحسنات فخامة بيت وتعدد مساكن ورحب ساحة ودرور مياه وصحة هواء ونقد خزائن ومتوضآت وانطلاق خيرات وحسن ترتيب ، أبر على مارستان مصر بالساحة العريضة والأهوية الطيبة ، وتدفق المياه من فورات الرمل وسود الصخر ، وتخرج البحر وانسدال الأشجار وقال سلاطين ^(٣) : إن هذا الأثر

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٢ ص ٢٩

(٢) كذا ولعلها « حلة الاندلس »

(٣) Saladin : manuel d'art musulman P 200

المربع الزوايا لا يبلغ من الانساع والإحكام في البناء مبلغ
مارستان قلاوون بالقاهرة ، ولكنه كان مرتباً في بساطته
أنيقاً في تفاصيله ، وكانت قاعاته البسيطة تدور حول باحة داخلية
في وسطها حوض عميق لقبول الماء من عينين كل عين منها عبارة
عن أسدجاث . ولما انتفعت غرناطة من يد العرب سنة ١٤٩٣ م
حول هذا البناء الصغير إلى دار ضرب السكة ثم أدخلت عليه
تغييرات مختلفة شوهدت معالمه ثم تهدم معظمه .

وذكر مارسيه ^(١) كذلك : أن مارستان غرناطة حول إلى
دار ضرب بعد سقوط غرناطة وحدثت فيه تغييرات مرات
عديدة وتهدم ثلاثة أرباعه ، ولكنه في مظهره أبسط من
معاصره بمارستان قلاوون ففي وجهته بعض النوافذ وفيها
أقواس مزدوجة وفي الوسط باب وأسكفة يعلوهما كتابة
تشبه أشعة الفلك ، ويدخل من الباب إلى ردهة مربعة
الزوايا مستطيلة وفي وسطها حوض فيه أسدان جاثيان يشبهان
مثليهما في قصر الحمراء وينبع منهما الماء ، وحول الردهة أربعة
أروقة ينفث فيها أبواب طويلة ذات انحناء على شكل نعل الفرس
وفي الزوايا سلاليم يدخل منها إلى الطابق الأول .

(١) Y. Marçais : manuel d'art musulman P. 559

ونقل ليفي بروفنسال^(١) نص ذكرى بناء السلطان محمد الخامس للبيمارستان سنة ٧٦٧ - ٧٦٨ هـ وهو لوح من الرخام على شكل الباب مقنطر مركب من قطعتين ملتصقتين التصاقاً تاماً محفوظ منذ سنة ١٨٥٠ م في جناح من بستان قصر الحمراء ، نقل إليه من أحد بيوت غرناطة ، وعلى أحد وجهي هذا اللوح كتابة في غاية الحفظ تملأ هذا الوجه وهي مكونة من ٢٦ سطراً بالخط العادي الأندلسي (شكل ٢٢) وهذه الكتابة :

تخليد ذكرى مارستان بناء السلطان محمد الخامس من بني نصر
الغني بالله خاصاً بمرضى غرناطة الوطنيين
وهذا هو النص :

الحمد لله أمر ببناء هذا المارستان رحمة واسعة لضعفاء مرضى المسلمين ، وقربة نافعة إن شاء الله لرب العالمين ، وخلد حسنة ناطقة باللسان المبين ، وأجرى صدقة على مرّ الأعوام وتوالي السنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، المولى الإمام السلطان الهام الكبير الشهير الطاهر الظاهر أسعد قومه دولة وأعضاهم في سبيل الله صولة صاحب الفتوح والصنع المنوح ، والصدر المشروح ، المؤيد بالملائكة والروح ناصر السنة ، كهف الملة

(1) Inscription arabe d'Espagne par Levy Provençal
P. 164. 1931



شکل ۲۲ - ذکرى انشاء بیمارستان غرناطة

أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد بن المولى الكبير
 الشهير السلطان الجليل الرفيع المجاهد العادل الحافل السعيد الشهير
 المقدس أمير المسلمين أبي الحجاج ابن المولى السلطان الجليل
 الشهير المعظم المنصور هازم المشركين وقامع الكفرة المعتدين
 السعيد الشهيد الوليد بن نصر الأنصاري الخزرجي ، أنجح الله في
 مرضاته أعماله ، وبلغه من فضله العميم وثوابه الجسيم آماله ،
 فاخترع به حسنة لم يسبق إليها من لدن دخل الإسلام هذه
 البلاد ، وأختص بها طراز فخر على عاتق حلة الجهاد . وقد أراد
 وجه الله بابتغاء الأجر والله ذو الفضل العظيم ، وقدم نوراً
 يسعى بين يديه ومن خلفه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى
 الله بقلب سليم . فكان ابتداء بنائه في العشر الوسط من شهر
 المحرم من عام سبع وستين وسبعماية ٧٦٧ هـ وتم ما قصد إليه
 ووقف الأوقاف عليه في العشر الوسط من شوال من عام ثمانية
 وستين وسبعماية ٧٦٨ والله لا يضيع أجر العاملين ولا يخيب
 سعي المحسنين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه
 أجمعين .

تم الكتاب

فهرست صور الكتاب

صفحة	
١١٠	شكل (١) طبق من العقيق وجد في بيارستان قلاوون
١١٣	» (٢) الباب الكبير لبيارستان قلاوون
١١٥	» (٣) الفسقية والسدبيل
١١٦	» (٤) تخطيط أسامات بيارستان قلاوون
١١٨	» (٥) قوس الإيوان الجنوبي
١٢١	» (٦) الإيوان القبلي من بيارستان قلاوون
١٧٦	» (٧) الواجهة والباب للبيارستان المؤبد
٢٠٧	» (٨) باب بيارستان نور الدين
٢١٥	» (٩) وجه البيارستان النوري بدمشق
٢٢٨	» (١٠) باب البيارستان النوري بيجاب
٢٣٦	» (١١) وجه البيارستان القيصري
٢٣٧	» (١٢) البيارستان القيصري بالصالحية
٢٣٩	» (١٣) تخطيط أسامات البيارستان القيصري
٢٤١	» (١٤) البيارستان القيصري من الداخل
٢٤٣	» (١٥) البيارستان القيصري من الداخل أيضاً
٢٤٩	» (١٦) ما هو مكتوب على باب بيارستان حصن الأكراد
٢٥١	» (١٧) صورة وقف بيارستان حصن الأكراد
٢٥٤	» (١٨) باب بيارستان قيسارية
٢٥٧	» (١٩) بيارستان أرغون الكامل
٢٨٣	» (٢٠) بيارستان سيدي ابن عاشر بسلا
٢٨٥	» (٢١) بيارستان سيدي فرج بفاس
٢٩١	» (٢٢) ذكرى إنشاء بيارستان غرناطة

بيان الخطا وصوابه

الصواب	الخطا	صحيفة
القوام	العوام	٣٢
الخرستاني	الخرستاني	٤٠
السلع	السلع	٥٥
سعد سامح بك	محمد سامح بك	١١١
يزال هذا السطر بأجمعه	صورة اللوحتين الخ	١٢٢
خلع على الأتابكي	خلع الأتابكي	١٣٠
ابن دهن	ابن دهن	١٧٨
درب المفضل	المفضل	١٨٤
أبي الحسن يحكم	أبي الحسن يحكم	١٨٥
مذهب الدين ابن النقاش	مذهب الدين النقاش	٢١٦
رشيد الدين علي بن خليفة	رشيد الدين بن علي خليفة	٢١٧
جمال الدين بن أبي الخوافي	جمال الدين بن أبي الخوافي	٢١٨
تاريخ الإسلام للذهبي	تاريخ الأعلام للذهبي	٢٢٠
سبط ابن السفاح	سبط ابن النسخ	٢٢٦
شكل ١٠	شكل ٩	٢٢٧
أن بها	بها أن	٢٣٠
محمد بن الملك المنصور قلاوون	محمد بن قلاوون	٢٥٥
له جميع	جميع له	
حسن بن عجلان	حسن عجلان	٢٦١
ولا تزال موجودة	ولا تزال موجوداً	٢٧٥
بيارستان دبوركي	بيارستان دبركي	٢٧٥

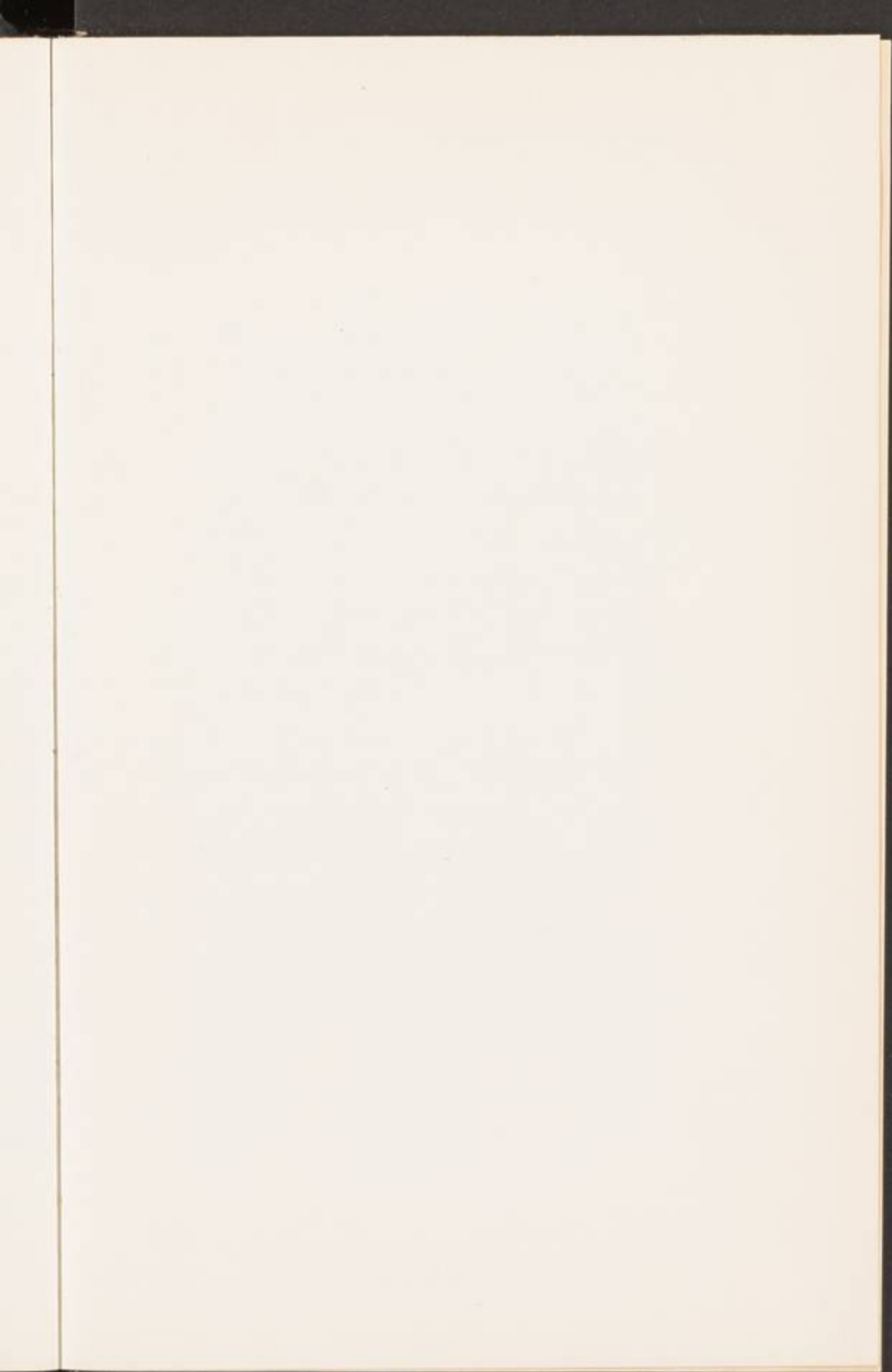
مصنفات المؤلف

- ١ رسالة مختصرة في علم التشريح لم تطبع
- ٢ كتاب صحة المرأة في أدوار حياتها طبع
- ٣ » أمراض النساء جزءان كبيران ترجم طبع
- ٤ » التهذيب في أصول التعريب طبع
- ٥ » التفسر أي الاستدلال بأحوال البول على المرض طبع
- ٦ » آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب طبع
- ٧ معجم أسماء النبات باللاتينية والفرنسية والانكليزية والعربية طبع
- ٨ كتاب الغناء للأطفال عند العرب أو كتاب الترقيص طبع
- ٩ » تاريخ البيمارستانات في العهد الإسلامي طبع بالفرنسية
- ١٠ » الجامع لأشتات النبات وهو يحتوي جميع ما في اللغة العربية من أسماء النبات تحت الطبع
- ١١ » تاريخ علم النبات عند العرب تحت الطبع
- ١٢ » ألعاب الصبيان عند العرب تحت الطبع
- ١٣ » الدعاء للإنسان وعليه تحت الطبع
- ١٤ » أصول الحكام العامة في اللغة العربية المصرية تحت الطبع
- ١٥ » المستحسن والمأثور من كلام الأطباء في التبييض
- ١٦ معجم لمصطلحات العلوم الطبية يحتوي نحو سبعين ألف مصطلح بالانكليزية والفرنسية والعربية في التبييض
- ١٧ كتاب تاريخ الأطباء من القرن السابع الهجري إلى عصرنا هذا (أي ذيل لعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة) ويحتوي نحو (٨٠٠) ترجمة تحت الطبع
- ١٨ تاريخ حياة ابن سينا ومؤلفاته ومظان وجودها

NOF in C5I

TIR
8169









**Dr. Jerome S. Coles
Science Library**



NEW YORK UNIVERSITY
Elmer Holmes Bobst
Library



